

مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء التاسع والسبعون

جمادى الآخرة ١٤١٧ هـ

نوفمبر ١٩٩٦ م



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة
المعهد السويسري سابقا (بالزمالك)

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء التاسع والسبعون

جمادى الآخرة ١٤١٧ هـ

نوفمبر ١٩٩٦ م

رئيس التحرير

إبراهيم التريزى

أمين التحرير

سعد توفيق

مساعدة أمين التحرير

سميرة شعلان



الفهرست

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
بحوث :		لأستاذ الدكتور بدوى طبانة	٣٦
● العربية والتعريب فى العلوم الإنسانية		● نماذج من تقارض الصيغ فى مضعف	
بالجامعات المصرية .		الثلاثى ومضعف الرباعى	
لأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح	٩	لأستاذ الدكتور أمين على السيد	٥٢
● نبضات قلب ... ١١		● حَجَرُ اليمامة	
قصيدة للأستاذ حسن عبد الله القرشى	٢١	لأستاذ عبد الله بن خميس	٩٦
● تعريب التعليم الجامعى		● الآثار النفسيسية فى تعريب العلوم	
ضرورات ملزمة ، ومنافع مؤكدة ،		والإبداع .	
واعتراضات مُفَنِّدة			
لأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمى محمد	٢٥	لأستاذ الدكتور يوسف عز الدين	١١٢
● الترجمات والمسترجعون فى كستاب		● علم دراسة المستقبل	
« الفهرست »		لأستاذ الدكتور أحمد صدقى الدجاني	١٢٢



الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
● مقامات الحريرى وإعجاز القرآن فى		الصباغ فى حفل استقباله عضواً بالمجمع ٢٢٢	
حوار مسيحى إسلامى فى الأندلس		● كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد	
للأستاذ الدكتور محمود على مكي	١٣٩	الأستاذ الدكتور حسن محمود	
● تعريب العلوم - القضية		عبد اللطيف الشافعى للأستاذ الدكتور	
للأستاذ أحمد شفيق الخطيب	١٨١	كمال محمد دسوقي	٢٢٩
شخصيات مجعية :		● كلمة الأستاذ الدكتور حسن محمود	
أولاً: الاستقبال :		عبد اللطيف الشافعى فى حفل استقباله	
● كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد		عضواً بالمجمع	٢٣٥
الأستاذ الدكتور أحمد على سالم		● كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد	
الصباغ		الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب	
للأستاذ الدكتور عبد الرازق		للأستاذ الدكتور سليمان حزين	٢٥٥
عبد الفتاح إبراهيم	٢١٨	● كلمة الأستاذ الدكتور محمد السيد	
● كلمة الأستاذ الدكتور أحمد على سالم		غلاب فى حفل استقباله عضواً بالمجمع ٢٥٨	



الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
● ثانياً التآبين :		● كلمة المجمع في تأبين المرحوم الأستاذ	
● كلمة المجمع في تأبين المرحوم الأستاذ		الدكتور عبد الحلیم منتصر للأستاذ	
الدكتور محمد مهدي علام للأستاذ		الدكتور محمود حافظ .	٢٨٧
الدكتور شوقي ضيف الأمين العام للمجمع	٢٦٥	● « عاشق المجهر » قصيدة في تأبين	
● كلمة أخرى للمجمع في تأبين الفقيه		الفقيه للأستاذ الدكتور محمد يوسف	
للأستاذ الدكتور كمال محمد بشر	٢٦٩	حسن	٢٩٤
● « النجم الذي هوى » مرثية في تأبين		● كلمة الافتتاح للأستاذ الدكتور شوقي	
الفقيه للأستاذ الدكتور محمد يوسف		ضيف نائب رئيس المجمع في تأبين	
حسن	٢٧٨	المرحوم الأستاذ أحمد على عقبات	
● مرثية أخرى في تأبين الفقيه للأستاذ		عضو المجمع من اليمن	٢٩٥
الدكتور حسن على إبراهيم	٢٨١	● كلمة المجمع في تأبين الفقيه للأستاذ	
● كلمة الأسرة للأستاذة الدكتور ثريا		الدكتور إبراهيم السامرائي	٢٩٦
محمد مهدي علام كريمة الفقيه	٢٨٣		

بحوث ومحاضرات

العربية والتعريب فى العلوم الإنسانية (*) بالجامعات المصرية

للأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح

الفكر العربى فى التعامل بها مع مضامين التطورات الحديثة ، ولو إلى حد ما . ولا جدال ابتداءً فى أن هيئات التدريس بالجامعات المصرية وبقية الجامعات العربية حققت أطواراً لا يستهان بها فى تزكية اللغة العربية ، وفى إحياء التراث العلمى العربى بكل أبعاده ، عن طريق إعادة تحقيقه ونشره ، وتحديث معالجته ، فى دراسات مقارنة تجمع بين التأصيل والمعاصرة . كما قطعت أشواطاً لا بأس بها فى ترجمة أمهات المؤلفات والبحوث الأجنبية الرائدة ، وفى تعريب مصطلحاتها . ولكن جرياً على خطة الدعوة دائماً إلى ما هو أفضل ، ومن قبيل النقد الذاتى للجهود والتطبيقات الأكاديمية المصرية الراهنة فيما يتصل بموضوع هذه الدراسة ، يمكن القول بأنه يتحمل جانباً من تبعة العلل المعوقة لاكتمال المنظومة العلمية المنشودة لتعميم عربية التعليم فى الجامعات المصرية وفى غالبية أخواتها من

سبق أن ناقشنا بعض نقاط هذا البحث فى المجلس القومى المصرى للتعليم والبحث العلمى مقرونة ببحث آخر قدمه زميل جليل عن تعريب العلوم الطبيعية الحديثة . وكان من الطبيعى أن تقل مشكلات التعريب فى مجالات العلوم الإنسانية بالجامعات العربية عن مثيلاتها عن العلوم الطبيعية والتطبيقية ، بعد أن حققت اللغة العربية لأولاهما جانباً كبيراً مما تستحقه من تطوير فى مجالات الدراسة والتدريس والبحث والتأليف منذ ما قبل إنشاء الجامعات المصرية ذاتها . ومع ذلك فلا يزال يشوب أساليب مناقشتها ومداولاتها وأحاديثها الأكاديمية والشفهية أحياناً قصور نسبى فى الالتزام بقواعد العربية الفصحى شكلاً وأداءً ، وذلك بما يكاد يقلل من تأكيد صلاحيتها لمطالب العلوم الحديثة ، ويقلل من الثقة بحيويتها المتجددة ، وينعكس بالتالى على استعدادات الطلاب اللغوية ، ويضعف موقف

(*) ألقى البحث فى الجلسة الثامنة للمؤتمر المنعقدة يوم الاثنين ٢٣ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٤ من أبريل

(نيسان) سنة ١٩٩٤ م .

الجامعات الأخرى ، بعض أعضاء هيئات التدريس الجامعى أنفسهم ، كما تتحمل جوانب أخرى منها طبيعة برامج التعليم العام ، وقلة الإمكانيات التحصيلية اللغوية لجموع الطلاب ، فضلا عن المستويات الثقافية المتواضعة السائدة فى المجتمع العربى المعاصر على اتساعه .

ومن الظواهر التى يمكن الاستشهاد بها من خلال الممارسات العملية فى هذا السياق ، بغير تعميم ودون تضخيم ، ما يلى :

أولاً : ما يلحظ من قلة التزام بعض أعضاء هيئات التدريس أنفسهم بإيفاء قواعد اللغة العربية الفصحى وأساسيات نحوها وصرفها حقها الخالص من الطابع العلمى ، خلال مناقشاتهم مع طلابهم ، وأثناء قيامهم بالشرح والتفصيل والتطبيق الشفهى فى مدرجات الدراسة ، بل فى سياق بعض الندوات الثقافية الخاصة والعامة أحيانا . وذلك على الرغم من الأمر الواقع من التزام أغلبهم بأساسيات اللغة الفصحى وتطويعها لأداء مختلف الأفكار والمعانى والصيغ العلمية والتقنية الحديثة حين إلقاء محاضراتهم المكتوبة ، وحين صياغة مؤلفاتهم المنشورة .

وهكذا قد يُؤثر بعضهم استخدام اللهجة الدارجة بنطقها العامى أحيانا فى شروحه ومناقشاته ، أو يُؤثر من وجه آخر استخدام التعبيرات الأجنبية بحرفيتها فى عرض آرائه ونظرياته وشروحه دون بذل مجهود كبير لإلحاقها ببدائل ومترادفات عربية يشعر الطلاب أنها تستطيع أن تقف معها على قدم المساواة فى مدلولها ومرماها .

وحقا قد لا يتأتى أحد هذين الاتجاهين السلبيين عن تهوين متعمد من شأن اللغة العربية الفصحى ، أو عن قصور فعلى فى القدرة على تطويعها العلمى فى سياق الإقناع وترتيب الأفكار ، بقدر ما يتأتى أحيانا عن تبسط وعفوية فى الحديث أو يتأتى أحيانا أخرى عن قلة التحكم فى ازدواجية التفكير والتعبير لدى العائدين حديثا من بعثات خارجية لم يكونوا قد تزودوا قبلها بحصيلة لغوية عربية متينة ، وعلى أية حال ، فإنه لما كانت المقدرة على ممارسة التعبير الفصيح المتجانس ومتابعته تزكو عادة لدى الدارسين عن طريق التجربة والمحاكاة فى داخل المجتمع الأكاديمى الملتزم ، فإنه غالبا ما يترتب على إغفال بعض الأساتذة لدقة التعبيرات الفصيحة

المسترسلة والقواعد العربية الأساسية شفافة فى قاعات الدرس وحلقات المناقشة ، أن يفتقد الطلاب النموذج العملى للقذوة اللغوية والتعبيرية الحققة فى معالجة حقائق العلم وتفصيله لدى من هم أقدر منهم عليها وهم أساتذتهم ، وفى أولى الأمكنة بما يتوقعونه من مثاليات منهجية وهى الجامعات ، وكثيرا ما يكون فى غياب هذه القذوة ما يغرى الطلاب تلقائيا بتناسى أو فقدان ما استظهروه من أولويات قواعد اللغة ونحوها فى مراحل التعليم العام ، فى سياق ما يدعون إليه من إجابات ومناقشات ، وينساقون من ثم إلى التزيد من الفصل التعسفى بين لغة الكتب المنظومة وبين لغة الشروح والمناقشات الشفهية المرسله ، وقد يعجزون عن إتقان الأولى كما يعجزون عن تطوير الثانية .

ولا تعنى الدعوة هنا إلى تلافى هذه الظاهرة الازدواجية فى رحاب الجامعات مجرد استكمال الشكلية اللغوية ، ولا مجرد رغبة تمييز الأستاذ الجامعى بالضرورة عن سواه من المثقفين وعن بقية أفراد المجتمع الذى يعايشه ، بقدر ما تعنى بها الحرص العملى على التمسك بخصائص اللغة القومية ، وتزكية صلاحيتها

للمعاصرة العلمية قولاً وفعلاً ، وتأكيده اعتبارها أحد المقومات الرئيسية والمعايير الأساسية لتوضيح المفاهيم وتحديد المعانى ومنع الالتباس فى مضامين العلوم المنطوقة بها . ثم أن يكون التعبير الراقى والقذوة اللغوية الفصحى من أوليات مظاهر اقتداء الطلاب بقيادة العلم فى الجامعة ، ومن دوافع ومعالج احترامهم للغتهم القومية واعتزازهم بها كلما لمسوا فاعلية تجاوبها مع مطالب العلم الحديث فى كل أطواره .

ومن العجب حقاً أن بعض من يتغاضون قليلاً أو كثيراً عن مراعاة قواعد النحو والنطق السليم فى التخاطب الجامعى باللغة العربية فى قاعات الدراسة وخارجها لا يكادون يتغاضون عن مثلها بالنسبة للغات الأجنبية إذا ما أخطأ متكلم فى قاعدة من قواعدها أو أخطأ فى نطق أحد أسمائها ومسمياتها ، تأثراً فى أغلب الظن بما تعودوه فى الجامعات الأجنبية من وجوب احترام ارتباط صحة العلم بصحة اللغة .

ومرة أخرى لا يعنى هذا المطلب التزام المناقشات الجامعية فى كل علم وكل مناسبة

بتركيب لغوية مستغلقة بهدف إظهار ميزة التفوق ، أو افتعال صنعة أدبية لازية بغير مبرر يدعو إليها . ولا هو يعنى بحال من الأحوال التخلّى عن الاستشهاد بالمصطلحات الأجنبية العلمية حيثما دعت الضرورة إليها فى مواضعها من الشروح الشفهية ، وإنما حسب المناقشات الجامعية أن تتجانس مع ما تستخدمه المؤلفات العربية الراقية من صياغة لغوية سليمة مستساغة ميسورة التداول ، تلتزم بأساسيات النحو والصرف دون تعنت ، وتعمل على تزكية صلاحية لغتها لتوليد المعانى والصيغ العلمية والتقنية المستحدثة على أسس مرنة من القياس والاشتقاق والاقتباس والابتكار ، ثم تقرنها بما يقابلها من مصطلحات علمية أجنبية شائعة أو مستحدثة إلى أن تحل هى محلها شيئا فشيئا ، أو تعرّب صياغتها وجرسها . ويقتضى هذا تتبع ما تقره المجامع والمعاجم اللغوية الحديثة من هذه البدائل وتعميم استخدامها فى التأليف والتدريس وحلقات المناقشة ، بما يحقق تجانس التعبيرات العلمية الرئيسية بين جامعات الوطن العربى ، وذلك على نحو ما أنجزه عدد كبير من الأساتذة فعلا .

ولارىب فى أنه إذا ما واجه الأستاذ طلابه بهذه الالتزامات فى سياق تخصصاته ودراساته الأصيلة ، فإنهم سوف يندفعون تلقائيا إلى الاقتداء به ، ويحرصون على اكتساب مقومات منهاجه العلمى واللغوى ، والتغلب على ما يمكن أن يعترضهم من صعوبات ما أمكن . ولعل تزويد الدراسات والعلوم الإنسانية منها بخاصة ، من آن إلى آخر ، بمختارات متميزة من كتب التراث العلمى القيمة التى جمعت بين الثراء اللغوى والإبداع فى العلوم المعنية بها ، يمكن أن يزكى معاشة الأستاذ والدارس لمقدرة البيان العربى الفصيح على مجارة العلم فى كل أطواره ، كما أن فيه ما يؤصل النشأة القومية لهذه الدراسات أو بعضها ، ويلحقها بجذورها العربية والمستعربة .

ولا يكفى هنا التزام البعض بتوفير الكلمة العربية العلمية الدقيقة المنتقاة ، وتقدير روائع التراث وأصول اللغة الفصحى ، بينما يتجاهلها آخرون ، فغالبا ما تطرد العملة المعيبة العملة الجيدة ، كما يقال ، وتضعف من تأثيراتها الطيبة .

ثانياً: سبق أن ناقشنا فى عجلة أخرى فى المجلس القومى للثقافة ، ما هو معروف من أن تعبير العلوم الإنسانية تعبير حديث العهد نسبياً ، تأثر إلى حد ما بالتعبير الإنجليزى Human Studies - ورادفه بعض الشيء تعبير ، الدراسات النظرية - وكان من عوامل تخصيصه بمسماه الذى عرف به عاملان أساسيان ، أولهما هو اهتمام دراساته المتنوعة بمختلف شئون الإنسان فى حالات الأفراد والجمع ، وفى شتى البيئات والمجتمعات ، ثم نوعيات التفاعل معها كماً وكيفاً وإيجاباً وسلباً ، ومدى التطور بها معنوياً أو مادياً ، بالفكر أو بالعمل ، فى كل من ماضى الحاضرات وحاضرها ، وفيما يهد لمستقبلها .

أما العامل الثانى فهو الترابط الوثيق بين هذه العلوم الإنسانية وبين « الإنسانية » التى تأثرت تسميتها العربية بعض الشيء أيضاً بالتسمية الإنجليزية - Humanities - ومدلولاتها المحددة التى تكاد تختص بالإنسان دون سواه ، بناء على قيامها أساساً على اللغويات والقيم والمعتقدات ومختلف الفنون والآداب .

وهكذا تضمنت مجموعة العلوم الإنسانية تخصصات متنوعة ، تاريخية وجغرافية ، وفلسفية واجتماعية ، ومنطقية ونفسية ، وتشريعات قانونية ، وتنظيمات سياسية وإدارية ، ونظمًا تربوية ، وأسسًا تجارية واقتصادية ، وأنثروبولوجية وإثنوجرافية ، وما شابه هذه وتلك بالإضافة إلى مختلف التشعبات الفرعية الكثيرة المنبثقة عن هذه التخصصات ، أو المتداخلة فيها .

ومن المسلم به أن تمايز مجموعات العلوم الإنسانية بطابعها الخاص ، لم يمنعها من الأخذ والعطاء مع ما سواها من علوم ودراسات ، كما أن شدة التعدد والتنوع فى تخصصاتها وفروعها ، لم تحل دون قيام روابط أساسية تجمع بينها ، ومن أهمها تجانس مناهجها العلمية ، وما تستهدفه عادة من توفير معرفة إنسانية متكاملة يفترض أن تتكامل فيها مختلف القيم ، وأدلة العقل والنقل ، والقياس ومدرجات الحس ، وظواهر الكون ، ومبادئ الأخلاقيات والسلوكيات ، بحيث تكفل أكبر قدر من التوازن المحمود بين الماديات والروحانيات ، فى شتى شئون الحياة .

وهكذا تكون الدراسات الإنسانية أقرب إلى مفهوم التراث والثقافة في عرف الأمم النامية ، نظرا لقدم مدارسها الوطنية وأفكارها النظرية وتوافر مؤلفاتها وفرة نسبية وما يتصل بها من موضوعات القيم والزوجيات ، وفرص الإبانة عن الذات ، والسعى ، لإحياء عيون التراث ، ولا سيما العلوم التي تزوج بين الثراء اللغوي والإبداع العقلي ، وتحقيقها وإعادة نشرها ، ثم تحديث معالجاتها في دراسات مقارنة قد تجمع بين القديم والمستحدث من النظريات ، وتهيء فرص الانفتاح على الثقافات العالمية الأخرى .

ثالثا: وجوب اعتبار ما تم إنجازه من تعريب التعليم في الجامعات حافزا على المزيد من التعريب بكل مفاهيمه ، وعدم قصره في الحاليين على مجرد كونه وسيلة لتيسير عملية التعلم وتزكية اللغة القومية فحسب ، كما قد يتبادر إلى الذهن أحيانا ، وحتمية اعتباره رافدا من روافد تنمية مدارس فكرية عربية ذات مناهج متميزة واهتمامات متخصصة . ولا بأس هنا من تأكيد ما سبق التنويه به من ارتباط التواصل الفكري واللغوي والتكامل العلمي معاً لدى طلاب اليوم وباحثي الغد ، بمدى التوفيق التربوي أصلاً في تكوين العقلية

المتفتحة وتدريبها على مواصلة التعلم الذاتي ، وإشباع الميول والقدرات الطلابية عن طريق التحصيل الخاص بما هو عربي ، وما هو معرب ، وما هو أجنبي ، ما أمكن ، وذلك مطلب أشد إلحاحاً في الوسط الجامعي عنه فيما سواه . ولن يتحقق بصورته المرجوة إلا في ظل مخططات ثقافية علمية وعملية كبيرة واضحة الأهداف والمراحل ، موفرة الموارد والمصارف ، لتيسير نشر الكتاب الجاد بنوعياته العلمية والأدبية المختلفة ، والعمل على سهولة تداوله واقتنائه بين الجامعيين ، وذلك مع تحقيق التوازن النسبي في هذه المخططات بين التوسع في نشر كتب التراث المختارة ، والتوسع الأكبر في ترجمة مختارات المؤلفات الأجنبية الرئيسية الحديثة والمتطورة التي تتضاعف أعدادها ونوعياتها باستمرار ، وكل من هذين الاتجاهين في عالم التأليف والترجمة والنشر ينبغي أن تأخذ الجامعات بناصيته لتقديم الأهم على المهم منه في كل مجال ، وأن تزيد اللجان العلمية من اعتبار ترجمة المؤلفات الأجنبية الهامة جزءاً من الأعمال العلمية المؤهلة لترقية أعضاء هيئات التدريس ، إذا ما أحقوا بعض مواردها

بتعقيباتهم الخاصة وتركوا بصماتهم عليها ،
ولا يقل أهمية عن هذا وجوب تشجيع ترجمة
بعض المؤلفات العربية المتميزة إلى لغات
أجنبية .

ويواكب هذا وذاك ما ورد بعضه فى
توصيات سابقة عما ينبغى أن تكفله المكتبات
الجامعية من حوافز الارتباط بها ، والانتفاع
بها ، والتردد عليها لأطول مدة ممكنة من وقت
فراغ الطلاب ، إذا ما تحققت لها الحصيلة
الضخمة الوافية من المصادر والمراجع ، وتابعت
كل جديد من المؤلفات والدوريات العالمية ،
وأخذت بأساليب الخدمة المكتبية المتطورة
الميسرة .

وهذه كلها مطالب وغايات ملحة لإتمام حركة
التعريب وما حولها ، ونعرف جميعا كيف
تفاوتت أنصبة الجامعات العربية من إمكانات
تحقيقها فى عالم الواقع ، وكيف ينبغى أن
تتوافر لها أولوية الاعتبار والتمويل عن كثير
مما تدعسه الدولة من مطالب مادية لطلاب
الجامعات .

رابعاً : إذا أجيّزت دعوات سابقة لتزويد
العلوم الإنسانية أو النظرية ، العربية
منها والمعربة ، بمزيد من أساسيات العلوم

الطبيعية والرياضية والمعملية ، وما تمخضت
عنه تطبيقاتها وإنجازاتها فعلا فى العالم
الخارجى من إبداعات تكنولوجية حديثة لها
أثرها الكبير فى التطور الاجتماعى
والاقتصادى المعاصر والمستقبلى ، ومع التوعية
بوجوب توظيفها سلميا من أجل نفع الإنسان
ورخائه ، وهى دعوة منطقية سليمة - وجب أن
تقابلها فى الوقت ذاته دعوة أخرى إنسانية
تستهدف تحقيق التكامل العلمى والثقافى
فى أوساط الجامعيين بخاصة والمثقفين بعامة .
وتقتضى التوسع فيما سبق أن أطلق عليه
اصطلاح تأديب العلوم ، ومن مظاهره أن تزيد
العلوم الطبيعية والتجريبية من تعاملها مع
أساليب اللغة العربية وانتفاعها بما تكفله لها
من بدائل المصطلحات الأجنبية فى سياق مراحل
التعريب ، وما يفيد فى التعريف العام بحقائق
العلوم الحديثة وتفسير منجزاتها بأساليب
بيانية ميسرة تشجع على اتساع رقعة المعرفة
بها ، وتعمل على تجانس لغة العلم بنوعياته
المتعددة فى رحاب اللغة القومية الواحدة ،
وهو ما لا يتعارض إطلاقا مع الاحتفاظ معه
بحرفية صيغ الرموز العلمية الاصطلاحية
الأجنبية التى اكتسبت صفة العالمية أو يصعب
ترجمتها إلى اللغة العربية .

وساند هذا الاتجاه اتجاه آخر بدأ تنفيذه فعلا ولكن بنسب متفاوتة ، وهو تطعيم الدراسات الطبيعية والعملية والرياضية بقدر ملائم مما يناسبها من حقائق العلوم الإنسانية ، كتطعيم التعليم الطبى مثلا بدراسات فى علم النفس والاجتماع ، وتطعيم التعليم الهندسى بدراسات عن تاريخ العمران ونمو المدن ومراحل تطور الفنون وأهدافها ثم إلحاق هذه العلوم كلها أو التمهيد لها بدراسات موجزة عن تاريخ علوم الطب والكيمياء والأحياء والرياضيات وأمثالها عند العرب بخاصة وفى العالم الإسلامى بعمامة ، كأجزاء من دراسات مقارنة تركزى مبررات التعريب .

ولا تنهض هذه الدعوة على أية شبهة من الرغبة فى تغليب الأدوات اللغوية والقومية للتعريب على حقائق العلوم البحتة ، ولا تطفل الجانب النظرى على الجوانب العملية والتطبيقية فيها ، ولكنها تنهض على أساس مقولة أن أنفع العلوم الطبيعية والمعملية لا تستهدف المفاهيم المجردة وحدها ، ولكنها تستهدف خدمة الإنسان ونفع الإنسانية قبل كل شئ ، وبهذا يمكن أن تتجانس مع العلوم الإنسانية فى أهدافها البعيدة وتتبادل النفع معها تحت مظلة اللغة الواحدة والتعريب الهادف .

خامسا : تتحمل أساليب التعليم العام ونوعيات تحصيل الطلاب تبعاتهما من معوقات أهداف العربية والتعريب حتى بالنسبة لأوليائها من سلامة اللغة ودقة التعبير ، ووضوح الفكرة فثمة ضمور واضح فيما أصبح عليه المستوى اللغوى والتعبيرى العربى الذى يحصله غالبية تلاميذ التعليم العام ويلتحقون بعده بالتعليم الجامعى ، وذلك واقع تخرج تفاصيله عن نطاق الدراسة الراهنة ، وينبغى أن تعالج مسبباته جذريا من قبل المسئولين عنه .

ومن هذا القبيل وجوب إعادة تقويم مناهج اللغة العربية ومحتويات وطرق تدريسها واختبارتها تقويماً موضوعياً متكاملاً ، بما يزيد من جليل أثرها فى مجريات التعليم والتثقيف وربط الأجيال بالذاتية الثقافية العربية المتطورة ، وبما يزيد من تداول وتناول قواعدها الجوهرية على أسس محببة والاقتراب بها من واقع الحياة .

ومن هذا القبيل كذلك حتمية بذل المزيد من الدقة حين تطبيق المناهج والبرامج ، وحسن اختيار نصوص التراث الرائدة أو المقررة ، بما يتفق أساساً مع القيم الفكرية الفعلية المستهدفة ويتناسب مع المراحل العمرية والذهنية للطلاب ، وبما يجعلها مرغوبة أساساً من دارسيها .

وكثيرا ما نبهت دراسات لجان التعليم إلى ارتباط قيمة الكلمة ودقة التعبير عن الفكرة لدى الطلاب بما يتاح لهم ممارسته من حرية الإبانة عن ذاتياتهم وأفكارهم ، وما يستزيدونه ذاتيا من حقائق ومعارف خارج الفصول في المكتبات والجمعيات والندوات الطلابية ، وكذا في مجالات التعامل مع مصادر المعلومات حينما يتصدون لحل مشكلاتهم المعرفية بأنفسهم .

ومن المفروض أن تصقل حصيلة الطلاب من هذا كله وتتضاعف كمًا وكيفًا في رحاب الجامعة ، حيث تتسع آفاق الإجابة والاستزادة والاستنارة والإبداع أمامهم في مكتباتها الكبيرة ، وأنشطتها الثقافية الحرة إذا ما تهيأت لها مقوماتها الضرورية فعلا لكي توفر لهم معرفة موسوعية تظهر تخصصاتهم ، ويمكن أن يحصلها بعضهم بنفسه ويرى فيها نفسه .

غير أنه كثيرا ما يلحظ في اختبارات العلوم التي تتطلب نوعا من الصياغة التفصيلية لحقائقها ونظرياتها وتطوراتها ، وفي مقدمتها العلوم الإنسانية نفسها حتى بعد

أن استوفت أغلب متطلباتها من العربية والتعريب ، من اضطرار أغلب الأساتذة الممتحنين الجامعيين إلى التغاضي عن الأخطاء اللغوية والتعبيرية المعيبة التي استنفحت أعدادها وأنواعها في إجابات الطلاب الكتابية خلال عشرات الأعوام الأخيرة . وهي ظاهرة قد تعنى قلة تقدير الطلاب أن البيان السليم هو أحد المقومات الجوهرية والمعايير الفعلية . كما سبق ذكره ، لتوضيح المحتويات الفكرية للعلوم وتحديد معانيها ، ومنع الالتباس في قضاياها ، فضلا عن كونه أقرب قرائن الانتماء إلى مجتمع المثقفين ، ثم عدم إدراكهم بالتالي لقداحة تجنى أخطاء اللغة والتعبير على مضامين العلوم ، إذا ما زادت عن حدودها العارضة أو المحتملة .

وقد يسئ إلى الطلاب في هذا السياق ، حتى المتميزين منهم في مضمار العلوم ، سبق دراستهم أحيانا في مراحل التعليم قبل الجامعي بمدارس أجنبية اعتادوا فيها على الاتِّبارط والتعبير بلغاتها الأوربية أكثر مما يفعلون من اللغة العربية وهي اللغة الغالبة على الدراسة والاختبارات بالجامعات . وكأنهم انتفعوا منها انتفاعا كبيرا من جانب ، وفقدوا

منها ما لا يقل عنه أهمية من جانب آخر ، وعانوا بذلك من بعض الانفصام اللغوى والانفصام الولاى ، وربما قلة الاندماج كذلك مع زملائهم فى الجامعة بعد أن ميزتهم الفوارق الاقتصادية بمجتمع مدرسى ولغات أجنبية ومصروفات طائلة على شىء من الاختلاف مع مجتمع المدارس الحكومية العربية المجانية ، وعلى كثير من التباين مع ما نص الدستور عليه من مبررات مجانية التعليم فى كل مراحله .

ومن وجه آخر ، قد يفسر التغاضى الاضطرارى أو التجوزى من قبل بعض الأساتذة عن أخطاء اللغة والتعبير التى تفسد قيمة اللغة العربية ولا تكاد تستفيد من التعريب فى إجابات طلابهم ، بتقديرهم للأمر الواقع من آثار قلة فرص المواجهة الفكرية واللغوية المباشرة بينهم وبينهم فى قاعات البحث والدراسة بعد أن زاد تضخم أعداد الطلاب فيها بما يقلل من جدوى التوجيه الشخصى لهم أولاً بأول .

ولا تقل أضرارا عن ذلك فى آثارها السلبية أيضا قلة فرص المواجهة المباشرة كذلك بين الأستاذ وبين طلابه خلال الاختبارات الشفهية

التي قل عقدها نتيجة للسبب نفسه ، أى كثرة أعداد الطلاب فى الفرقة الواحدة ، ولأسباب عارضة أخرى لا مجال لذكرها ، الأمر الذى جعل الطلاب فى غير دافع عملى إلى بذل جهد كاف فى تحرى دقة التعبير والإبانة عن أفكارهم الذاتية أمام أساتذتهم .

وأخيرا قد يتحرج الأستاذ الملتزم نفسه من أن يوسم بالتعنت إذا ما تتبع الأخطاء التعبيرية واللغوية فى إجابات طلابه ، فضلا على أخطائهم فى معارفهم التخصصية وما أكثرها . وبناء على هذا كله فهو غالبا ما ينتهى إلى إجازة الأمر الواقع ، والقنوط من إصلاح التدهور الشائع فى المستوى التعبيرى لدى الأكثرية الغالبة من تلاميذه .

وتستفحل عيوب هذه الظاهرة المتجنية على قيم اللغة العربية وتيسيرات التعريب فى مراحل الدراسات العليا ، فكثيرا ما تتباين وجهات نظر المتحنيين فى وجوب التوقف عند الأخطاء التعبيرية واللغوية فى الرسائل المقدمة باللغة العربية للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه ، ومدى الاعتداد بهذه الأخطاء عند تقييم تقديراتها النهائية ، ومن العجب حقا أن

يحدث هذا التباين - وكثيرا ما يحدث -
فى مصر وبقية البلاد العربية ، فى الوقت الذى
تصر فيه أغلب الجامعات الأجنبية الكبرى
على ألا تتعدى الأخطاء التعبيرية واللغوية
والكتابية نسبة ضئيلة محدودة من محتوى
الرسائل المقدمة إليها ، وإلا رفضت الإذن
بمناقشتها أصلاً ، تقديراً منها لارتباط سلامة
العلم بسلامة اللغة .

ومن جانب آخر، فليست الدراسات
الإنسانية الجامعية عن الإنسان والمكان
والزمان ووسائل التعبير القومية بمعزل عن
حصيلة ثقافة المجتمع الذى تعاشه ، وهنا
يصعب تجاهل ما تكرر ذكره فى دراسات سابقة
عن الآثار الانتكاسية لما يعايشه المتعلمون
الآن فى حياتهم اليومية فيحاكونه أو يرفضونه
من الألفاظ والتعبيرات والأساليب العربية
والمعلومات المقررة والمسموعة التى تفرض
نفسها فى وسائل الإعلام المتنوعة ، فضلاً عما
يتشربونه من مختلف مواقف بيئاتهم
الاجتماعية إزاء اللغة الفصحى وتراثها الفكرى
والتعبيرى وصلاتها العلمية بالعالم المتقدم
المعاصر .

ولا سبيل إلى تجاهل قيمة بعض المواضيع
والبرامج العلمية والثقافية الراقية التى تقدمها
وتعتز بها الصحف الهادفة والإذاعة المسموعة
والمرئية ، والندوات الثقافية ، والمسارح
المجادة ، فى مصر من حين إلى آخر ، ولكن
لا سبيل إلى التغاضى فى الوقت ذاته عما
تردّت إليه أساليب التعبير ونوعية المعلومات
بشكل صارخ فى عدد آخر من مواضيعها
وبرامجها بل عناوينها وإعلاناتها كتابية وقراءة
وتصويراً خلال الأعوام الأخيرة بوجه أخص ،
وهذه تبدو كأنما غاب عنها الحسب والرقب
والمراجع . أو كأنما خضعت لدعوة مستترّة إلى
التباعد عن بنية اللغة الفصحى وأساسيات
قواعدها مع استخدام الألفاظ الأجنبية أحياناً
بحرفيتها الظاهرية ، أو معربة بصورة ركيكة
مرفوضة وذلك فى الوقت الذى لا تكاد أجهزة
إعلام عالمية أخرى تجيز الإعلان عن مسميات
أجنبية بغير لغتها القومية ، أو على الأقل
بغير أن تخضعها تماماً لقواعد لغتها . وحقا
قد لا تتعدى الأخطاء اللغوية والبيانية
والمعرفية الصارخة فى الصحف ذات السمعة

الطبية والبرامج المسموعة والمرئية الراقية العدد
القليل منها قياسا إلى الجيد من مواضيعها ،
ولكن الأخطاء في أمثالها أخطاء مضاعفة
الأثر وإن قلت أعدادها ، وقد تطبع
النشر بما لا تستطيع الجامعات نفسها أن
تغيره بسهولة .

سادسا : لم يكن من شأن القيم القومية
والأهداف التعليمية والثقافية التي حققتها
ولا تزال تحققها مراحل تعريب العلوم في
الجامعات المصرية ما يجعل دراسات هذه العلوم
تنطوى على عريتها ، أو تستغنى عن التفاعل
مع أضرابها من اللغات الأجنبية ، حيث لا
سبيل إلى تجاهل الأمر الواقع من اتساع خطى
التقدم العلمى وتطبيقات مناهج البحث في
الجامعات الراقية من العالم الخارجى ، عنها في
داخل الوطن العربى ، ولا غنى للجامعات
العربية بالتالى عن مضاعفة ما أخذت به فعلا
ينسب متفاوتة من انفتاح على مقومات
ومراحل نتاج هذا التقدم بكل أطرافه ، والوعى
بأساليبه ، ثم مجاراته بالمشاركة فيه ما أمكن

بالتطوير والابتداع والنشر ، ليس باللغة
العربية وحدها ، وإنما كذلك باللغات العالمية
التي يمكن نشره بها .

وعلى الصعيد العملى ، فلا شك فى أن
من صالح المجتمع أن تزوده الجامعات بالأعداد
الكافية من خريجيه المؤهلين لأعمال الترجمة
اللغوية والفنية ، حتى يساهموا بدورهم فى
تلبية متطلبات مختلف مشاريع التنمية التى
قد تتم فيها بالمشاركة مع هيئات أجنبية .

وتتبع الجامعات المصرية وسائل عدة فى
سبيل صقل وتنمية القدرة على الاطلاع والبحث
فى المراجع الأجنبية فيمن تتلقاهم من الطلاب ،
ويتفاوت هؤلاء الطلاب عادة فى مدى إلمامهم
بلغة أو أكثر من اللغات الأجنبية ، تبعا
لاختلاف استعداداتهم الفردية ، وملايسات
تربيتهم وبيئاتهم الاجتماعية ، ونوعيات
المدارس التى تلقوا بها مراحل التعليم قبل
الجامعى . وإذا ما استثنينا منهم من يلتحقون
بأقسام وكليات اللغات المتخصصة ، وأقسام
الترجمة فيها أمكن الاسترشاد بعدة وسائل
تجربى الاستعانة بها لتأهيل طلابها الباقين
تأهيلا مناسبيا بما تتطلبه دراساتهم الجامعية من
لغات أجنبية .

عبد العزيز صالح

عضو المجمع

تَبَيَّنَاتُ قَلْبٍ ... !! ★

للأستاذ حسن عبد الله القرشي

مَا لِدُنْيَاكَ غَادَرْتَهَا الْمَجَانِي	نَحْنُ هُنَا عَلَى الْعَدُوِّ قَائِمَا
وَسَطًا فِي رِحَابِهَا كُلُّ جَانِي	بِالْمَصِيرِ الرَّهِيْبِ وَالْحِذْلَانِ
عَرِيدَ الْهَوْلِ فِي ذُرَاهَا مُحِيقًا	أُرْهِقْتَنَا الْأَكْلَامُ مِنْ كُلِّ صَوْبِ
وَشَجَاهَا عَاتٍ مِنَ الطُّوفَانِ	وَدَهَقْنَا طَوَارِقَ الْأَخْزَانِ
فَإِذَا كُلُّ بَقْعَةٍ مِنْ تَرَى الْأَر	أَصْبَحَتْ أُمَّتِي الْعَظِيمَةُ بِالْأَم
ضٍ ، لَطَى يُسْتَشَارُ كَالْبِرْكَانِ	سِي قَطِيعًا هَشًا مِنَ الْحُمْلَانِ
حَيْثُ عَادَ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا غَابِ	أَصْبَحَتْ كَالْجُفَاءِ يَقْذُفُهُ السَّيْ
قَلْبُهُ فِي قَسَاوَةِ الصُّوَانِ	لُ فَمَا فِيهِ حِكْمَةُ الرِّيَانِ
جَمَدَتْ فِي عُيُونِنَا أَدْمُعُ الرَف	يَصْرُخُ النَّاعِقُونَ فِيهَا فَتَعْنُو
قِي قَعِشْنَا لِلْحِقْدِ وَالْأَضْغَانِ	وَهِيَ كَانَتْ جَمْرًا لِحَرْبِ عَوَانِ
وَنَسِينَا ثُرَاتِنَا ، وَهُوَ بَاقٍ	تَتَوَخَّى سَلَمَ الْعَدُوِّ فَتَنَائِي
وَخَلَّصْنَا لِلْكَيْدِ وَالْبُهْتَانِ	عَنْ مِرَاقِي كَسْرَامَةِ الْإِنْسَانِ
	كُلُّ سَلَمٍ مُسْتَمْتَعٍ مِنْ عَدُوٍّ
	هُوَ جَوْرٌ مِنْ قَادَةِ الطُّغْيَانِ

(*) أَلْقَيْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي الْجُلُوسَةِ الثَّامِنَةِ لِلْمَوْقَرِّ الْمُنْعَقِدَةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ٢٣ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ ١٤١٤ هـ الْمَوَافِقِ ٤ مِنْ أَيْرِيلِ (نَيْسَان) سَنَةِ ١٩٩٤ م .

أَوْغَلَ الْيَأْسُ فِي حِمَاها فَأَضْحَتْ

أُمْتِي وَالشُّجُونُ مَلءَ كِيَانِي

هَدَفًا فِي مَرَاجِلِ الْحَدَثَانِ

مَنْ وَرَائِي مَطِيفَةٌ وَأَمَامِي

وَشَجَاها الْخِلَافُ وَالْفُرْقَةُ الصُّدُ

وَالْمَأْسَى تَزَاحَمَتْ فَإِذَا الْأَفْ

سَمَاءُ ، وَالْكَيْدُ فِي هَوًى وَاضْطَغَانِ

تَقُ جَهَامٌ مُسْتَهْدَفٌ لَجْهَامِ

لَيْسَ يُرْسِي دَعَائِمَ الْجِدِّ فِيهَا

أَنَا مَهْمَا قُسُوتُ فِي عَذَلِ قَوْمِي

وَيَعْسِدُ الضُّمِيرَ لِلْوَجْدَانِ

وَتَأَلَّمْتُ مِنْ ضَيَاعِ مَرَامِي

وَيُجَلِّي مُرَّةً غَالِهَا الْخَطُ

وَعِزَا خَافَقِي الضُّبَابُ وَشَجَّتْ

سَبُّ وَيُذَكِّي مَشَاعِلَ الْإِيمَانِ

رَايَةُ النُّصْرِ هَيَّئَاتِ انْقِسَامِ

غَيْرَ قَيْضٍ مِنَ التَّأَخِي عَرِيقِ

فَهَمُّوْ كُلُّهُمْ مَلَاذِعِزِي الْآ

فِيهِ نَوْرٌ مِنْ حِكْمَةِ الْفُرْقَانِ

تِي وَمَا قَدْ ذَخِرْتُ مِنْ أَيَّامِي

فَإِذَا بِالضُّعِيفِ تَنْتَفِضُ الْقُوْ

لَسْتُ أَرْضَى لَهُمْ هَوَانًا وَيُشْجِي

هُ فِيهِ وَيَزْدَرِي بِالْهَوَانِ

خَافِقِي مِنْهُمْ انْثِلَامِ حُسَامِي

وَإِذَا كُلُّ مَا نَسِينَا مِنَ الْمَجْدِ

أَلِ (صَهِيونَ) أَنْ تَعْكُرَ صَفْوِي

لِي .. يُرَى مَآثِلًا لِكُلِّ عَيَانِ

دُونَ أَنْ تَسْتَشِيرَ بِأَسِ احْتِدَامِي ؟

فَنَرَى الصُّعْبَ أَيْسَرَ الْأَمْرِ فِينَا

تَزْرَعُ الْمَوْتَ فِي الْمَسَاجِدِ قَهْرًا

وَنُرَاعِي مَقْاصِدَ الرَّحْمَنِ !

بِالْجَوْرِ الْحِشَالَةِ الظُّلَامِ

وَتُنَادِي بِالسَّلَامِ مِضْمَرَةَ الْحَرْ

* * *

بِ ، وَتَدْعُو لِعُدَّةِ الْإِسْلَامِ

أَلَمِنْ دِفْئِهِ إِذَا مَسَّ قَرَرُ

من بلادى وزاده من طعامى ؟

أَنْ يُنَادَى - قَهْرًا - بنصر عدوى

ويمارى كرامتى ، وسلامى ؟

يترع المال فى خزائن خصمى

كى يَحْثُ الخُطى لَوَادِ عُرَابى

حَاضِنًا مِنْ شَرَاذِمِ الْبَغَى وَالْإِر

هَابِ مِنْ هَشْمُوا سَلِيمِ عِظَامى

كُلُّهُمْ رُغْمِ صَوْلَةِ الْقَدْرِ وَالْإِجْد

سَامِ رَهْنُ لِسَاعِقٍ مِنْ ضِرَامى

لَنْ يَعِيشَ الْبَاقِىَ وَفَى جُعْبَتَى الثَّأ

رُ وَجَيْشُ مِنْ الْأَسْوَدِ الْكِرَامِ

هَلْ دَرَى أَنْ كُلُّ ذَرَّةٍ رَمْلٍ

مِنْ دِيَارِى مَذْخُورَةٌ لانتقامى ؟

هُوَذَا جَيْلُنَا الْجَدِيدُ تَحْدَى

بَغِيَّةَ غَيْرِ آبِهِ لِحِمَامِ !

بِالصُّمُودِ الْعَبِيدِ يَفْتَرَعُ الْخَط

سَبَ ، وَلَا يَنْحِنِ لِسَهْمِ الرَّامِى

عَرَبِىُّ الْإِبَاءِ لَا يَرْهَبُ الْمَوُ

تَ ، وَلَا يَسْتَنِيمُ لِلْأَحْلَامِ

فِي سَبِيلِ النُّضَالِ وَالْوَطَنِ الْغَا

لِى ، وَفَى ثُورَةٍ وَفَى إِقْدَامِ

سَوْفَ يَمْضِى مُخَرَّرًا أَرْضَهُ الطَّه

رَ ، وَيَجْلُو مِنْ غَاشِيَاتِ الظَّلَامِ !

* * *

حَتَّى (مِصْرَ) الْعَلَاءِ فِي كُلِّ آنِ

بُورَةُ الثُّورِ ، جَمْرَةُ الْمَهْرَجَانِ

مَرْحَبًا (مِصْرُ) تَبِعَةَ الْإِحْسَانِ

دُرَّةُ الْكُونِ قَرَحَةُ الْأَوْطَانِ

نَتَهَادَى مِنْ كَوُثْرِ (النِّيلِ) شَهْدًا

وَكُؤُوسًا مِنْ نَشْوَةِ وَحْتَانِ

وَمِنْ الْعِلْمِ وَالشَّقَاقَةِ نَهْرًا

وَمِنْ الْقَنِّ رَائِعَاتِ الْمَثَانِ

هِيَ ذِي (مِصْرُ) رَبَّةُ الصُّوْلَجَانِ

وَمَرَادُ الثُّهَى ، وَسِحْرُ الْجِنَانِ

وَحَدِيثُ الْأَجْيَالِ سِرُّ الْحَضَارَا

وَأَرَأَقُوا لِدَعْمِهِ بِؤْيُوقَ الْعَيْتِ

ت ، وَكَنَزُ الْأَحْلَامِ فَيُضُّ الْأَمَانِي

سَن ، كَرِيْمًا بِفَرَحَةٍ وَامْتِنَانِ

(مِصْرُ) غَابُ الْأَسُودِ مِنْذُ قَدِيمِ

بِاشْتِقَاقِ الدُّرِّ الْفَرِيدِ مِنَ اللَّفِّ

وَدِيَارُ الْأَخْرَارِ ، وَالشُّجْعَانِ

نَظَرٍ تَجَلَّى وَهَجَ الْعَقِيقِ الْيَمَانِي

وَهَوَى الْقَلْبِ أَيْنَمَا حَفَقَ الْقَلْبُ

وَتَهَادَى قَلَانِدًا زَاهِيَاتِ

سَبْ ، وَمَسَرَى الْأَرْوَاحِ فِي الْأَبْدَانِ

أَيْنَ مِنْهَا قَلَانِدُ الْعَقِيَانِ

(مَجْمَعُ الضَّادِ) فِي ذُرَاهَا مُضِيءٌ

كُلُّهُمْ وَاسِعُ الْخَطِي فِي مَسَدَاهُ

بَرِيْعُ الْعُلُومِ وَالشَّعْرَقَانِ

لَا يُجَارَى فِي هِمَّةٍ وَاثْتِمَانِ

(مَجْمَعُ الضَّادِ) دُمْتَ صَرَحَ الْمَعَالِي

(مَجْمَعُ الضَّادِ) عَشْتٌ لِلضَّادِ حِصْنًا

مُسْتَعِزًّا بِشَامِخٍ مِنْ كِيَانِ

يَا ضَمِيرَ الْقُصْحَى وَعِطَّرَ شَذَاهَا

عِشْتَتَا بُسْتَانٍ رَفْعَةٍ وَأَمَانِ

وَارْتَوَاءَ الْمُتَشَشْرِفِ الظَّمَانِ

يَتَفَيَّأُ ظِلَالُكَ السَّمْحَةَ الطُّهَى

لَقْنَةُ الْمُصْحَفِ الْكَرِيمِ تَوَالِي

سَرَّ ، رَجَالُ النَّهْيِ حُمَاةُ الْبَيَانِ

فَيُنِضُّهَا رُغَمَ عَادِيَاتِ الزَّمَانِ

عَبَسَ قَسْرِيُونُ ، نَابِهُونَ هَوَاهُمْ

وَحَمَاهَا الْإِلَهُ طِيلَةُ عَمْرِالْ

فِي طِلَابِ الْعُلَى انْطِلَاقَ الْعِنَانِ

كَوْنٍ فِي جِدَّةٍ ، وَفِي عُنُقَوَانِ

شَاقَهُمْ مَهْدَكَ الْعُلَى فَأَهْدُوْهُ

حَسَنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيُّ

عَضُو الْجَمْعِ الْمُرَاسِلِ

ه مِنْ الْجُهْدِ زَاهِرَاتُ الْمَعَانِي

مِنَ السَّعُودِيَةِ

تعريب التعليم الجامعي* ()

ضرورات ملزمة ، ومنافع مؤكدة ، واعتراضات مُفَنِّدة

للأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد

١ - تقديم :

١-١ لغة تدريس العلوم في الجامعة
موضوع بالغ الخطر ، وليس من المبالغة في شيء أن نعتبره من أحقّ قضايانا بالدراسة الجادة والمناقشة المستفيضة والمواجهة الواقعية ، إذا ما أردنا أن نتلمّس طريقنا إلى تعليم جامعي حيّ فعّال ونهضة حضارية شاملة . والموضوع - كأيّة قضية ذات خطر - واسع ومتشابك الفروع ، وفيه وجوه من الرأي متعارضة . والمعول هنا على الموازنة الدقيقة بين عناصر السلب والإيجاب ، وبين الممكن المستطاع والمتعذر أو المستحيل .

١-٢ ونداؤنا بأن تكون اللغة العربية لغة تلقى العلوم في المرحلة الجامعية الأولى ليس مبعثه نكرة قومية ، أو اعتزازاً باللغة العربية وغيره عليها (وهي جديرة بهما ، ولاريب) ، وإنما هو استجابة لضرورات ملزمة ، ولتجنب أضرار بالغة وتحقيق فوائد مؤكدة . وسنتناول أهم جوانب القضية - في حدود الوقت المتاح -

بالمناقشة الموضوعية الهادئة . وكدت أحجم عن الكلام فيها ، قنوطاً من جدوى تكراره ؛ فقد سبقني إليه جيل من أساتذتي الرواد الأجلاء وكوكبة من قادة الفكر العربي ، كما أنني عاودت مراراً الحديث والكتابة حولها (مثلاً : عبد الحافظ حلمي محمد ، ١٩٧٦ ، ١٩٨٠ - أ ، ١٩٨٨) . ولكن السذى استحشني هو تجدد الرجاء ، وأن هذه هي أول مرة أعرض فيها حكاية تجربتي الخاصة واجتهادي الشخصي ، أمام هذه الهيئة العليا الموقرة . وما أقوله الآن ليس - على أية حال - بقول « جهيزة » ، وما هو بفصل الخطاب .

١-٣ ولا أحاول في هذه العجالة تأكيد ما هو ثابت من كفاءة اللغة العربية كفاءة تامة للوفاء بمتطلبات العلم والحضارة . ولكنني آثرت أن أقتبس هنا ما سجله الأستاذ « رسل » ، من معهد « ولكوم لتاريخ الطب »

(*) ألقى البحث في الجلسة الثامنة للمؤتمر المنعقدة يوم الاثنين ٢٣ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٤ من أبريل

(نيسان) سنة ١٩٩٤ م .

بلندن ، فى معجم حديث لتاريخ العلوم باللغة الإنجليزية . فبعد أن استعرض الأستاذ المعالم الأساسية للعلم الإسلامى ، قال ما ترجمته :
« وكانت العربية هى أداة هذا النشاط العلمى كله . فلما كانت اللغة العربية لغة القرآن ، أصبح لها أهمية خاصة فى الإسلام . بيد أن طبيعة اللغة العربية نفسها هى التى قامت بالدور الحاسم . فمرونتها الرائعة قد مكنت المترجمين من دمج مفردات محددة دقيقة للمصطلحات العلمية والتكنولوجية أو ابتكارها . وهكذا اتخذت لغة للشعر اللغة العالمية للعلم والحضارة »

(G . A . Russell, 1981: p . 215).

٢ - تدريس العلوم بلغة أجنبية فيه صعب جمة ومثالب بالغة :

١-٢ اللغة العربية هى لغة التعلم فى مراحل التعليم العام القومى كلها فى مصر ، وكذلك هى فى كثير من المعاهد العليا والكليات الجامعية . وينص قانون تنظيم الجامعات المصرية على أن اللغة العربية هى لغة التعليم فيها ، « وذلك ما لم يقرر مجلس الجامعة فى أحوال خاصة استعمال لغة أخرى » . ولكن يبدو أن هذا الاستثناء

المقيد لم يزل فى بعض الكليات - وخصوصا كليات العلوم والطب والهندسة - هو القاعدة .
٢-٢ ولا شك أن تمكّن الباحثين وطلاب العلم من لغة أجنبية ذائعة له مزاياه الكبرى ، التى من أبرزها توثيق أواصر اتصالهم المباشر بموارد ثرية ثرة متجددة تُنشر بتلك اللغة . بيد أننا نعلم أن الكثرة الغالبة من طلاب الجامعة فى مصر قد أصبحوا الآن بعيدين كل البعد عن هذا التمكن . وأمام هذا الموقف المحرج ، يضطر الأستاذ المحاضر إلى صرف جزء كبير من وقت المحاضرة فى تفسير ألفاظ وتراكيب إنجليزية عادية ، وإلى اللجوء إلى الشرح والتعليق باللغة العربية - أو العامية - مضمنا كلامه هنا وهناك ألفاظا مفككة وجعلا بتراء باللغة الإنجليزية ، ومتجنبيا على قدر الإمكان الألفاظ والعبارات الدقيقة التى تورطه فى هذا كله . ويعلم الطالب أن المذكرة الرديئة الطباعة أو الكتاب « المقرر » - إن وجد - مستعصيان عليه ، وأن سهرته مع المعاجم - إن كان عنده بعضها - سوف تكون طويلة ، فيلهث وراء المحاضر محاولا تسجيل كل كلمة يتسقطها منه ، فى بنیان غير محكم . ولأنه يدرك أيضا عجزه الكامل عن طلاقة التعبير

باللغة الإنجليزية ، يلجأ إلى استظهار ما دون
أو قرأ - على علاقته - استظهاراً ، دون فهم
حقيقى واستيعاب عميق . وهكذا حين ينبغي
للتألم الجامعى أن يخلق إلى آفاق واسعة
وتتعمق إلى أغوار بعيدة ، نجد اللغة الإنجليزية
قيداً له محدداً لأبعاد دراسته كما وكيفاً ،
ومهدداً للتعليم الجامعى بالسطحية والضعف .

٢-٣ ولم يكن هذا حالنا حين كنا نطلب
العلم فى الجامعة ، فقد كانت حصيلتنا من
اللغة الإنجليزية لا بأس بها ، وكنا نلقى
دروسها فى المرحلتين الابتدائية والثانوية ،
وكان بعض أساتذتنا من الإنجليز . ومع ذلك
وعت ذاكرتى - على ضعفها - القصة التالية
التي حدثت منذ نحو نصف قرن :

طلب منا أستاذنا أن نحدد بعض
مصطلحات الجيولوجيا ونناقشها ، فرحنا
نستفتى المراجع - وكان ذلك مستطاعاً فى
تلك الأيام . وعند مناقشة تعريف مصطلح
« الماجما » (أو الصهارة) ، قال زميل ،
رحمه الله ، ما معناه بالإنجليزية : « هى مادة
الصخور فى باطن الأرض تشبه البوردج فى
قوامها ... إلخ » . وكان أستاذنا - رحمه الله
- لماحاً ساخراً لاذعاً ، فلم تفتته المناسبة ،

وسأل زميلنا المسكين : « ما معنى بوردج ؟ » .
وما كنا فى ذلك الوقت ذقنا البوردج الإنجليزى
أو غمسنا فيه إصبعاً أو أدركنا ملعقة حتى
نعرف قوامه ، فقال زميلنا ، فى بساطة وخفة
ظل : « أنا عارف ! أهى مكتوبة كده ! » .
ونقش فى ذاكرتى المغزى العميق لتلك الحادثة ،
حيث انقلب التشبيه من وظيفة فى بيان
المجهول بالمعروف إلى زيادة فى التجهيل !

٣-٤ هذا عن وظيفة اللغة الإنجليزية فى
التحصيل والاستيعاب ، أما عن وظيفتها من
حيث اكتساب الطالب مقدرة على التعبير البين
الصحيح ، والمحاكاة وتقليب الآراء وإعمال
الفكر ، فإننا ندرك أنها قيسد على طالبنا
فى هذا كله عندما نجده ، فى حلات النقاش ،
ملجأ اللسان محجماً عن السؤال أو الجواب .

وإن ما نُبتلى كل عام بقراءته من إجابات
طلابنا فى امتحاناتهم ، يجعلنا نرثى
لما يعانون فى محاولتهم التعبير عن أنفسهم ،
ويدعوننا أيضاً للثناء لأنفسنا لما نعانيه فى
تبين ملامح ما يُجهدون أنفسهم فى محاولة
الإفصاح عنه . وهذا أمر يضعنا فى النهاية

فى موقف محير ، بين ما توجهه علينا ضرورات الحكم الدقيق وما يدعونا إليه العدل والإنصاف - ولا أقول الرأفة - من عدم تحميل طلابنا وزرا لعلهم آخر من يؤخذ بجريته .

٢-٥ وأذكر القصة التالية : فى جامعة عربية تُعدُّ فى الصف الأول بين نظائرها ، عُرضت أوراق إجابة طلاب درجة البكالوريوس على أستاذ إنجليزى ، فكتب فى تقريره ما ترجمته ، : « إننى لم أستطع أن أتعرف الرؤوس من الأذنان فيما كتبه هؤلاء الطلاب » . ولكنه أرف ، بعد هذه الصراحة المريّة ، بجملة فيها مجاملة وفيها مغزى ، فقال : « ... ولكننى ما أظن أننى سوف أكون أكثر توفيقا لو أنه قد طلب إلى أن أكتب بالعربية ! » . وكأنتى بالأستاذ الأريب أراد أن يقول : « لماذا تفعلون هذا بأنفسكم وبأبنائكم ؟ » وفى حوار لى مع الدكتور « دانيلز » ، الأديب واسع الثقافة الذى كان مديرا لمكتب المجلس البريطانى فى القاهرة فى السبعينيات ، أحس الرجل كأنتى أقف موقف المدافع مبررا دعوتى لتعريب التدريس فى كليات العلوم ، فقال لى : « لاشك أن الحق معكم ، وأخبر زملاءك أننا غير راضين عما تفعلونه بلغتنا ! » .

٢-٦ واللغة - على أية حال - ليست أمرا ثانويا فى حياة الإنسان ، أو مجرد أداة تواصل فى مجتمعه ، بل هى قوام فكره ووجدانه ، وصناعة قيمه وعقائده . ويقول « كلود ليڤى - ستراوس » ، أحد قادة الفكر فى فرنسا : « حين نقول الإنسان ، فإننا نعنى اللغة . وحين نعنى اللغة ، فإننا نقصد المجتمع » . ودراسة العلوم بلغة أجنبية تضىف هذا الوصف « الأجنبى » على العلوم نفسها ، فما يحس الطالب إحساسا عميقا بأنها شىء ينتمى إليه أو إلى بنى قومه ، بل إنها أقحمت على ذاكرته إقحاما ، فأثارها سريعا ما تزول . وحتى إذا استعمل خريجنا ما تعلم استعمله فنيا ومهنيا ، ولا يكون العلم والأسلوب العلمى جزءا عضويا من كيانه الفكرى والسلوكى .

وهذه القيود المحددة ، وتلك الغربة ، قد تقتل فى طالبنا ما فطر عليه من مقدرة على الإبداع والابتكار ، إن لم تكن أساليب التعليم العام قد أجهزت عليها قبل التحاقه بالجامعة .

٣ - اعتراضات مقيّدة :

٣-١ لعل مشكلة المصطلحات العلمية العربية هى أول ما يُحتج به اعتراضا على تعريب تدريس العلوم . وهذه المشكلة مبالغ

فيها كثيرا ، فقد توافر من هذه المصطلحات ألف وألف ، وصنفت في معجمات من هنا وهناك ، وتعريب التعليم سوف يُرى هذه الألف ويروّج تلك المعجسمات . ثم إن المصطلحات ، بأية لغة كانت ، ليست هي - على أهميتها - جوهر قضية التعريب ، حتى إن ظلت ، أو ظلّ بعضها ، غير مترجم أو معرّب ، وإنما المشكلة - كل المشكلة - هي اللغة من حيث هي وسيلة الطالب في التلقى - قراءة أو سماعا - ، وفي الاستيعاب والتعبير ، بل في التفكير والتصور أيضا ، كما قدمنا .

٢-٣ ويُحتج أيضا بغرابة بعض المصطلحات العربية ، كأسماء العظام والعضلات ، ولكن واعجبا ، أهي أشد غرابة عليهم من مقابلاتها اليونانية واللاتينية ؟ إنما هي ألفة الاستعمال التي تذهب هذه الغربة . وثمة وهم آخر ، وهو أن المصطلح العربي لا يؤدي في بعض الأحيان المعنى الذي يؤديه المصطلح الأجنبي . ويبدو أنهم يتناسون أن المصطلح لا يعدو أن يكون عنوانا أو رمزا لفكرة شاملة أو صورة مملوءة بالتفاصيل التي لا يعبر المصطلح ، بمجرد

معناه الحرفي ، إلا عن أدنى شيء من هذا كله ، بل إنه قد يتجاوز معناه اللغوي تماما . ويحتج أيضا بضرورة التوحيد والإجماع في استعمال المصطلحات في أقطار الوطن العربي ، وهو موضوع يكثر فيه الجدل ، وينال الكثير من العناية في مؤتمرات مجمعنا ، وفي غيره من المجامع والهيئات ، ولكنه - فيما أعتقد - لا يعوّق تعريب تدريس العلوم ، كما قدمت .

٣-٣ وما يساق أيضا أن الإنجليزية تُتخذ لغة لتدريس العلوم ، لأنها توفر لقارئها مددا غنيا متجددا من المراجع . ولكننا إذا تأملنا واقع الحال نجد أن اللغة الانجليزية قد أصبحت ، لقدرة الطالب المحدودة جدا فيها ، أغلالا يرسف فيها الطالب مقيدا في متن واحد ضيق حاول أستاذه جاهدا أن يذللّه له ، ولا تمكنه قدراته اللغوية من ارتياد سواه . وعلى نقيض ذلك تماما ، لن تكون اللغة عائقا أمامه للاستزادة من مراجع متعددة باللغة العربية لو أنه تعلم بها .

٤-٣ وقد يُعترض بعدم وجود عدد كافٍ من المؤلفات في العلوم باللغة العربية . ولا شك أنه ينبغي إثراء مكتباتنا بتراجم جيدة لأمّهات الكتب العلمية ، ويكتب مؤلفة تقدم

آخر منجزات العلوم ومستحدثاتها ، معروضة عرضاً حسناً يناسب مستويات الطلاب الذين تقدم لهم ، ومتضمنة أمثلة من بيئتنا ، ومتعرضة لمشاكلنا الإقليمية الخاصة ، ثم تُحدثُ طبعاتها المتلاحقة . والواقع أن هناك جهوداً كثيرة مبعثرة ، قد أجهض عدم تعريب التدريس كثيراً منها أو أهدر ثمارها ... وهكذا تدور الدائرة المفرغة . وقد قرأت أن الوزير الأديب الدكتور محمد حسين هيكل ، أصدر عام ١٩٣٨ قراراً بتعريب التدريس في الجامعة ، ولكن كلية الطب طلبت استثناء لمدة عشر سنوات حتى يتم وضع المصطلحات العربية وتؤلف الكتب الجامعية . وواضح أن هذه المهلة قد جددت آلياً وتناولت إلى أكثر من نصف قرن !

٣-٥ وفي جولات من الجوار ، اتضح لي أن كثيراً من طلاب كليات العلوم يتمسك بالتعلم باللغة الإنجليزية ، مع عجزه عنه ، لتصوره أنه مستوى أرقى يميزه عن المتعلمين بالعربية ... وهذا بالقطع وهم باطل . ومن ناحية أخرى ، اتضح لي أن بعض المعارضين من الأساتذة يتعللون بعدم استطاعتهم التدريس باللغة العربية ، ولكن

اتضح لي أيضاً أن معظم هذا الاعتراض راجع إلى اختيارهم الطريق الأقصر والأيسر لهم ، فهم قد تعلموا بالإنجليزية ومراجعهم إنجليزية ، ويشكل التعريب عبئاً إضافياً عليهم . ولكن هذه الدائرة المفرغة أيضاً ، ينبغي أن تكسر في حزم .

٣-٦ وكثيراً ما يقال عن « استراتيجيات » تعريب العلوم ، على المستويات القطرية والإقليمية (انظر ، مثلاً : مصطفى الفيلاي ، ١٩٨٢) وهو جدير بالدراسة .

ولكنني أعتقد أن « الاستراتيجية » المثلى قد تكون الشروع بلاتوان ، مع دفعة جديدة من طلاب الجامعة ، فيدور الدولار ، وتُلبي الحاجات ، وتُسد الثُغَر ، وتُفتق الحيل ، ثم تنمو الخطة وتتكامل مع مضي طلاب تلك الدفعة في التعليم عاماً بعد عام . (انظر أيضاً : ٥-٤ ، ٦-٢) .

٣-٧ وقد يقال إن الحلّ البديل للمشكلة كلها هو رفع مستوى الطلاب في اللغة الإنجليزية ، ولكن محاولتنا المتكررة والمتباعدة الوسائل لتحقيق هذا الهدف في كلياتنا ، لم تثمر - للأسف - ما كنا نبتغيه . وقد يقال إن أصل الضعف في اللغة سابق للجامعة ،

فيجب معالجته في التعليم العام . ولكن هذا الحل غير عملي وغير صائب أيضا . فإتقان القاعدة العريضة لطلاب التعليم العام لغة أجنبية يتطلب الاهتمام بها منذ بواكير سنى التعليم ، وهذا أمر غير مستطاع بعد أن اتسع التعليم العام . بل إنه ، حتى إن كان مستطاعا ، يُعدُّ أمرا فيه عيوب نفسية وتربوية ، ومضارٌ قومية وخسائرٌ في الجهد والمال . فما هي جدوى تعليم أبناء شعب بكاملهم لغة أجنبية لن تستفيد الكثرة الغالبة منهم منها بشيء ، مع الاعتداء على جزء نفيس من وقت الطفل وإدراكه ينبغي أن يصرف كله في تربيته تربية قومية متكاملة ؟

٤ - منافع مؤكدة :

٤-١ قد ثبت عندى ، فيما يشبه التجربة العلمية المقصودة ، أنه عندما درُست مقررًا جامعيًا مُعينًا لجماعتين من الطلاب متكافئتين على وجه العموم ، تلقته إحداهما بالعربية وتلقته الأخرى بالإنجليزية ، كانت حصيلة طلاب المجموعة الأولى أكبر ، وفهمهم للموضوع أتم وأعمق ، في وقت أقصر وبجهد أقل .

٤-٢ واللغة - كما قدمنا - عنصر رئيسى للكيان الذهنى والعاطفى للإنسان ، ولذلك كان

من مزايا التدريس بلغة المتعلم الأصلية ، أنه يجعل عملية التعلم أقرب إلى التمثيل البيولوجى السوى للغذاء ، تحيل العلم جزءا من صميم البناء الذهنى للمتعلم له آثار أبقى وأقوى وأصل وأعمق ، فتجتمع عنده أدوات المقدرة على التحليل والمناقشة والنقد ، وعُدة الابتكار الأصيل . كذلك يصبح تعلم العلم عنده معرفة وثقافة ، فضلا على كونه تخصصا أو مهنة .

٤-٣ ويمكننا أن نتصور لغة العلم مركزا لأربع دوائر متداخلة : فى الأعمال والمهن العلمية ، وفى نشر الثقافة العلمية ، وفى تدريس العلوم ، ثم - رابعا - فى البحث العلمى ونشر نتائجه . وتدرس العلوم بالعربية يزيد من تأزر الدوائر الثلاث الأولى ، فمن « تعلم » بالعربية ، لن يكون عسيرا عليه أن « يعمل » بالعربية ، وأن « يعلم » بالعربية وأن يقوم بدوره فى العطاء والإسهام فى نشر الثقافة العلمية بين بنى وطنه .

٤-٤ إن تدريس العلوم فى الجامعة باللغة العربية سوف يُزيل الحواجز بين طبقة المتخصصين الجامعيين ومن يليهم من الفنيين وأمناء المعامل والمساعدين . وهذا سوف يزيد

من كفاءة الأعمال العلمية بصفة عامة ، ثم إنه يتيح لطبقة الفنيين الوسطى أن تفيد من خبرات رؤسائهم الجامعيين وعلمهم ، وتفتح لهم أبواب الاطلاع على الكتب الجامعية المنشورة بالعربية ، فيستكملون ما ينقصهم ويحرزون تقدماً أصيلاً في فنونهم .

٤-٥ ونحن الآن نعيش عصر العلم . ومن المؤكد أن شيوع تدريب اللسان القومي والقلم القومي والفكر القومي على تناول قضايا العلم ضرورة من ضرورات العصر ، إذ أنه يمكن المواطنين - في جملتهم وعلى تنوع وتباين مراتب ثقافتهم - من أن يعيشوا عصرهم ويحسنوا فهم قضاياهم . وهذا يسهم بدوره أيضاً في عبور الفجوة أو الجفوة بين « أهل الثقافتين » التي عبر عنها C . P . Snow في أوائل الستينات (عبد الحافظ حلمي محمد ، ١٩٨٠ - ب) مما يعنى زيادة في ترابط الأمة .

٤-٦ وتدرّس العلوم بالعربية في الجامعة ، فيه خدمة جليلة للغة العربية نفسها . فهذه اللغة المشرفة قد حفظها الله بحفظ قرآنه الكريم ، ولكن خدمتها وإغنائها وتجديد حيويتها بحسن توظيفها في قضايا الحياة

المتجددة في عصورها المتعاقبة ... يظل هذا كله أمانة مفروضة على أبنائها في كل عصر . والحق أن أسلافنا في عصور الإسلام الزاهرة قاموا بحقوق هذه الأمانة على خير وجه ، وينبغي ألا نقصر نحن في إسهامنا بدورنا التاريخي نحوها . وإننى أعشق أن أنجح المصطلحات العلمية العربية هي التي تتولد في سياق الترجمة والتأليف ، فهي تولد حياة تلبى حاجة قائمة لمقابلة مصطلح أجنبي قد يكون بالغ الحداثة .

٤-٧ وهذه المنافع التي عرضتها تتفق في جوهرها وما قدمه لنا الزميل الفاضل الأستاذ الدكتور كمال بشر منذ أيام ، في بلاغة واقتدار ، عندما أكد لنا أن التعريب اللغوي للعلوم مطلب قومي ، ومطلب علمي ، ومطلب لغوي ، ومطلب اجتماعي . وأضيف فأقول إن التعريب اللغوي - وهو مناط اهتمامنا الأول في مجتمعنا هذا - هو ، كما قدمت ، الخطوة الأساسية نحو تعريب العلم بمعناه الشامل وتأصيله في مجتمعنا : أخذاً وتمثيلاً وعطاءً وتطبيقاً . أما الخطوات التالية فهي مسئولية الجامعات والأكاديميات ومراكز البحوث ، التي تستطيع أن تستثمر شباب العلماء الذين حسن إعدادهم .

٥ - اللغة العلمية العربية فرض عين على
دارسى العلوم والمشتغلين بها عندنا ، أما اللغة
العلمية الأجنبية فهي فرض كفاية :

٥-١ ولكن علينا ، ونحن ننادى بأن
نحجابه واقع الحال وألاً ندفن رؤوسنا فى
الرمال ، أن نحذر - فى الوقت نفسه -
أن نتعالى بها أكثر مما ينبغى نحو عنان السماء .
إذ أنه يتحتم علينا أن نحافظ على قنوات
الاتصال بالعلم العالمى كلها مفتوحة جارية .
وعلىنا أن ندرك أن بعض اللغات الأجنبية
(خصوصاً الإنجليزية) سوف تظل أمداً طويلاً
وسائل نشر البحوث العلمية والاتصال
بالأوساط العلمية العالمية . ومن ثم كان لزاماً
على الصفوة المختارة للبحث العلمى والدراسات
العليا والقيادة العلمية أن تتقن لغة أجنبية .
وهذه هى الدائرة الرابعة من دوائر لغة العلم
الأربع التى ذكرتها .

٥-٢ والذين يلتحقون بالدراسات
الجامعية العليا قلة ، فضلاً على تميزهم
النسبى ، وتحدد خط مستقبلهم العلمى
والعملى . وهذا كله يجعل العمل على إتقانهم
لغة أجنبية أمراً ممكناً من ناحية ، وعملاً مجدياً
من ناحية أخرى . فهؤلاء هم الذين يطلعون

ويبحثون وينشرون ؛ أما عامة خريجينا فقلما
يطلب منهم ، أو يتاح لهم شىء من هذا .
ولهذا ينبغى أن يكون إتقان لغة أجنبية من بين
الأهداف البارزة عند إعداد طلاب الدراسات
العليا ، وينبغى أن تتخذ كل الوسائل الكفيلة
بتحقيقه . ولا بأس من أن يتفرغ أولئك
الطلاب زمناً يبذلون فيه جهداً مكثفاً لبلوغ هذا
الهدف . ومما يشجعنا على هذا الرأى أننا رأينا
بعضاً من شبابنا أوفدوا إلى بلد لا يعرفون من
لغة أهله شىئاً ، وإذا بهم ، بعد أن عاهد بهم
إلى مدرسين خبراء بوسائل التعليم اللغوى
المستحدثة ، قد أصبحوا بعد أشهر معدودات
أكفاء لإنجاز مهامهم العلمية بنجاح . وقد يُنظر
فى أن تفرض الجامعات على طلاب الدراسات
العليا فى العلوم أن يحرزوا مستويات محددة
فى بعض الاختبارات العالمية للغة الإنجليزية .
وهذا متبع فى بعض البلاد ، وأعتقد ألا غبار
عليه .

٥-٣ والعلميون الأكفاء فى اللغات
الأجنبية واللغة العربية هم الذين يمكن أن يُعهد
إليهم بأعمال الترجمة العلمية أو التلخيص
والعرض باللغة العربية لنتائج بحوث إخوانهم
العرب المنشورة باللغات الأجنبية ، وكذلك

للفيض المتدفق من الأعمال العلمية العالمية .
وُرجع في هذا الأمر للخطة المحكمة
التي رسمها أستاذى الدكتور محمود حافظ
فى بحثه القيم الذى قدمه إلينا بالأمس القريب .

٥-٤ وأخيراً ، أعتقد أنه من الخير أن يُنظر
فى أن تتفرد إحدى الجامعات المصرية بالعناية
بتدريس العلوم باللغة الإنجليزية ، أو أن
تخصص شعب معينة فى بعض الكليات لهذا
الغرض (وهى التى تستقبل الطلاب الوافدين
من غير الناطقين بالعربية ، والراغبين من
الطلاب المصريين الذين أتموا دراستهم الثانوية
فى الخارج أو فى مدارس اللغات) . وغنى
عن القول ، أنه يجب أن يُعتنى بأن يتابع
طلابنا الذين يدرسون باللغة العربية اهتمامهم
باللغة الإنجليزية العلمية فى دروس معينة ،
وأن تعرض عليهم على الدوام المصطلحات
الأجنبية للعلوم التى يدرسونها .

٦ - خاتمة وتوصية :

٦-١ إن تعريب تدريس العلوم فى الجامعة
أصبح ضرورة ملزمة ، حتى إن ظن البعض أنه
ليس الوضع الأمثل . والاعتراف بهذه النتيجة
هو ما تليده علينا النظرة الموضوعية العملية
الشجاعة للقضية . ونحن لا نكاد نعرف بين
أمم العالم ، صغیرها وكبیرها ، أمة تقدم العلم
لأبنائها بغير لغتهم سوى ما يحدث فى بعض

الجامعات العربية . فلا صعوبة كتابة اللغة
اليابانية ، مثلاً ، ولا صغر وحجم بعض
دويلات أوروبا ، مثلاً ، قد حالا دون أن
تكون اللغة القومية هى لغة تدريس العلوم
فى تلك البلاد .

٦-٢ وكثيراً ما نسمع أن تعريب تدريس
العلوم فى الجامعات لا بد أن يكون قراراً
سياسياً . وأقول : نعم ، ولكن ينبغى أن يكون
هذا القرار صادراً من القيادات الجامعية .
فأقترح أن تُجمع آمالنا وآراؤنا فى هذا الصدد
وتقدم إلى السيد وزير التعليم ، وقد لمسنا
تعاطفه مع قضايا اللغة العربية ، برجاء أن
يحيل سيادته الأمر برمته إلى المجلس الأعلى
للجامعات لكى يضعه موضع الدراسة الجادة
الناجزة - فى غير تباطؤ أو تعجل - لمجالس
الجامعات والكليات والأقسام المعنية به ،
توطئة لاتخاذ القرار عن اقتناع وبيئة ، وعلى
أن يكون من أركان خطة التعريب المقترحة ،
الشروع بلا توانٍ فى تنفيذها مع دفعة جديدة
من الطلاب ، كما تقدم .

اللهم هبى لنا من أمرنا رشداً ، وأنت -
سبحانك - وليُّ التوفيق .

عبد الحافظ حلمى محمد

عضو المجمع .

مراجع:

- عبد الحافظ حلمى محمد - ١٩٧٦ . « اللغة العربية لغة للعلم » . « مجلة العلم » .
القاهرة ، ٣ : ١٧ - ١٩ .
- عبد الحافظ حلمى محمد - ١٩٨٠ - أ . « لغة تدريس العلوم فى الجامعات » . فى :
« تعريب التعليم الجامعى والعالى » - الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية ، القاهرة :
١٥٣ - ١٥٩
- عبد الحافظ حلمى محمد - ١٩٨٠ - ب . « الفجوة المتوهمة بين الدين والعلم » . المؤتمر
السنوى للمجمع المصرى للثقافة العلمية ، القاهرة . الكتاب السنوى للمجمع ، ٤٩ (١٩٧٩) :
١٧ - ٣٧ .
- عبد الحافظ حلمى محمد - ١٩٨٨ . « تعريب تدريس العلوم ضرورة ملحة » . رسالة كلية
العلوم ، جامعة الكويت ، ٢٠ (١) : ١ - ٢ .
- مصطفى الفيلالى - ١٩٨٢ . « نحو استراتيجية للتعريب فى الوطن العربى » . فى :
« التعريب ودوره فى تدعيم الوجود العربى والوحدة العربية » . مركز دراسات الوحدة العربية ،
بيروت : ٤٦٧ - ٤٩٥ .

G . A. Russell . 1981 . " Islamic Science " In : Dictionary of the History of
Science (eds . : W . F . Bynum) E . J . Brown, Ray Porter . The Macmillan
Press, London .

* *
* * *

الترجمات والمترجمون

فى كتاب « الفهرست » (*)

للأستاذ الدكتور بدوى طبانة

وقد منحهم الله القدرة على التمييز ،
ليأخذوا بأحسن ما يجدون ، ويطرحوا ما لاخير
فيه ، ليكونوا بحق خير أمة أخرجت للناس
هداة مهتدين .

وبين أيدينا أثر فى مقدمة الآثار التى تدل
على شغف هذه الأمة بتنويع المعرفة ، وولوعهم
بتحصيل مائد منها ، وحرصهم الشديد
عليها ، وركوبهم الصعب فى سبيل البحث
عنها ، وبذلهم ماغلا من الجهد والمال فى
اقتنائها ونقلها إلى لسانهم العربى فى عصر
كان يسود فيه ظلام العصور الوسطى فى أوربا
وغيرها من بلدان العالم القريب والبعيد .

ويمثل هذا الأثر مفتاحاً من المفاتيح التى
تفتح الطريق إلى الكنوز العلمية التى عرفتها
الأمة العربية ، وعرفت بها البشرية فى أزمنة
طويلة امتدت إلى ما قبل وفاة صاحب هذا
الأثر ، وأعنى بهذا الأثر أو بهذا المفتاح كتاب
« الفهرست » .

ليس من الجديد أن يقال إن العصر العباسى
كان أزهى عصور الحضارة فى تاريخ العرب
والمسلمين ، وليس من الجديد أن يوصف هذا
العصر بأنه العصر الذهبى فى ذلك التاريخ
الذى اتسعت فيه دولتهم ، وتمكن سلطانهم فى
الشرق والغرب ، وهم يحملون معهم رسالة
الإسلام ، ويرفعون راية التوحيد ، وينشرون
أضواء المعرفة ومبادئ الحق والعدل ومكارم
الأخلاق ، ليملئوا الدنيا هداية ونوراً بعد أن
امتلات ضلالة وجوراً وظلاماً .

وكان العلم بغيتهم فى كل مقصد ،
وإمامهم فى كل سبيل ، وزادهم فى كل رحلة
فى ملكوت الله ، يبذلون ما علمهم الله ،
ويطلبون ما عند غيرهم من الأمم التى سبقتهم
إلى التحصيل أو التفكير ، وفى تراثها الجيد
والردى ، والحق والباطل ، والنافع والضار .

(*) ألقى البحث فى الجلسة العاشرة للمؤتمر المنعقدة يوم الثلاثاء ٢٤ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٥ من
أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ م .

« والفهرست » كلمة فارسية معناها الكتاب الذي تجمع فيه أسماء الكتب مرتبة بنظام معين . ويقول مؤلفه موضحاً مضمونه في خطبة كتابه بقوله :

« هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود فيها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم ، وأخبار مصنفاتها ، وطبقات مؤلفيها وأنسابهم وتاريخ مواليدهم ، ومبلغ أعمارهم ، وأوقات وفاتهم ، وأماكن بلدانهم ، ومناقبهم ومثالبهم منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا ، وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة . »

ومؤلف « الفهرست » هو محمد بن إسحاق النديم ، ذكره ياقوت في كتابه « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » المعروف باسم « معجم الأدباء » (ج ١٨ ص ١٧) بقوله « كنيته أبو الفرج ، وكنية أبيه أبو يعقوب ، مصنف كتاب « الفهرست » الذي جود فيه واستوعب استيعاباً يدل على اطلاعه على فنون من العلم ، وتحقيقه لجميع الكتب ، ولا أبعد أن يكون قد كان وراقاً يبيع الكتب وذكر في مقدمة هذا الكتاب أنه صنف في سنة سبع

وسبعين وثلاثمائة . وله من التصانيف فهرست الكتب ، وكتاب التشبيهات . وكان شيعياً معتزلياً » . ١٠ هـ .

ويقول عنه جرجي زيدان في « تاريخ آداب اللغة العربية » (ج ٢ ص ٣١٥) « ابن النديم ، توفي نحو سنة ٣٨٥ هـ ، هو أبو الفرج محمد بن إسحاق بن يعقوب النديم الوراق البغدادي ، صاحب الفضل الأكبر على تاريخ آداب اللغة ، لأنه أول من دونها منذ نحو ألف سنة في الفهرست . ولولا هذا الكتاب لضاع أخبار كثير من آداب هذا اللسان ، فهو أول من ألف في آداب اللغة ... » .

* * *

ويتضمن « الفهرست » عشرة أجزاء ، أو عشر مقالات كما سماها المؤلف ، وقد عرض في كل مقالة منها جنساً من أجناس المعرفة الإنسانية ، وقسم كل جنس منها إلى فنون ، أحصى في كل فن منها أسماء الكتب التي ألفت فيه ، وأسماء مؤلفيها ، ولم تكن عملية الإحصاء أو الاستقراء عملية هينة كما قد يتصور ، لأنها تتطلب

معرفة واسعة بقنون العلم ، واطلاعا واسعا على مصادر كل فن منها ، وذلك ما يكبر شخصية ابن إسحاق ، ويدعو إلى الإشادة بقدرته الفائقة على التتبع والاستقصاء ، كما يدل في الوقت نفسه على عظمة هذه الأمة التي استطاعت عقليتها أن تستوعب تلك المعارف الكثيرة المتنوعة في فنونها ، والمتعددة في مصادرها ، وتؤلف فيها حتى خلفت هذا التراث الضخم الذي يبعث على الدهش ، ويثير الإعجاب بما يدل عليه من يقظة الفكر ، والتعلق بالمعرفة ، الذي أثمر هذا الحشد الهائل من كتب التراث التي صنفها الأسلاف في قرنين أو ثلاثة من القرون ، وهي مساحة محدودة في حساب الزمان ، وفي تاريخ الحضارات التي لاتؤتى أكلها إلا بعد قرون من الجدّ الموصول .

ومما يدعو إلى الأسى أن كثيراً من تلك المصنفات قد عدت عليه عوادي الزمان ، وما أكثرها في تاريخ العرب والمسلمين ، ومنها الحروب المدمرة ، والغزوات المتلاحقة الطامعة والحاكمة ، وكفى سقوط بغداد في أيدي التتار ، والقاروق نفاثس الكتب يتخذونها

معايير لهم في أمواه دجلة ، ثم الإهمال في صيانتها ، وتركها لعبث العث والأرضة ، وبيعها لمن يجهل قيمتها ..

وحسب « الفهرست » الذي نجا أكثره من تلك الكوارث أن يكون السجل الباقي الذي حفظ لنا أسماء تلك الآثار العافية ، وعرفنا بموضوعاتها ومضموناتها ، وإن فقدت المسميات وضاع ما كنا ننشده فيها من قطوف العلوم ، وثروات المعارف .

* * *

وندع تلك المقالات العشر لتنفيذ إلى ما قصدنا إليه بهذا الحديث ، وهو موضوع مقالة واحدة ، وهي المقالة السابعة التي خصصها ابن إسحاق للحديث عن أخبار الفلاسفة والعلوم القديمة والكتب المصنفة في ذلك ، وهي فنون ثلاثة ، يختص الفن الأول منها بأخبار الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين وأسماء كتبهم ونقولها وشروحها ، وما ذكر منها ولم يوجد ، وما وجد ثم عدم .

وبعد حديث طويل عن عبادة الكواكب ، ونشأتها ، يقرر ابن إسحاق أن الفلسفة كانت ظاهرة في اليونانيين والروم قبل شريعة المسيح

عليه السلام ، فلما تنصرت الروم منعوا منها ، وأحرقوا بعضها ، وخبزوا البعض ، ومنع الناس من الكلام فى شىء من الفلسفة ، إذ كانت ضد الشرائع النبوية . ثم إن الروم ارتدت عائدة إلى مذاهب الفلاسفة .. وأخيراً عادت النصرانية إلى حالها ، فعاد المنع من كتب الفلسفة إلى ما كان عليه .

وقد كانت الفرس قد نقلت فى القديم شيئاً من كتب المنطق والطب إلى اللغة الفارسية ، فنقل ذلك إلى العربى عبد الله بن المقفع وغيره .

ويستفاد من ذلك أن الترجمة كانت إلى الفارسية أولاً ، ومنها إلى العربية . وأن هذه الترجمة بدأت بكتب المنطق وكتب الطب (٣٣٧) .

ويحكى ابن إسحاق عقب ذلك حكاية أخرى ، وهى أن خالد بن يزيد بن معاوية كان يسمى « حكيم آل مروان » وكان فاضلاً فى نفسه ، وله همة ومحبة للعلوم ، فخطر بباله الصنعة ، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر ، وقد

تفصّح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى إلى العربى .

قال : وهذا أول نقل فى الإسلام من لغة إلى لغة (٣٣٨)

وكانت بين المأمون وملك الروم مراسلات فكتب إليه يسأله الإذن فى إنقاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلاد الروم ، فأجابه إلى ذلك بعد امتناع ، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر ، وابن البطريق ، وسلمياً صاحب بيت الحكمة وغيرهم ، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل . ويقال إن يوحنا بن ماسويه كان ممن نفذ إلى بلاد الروم .

وأضاف محمد بن إسحاق أن ممن عنى بإخراج الكتب من بلاد الروم محمد وأحمد والحسن بنو شاعر المنجم . وبذلوا الرغائب ، وأنفذوا حنين بن إسحاق وغيره إلى بلاد الروم ، فجاءوهم بطرائف الكتب ، وغرائب المصنفات فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والأرثماطيقى والطب . وكان قسطا بن لوقا البعلبكي قد حمل معه شيئاً فنقله ونقل له .

ونقل ابن إسحاق عن أبي سليمان المنطقي
السجستاني أن بنى المنجم كانوا يرزقون جماعة
من النقلة ، منهم حنين بن إسحاق ، وحبيش
ابن الحسن ، وثابت بن قررة ، وغيرهم ، نحو
خمسائة دينار للنقل والملازمة كل شهر .

وذلك مثال واحد من الأمثلة التي ساقها
ابن إسحاق ليدل على مدى حب القوم للبذل ،
وسخائهم في العطاء لنقلة العلوم في سبيل
توجيه الفكر العربي لارتداد آفاق جديدة من
المعرفة تضاف إلى تلك الآفاق التي ورثوها من
أصول الثقافة العربية والإسلامية .

وأحصى عدداً كبيراً من النقلة إلى اللسان
العربي منهم :

اصطفن القديم الذي نقل لخالد بن يزيد بن
معاوية كتب الصنعة وغيرها .

والبطريق وكان في أيام المنصور ، وأمره
بنقل أشياء من الكتب القديمة ، وابنه أبو زكريا
يحيى بن البطريق ، وكان في جملة الحسن
ابن سهل .

والحجاج بن مطر ، فسر كتباً للمأمون ،
وهو الذي نقل المجسطى وإقليدس .
وسلام الأبرش من النقلة القدماء في أيام
البرامكة ، ويوجد بنقله « السماع الطبيعي » .
وحبيب بن بهريز مطران الموصل ، فسر
للمأمون عدة كتب .

وأيوب الرهاوي ، وسمعان ، فسّر زيج
بطليموس لمحمد بن خالد بن يحيى بن برمك ،
وغير ذلك من الكتب القديمة .

وابن شهدي الكرخي ، نقل من السرياني
إلى العربي « نقلا رديثاً » ، فمما نقل كتاب
« الأجنة » لبقرط .

وأبو عمر يوحنا بن يوسف السكاتب أحد
النقلة ، ونقل كتاب أفلاطون في آداب
الصبيان .

وأيوب بن القاسم الرقي ، نقل إلى العربية ،
ومن نقله كتاب إيساغوجي . ومزلاحي ،
قال ابن إسحاق « إنه في زماننا » وقال إنه
جيد المعرفة بالسريانية « عطفى » الألفاظ
بالعربي ، (١) ينقل بين يدي على بن إبراهيم
الدهكي من السريانية إلى العربية .

(١) يقال « عطف في كلامه » إذا تكلم بالعربية ولم يفصح ، والعقّاط كشداد الألكن .

وقسطنطين بن لوقا البعلبكي جيد النقل ،
فصيح باللسان اليوناني والعربي والسرياني ،
وقد نقل أشياء وأصلح نقولا كثيرة .
وكذلك أحصى ابن إسحاق أسماء النقلة
من الفارسية إلى العربية .

وفي مقدمتهم عبد الله بن المقفع ،
وآل نوبخت ، وموسى ويوسف ابنا خالد ، وكانا
يخدمان داود بن عبد الله بن حميد بن قحطبة ،
وينقلان له من الفارسية إلى العربية ،
وعلى بن زياد التميمي ، نقل من الفارسي إلى
العربي ، فمما نقل زيغ الشهر يار ، وإسحاق بن
يزيد نقل من الفارسي إلى العربي ومما نقل
كتاب « سيرة الفرس » المعروف باختيار نامه
كما ذكر جماعة من نقلة الهند والنبط ، منهم
منكة الهندي نقل من اللغة الهندية إلى
العربية ، وابن دهن الهندي وكان إليه
بیمارستان البرامكة نقل من اللسان الهندي إلى
اللسان العربي .

وكان ابن وحشية ينقل من النبطية إلى
العربية .

* * *

وقد عني ابن إسحاق عناية بالغة بعلماء
اليونان ومفكريهم في شتى ضروب الفكر ،
وبالفلاسفة منهم على وجه الخصوص ، فروى
ما عرف من تاريخ حياتهم ، وأورد أطرافاً من
أخبارهم ، وتحدث عن بيئاتهم وأساتذتهم
وتلامذتهم ، كما بسط آراءهم الفلسفية ،
وأحصى مؤلفات كل منهم ، وذكر ما كان
موجوداً منها ، ونبه على ما كان منها
مفقوداً ، وما نقل منها إلى العربية مباشرة ،
والى السريانية ومنها إلى العربية ، كما
أحصى النقلة والمترجمين من السريان وغيرهم .
وما يزال ما اشتملت عليه تلك التأليف التي
فصلها ابن إسحاق في « الفهرست »
في مقدمة المصادر التي يعتمد عليها ويقبس
منها دارسو الفلسفة ومؤرخو التفكير الإنساني
إلى أيامنا . واستطاع ابن إسحاق أن يقدم
للقارئ العربي زاداً دسماً من المعارف
الإنسانية في مختلف العلوم والفنون .

ومن أهم ما يتميز به « الفهرست »
أن مؤلفه يعتمد إلى توثيق أخباره ، ويحرص
على نسبة كل رواية إلى راويها وكل قول
إلى قائله .

ومن أمثلة ذلك ما يذكره من سؤاله
أبا الخير بن الحمار بحضرة أبي القاسم عيسى
ابن علي عن أول من تكلم في الفلسفة فقال :
زعم فرفوريوس الصوري في كتابه
« التاريخ » وهو سرياني ، أن أول الفلاسفة
السبعة ثالث ابن مالس الإلميسي ، وقد نقل
من هذا الكتاب مقالتين إلى العربي فقال أبو
القاسم : كذا هو ، وما أنكره !

وقال آخرون : إن أول من تكلم في
الفلسفة . بوتاغورس بن ميسارخس من أهل
سامينا .

وقال « فلوطرخس » إن « بوتاغورس »
أول من سمى الفلسفة بهذا الاسم .

قال ابن إسحاق : والذي رأيته لبوتاغورس
من الكتب : رسالته في السياسة العقلية ،
ورسالته إلى متمرّد سقلية ، ورسالته
إلى « سيفانس » في استخراج المعاني .
وقد تصاب هذه الرسائل بتفسير
« إلميخس » .

قال : ثم تكلم بعد ذلك على الفلسفة
سقراط بين سقراطيس من أهل مدينة أثينة ،
مدينة العلماء والحكماء ، بكلام لم يدروا منه
كبير شيء ، وكان زاهداً خطيباً حكيماً ، وقتله
اليونانيون لأنه خالفهم .

وينقل ابن إسحاق ما كتب عن أفلاطون من
كتاب فلوطرخس :

ويقرر أنه رأى بخط يحيى بن عدي أن
« سوفسطس » ترجمة إسحاق بن حنين بتفسير
ألا مفيدوس .

وكذلك يحصى كتب أفلاطون وما أكثرها ،
ويحصى أسماء مترجميها وأسماء من قاموا
بتصحيح شيء من هذه الترجمات .

ثم يتحدث عن أرسططاليس حديثاً طويلاً
يفصل فيه تاريخ حياته ووصاياه قبل موته ،
ثم يفيض في ذكر مؤلفاته ومترجميها .

وقد أخطأ في قوله إن معنى أرسططاليس
« محب الحكمة » ، وإنما هي معنى لكلمة
« فيلسوف » التي تتركب من كلمتين هما
« فيلوس » ومعناها « محب » و « صوفيا »
ومعناها « الحكمة » . ، ويقال إن أول من
سمى نفسه « فيلسوفا » هو سقراط أستاذ
أفلاطون ، وكان « أرسططاليس » أعظم
تلاميذ أفلاطون . وقد لقب سقراط نفسه
« فيلسوفا » تواضعاً وتمييزاً له عن
السفسطائيين الذين كانوا يقولون إنهم وحدهم
« الحكماء » !

ثم يأخذ ابن إسحاق فى ترتيب ما وقف عليه من تراث أرسطو فى المنطق والطبيعيات والإلهيات والأخلاقيات ويبدأ بكتبه المنطقية ، وبعدها ثمانية كتب : « القاطيغورياس » ومعناها المقولات ، و « بارى إرمانياس » ومعناها العبارة ، و « أنا لوطيقا » ومعناها تحليل القياس ، و « أبودقبيقا » وهو « أنا لوطيقا الثانى » ومعناه البرهان ، و « طويقا » ومعناه الجدل ، و « سوفسطيقا » ومعناه المغالطة أو الحكمة الموهمة ، و « ريطوريقا » ومعناه الخطابة ، و « أبو طيقا » ويقال « بوطيقا » ومعناه الشعر .

ثم يأخذ فى بيان المترجمين والمفسرين ، فيبدأ بالقاطيغورياس ، ويقول إنه قد ترجمه حنين بن إسحاق ، وقد شرحه وفسره كثيرون منهم فرفوريوس ، وإصطفن الإسكندراني ، ويحيى النحوى ، وأمونيوس ، وثامسطيوس ، وسنيسليقوس ، وترجمة سريانية وأخرى عربية لرجل يعرف بشاون وأبو نصر الفارابى ، وأبو بشر متى بن يونس .

قال : ولهذا الكتاب مختصرات وجوامع مشجرة وغير مشجرة لجماعة منهم ابن المقفع ، وابن بهريز ، والكندى ، وإسحاق بن حنين ، وأحمد بن الطيب الرازى . وهذا الكتاب بتفسير الإسكندر الأفروديسى نحو ثلاثمائة ورقة .

ويتنقل إلى « بارى إرمانياس » « أى كتاب العبارة » الذى نقله حنين إلى السريانى ، ونقله إسحاق إلى العربى ، وفسره الإسكندر الأفروديسى - وتفسيره غير موجود - كما فسره يحيى النحوى ، وإمليخس ، وفرفوريوس ، واصطفن ، ولبالينوس تفسير - وهو غريب غير موجود - وفسره أيضا قويرى ، ومتى بن يونس ، والفارابى ، واختصره حنين ، وإسحاق ، وابن المقفع ، والكندى ، وابن بهريز ، وثابت بن قرة ، وأحمد بن الطيب الرازى .

ثم إلى كتاب أنا لوطيقا الأول ، فكتاب أنا لوطيقا الثانى الذى نقل حنين بعضه إلى السريانى ، ونقله كله إسحاق إلى السريانى أيضاً ، ونقل متى نقل إسحاق إلى العربى . ثم إلى الطويقا الذى نقله إسحاق إلى السريانى ، وترجم يحيى بن عدى نقله إلى العربى .

وأما كتاب السوفسطيقا أى الحكمة المموهة فقد نقله إلى السريانى ابن ناعمة ومتى بن يونس ، ونقله عن السريانى يحيى بن عدى إلى العربى .

وأما الريطوريقا ومعناه الخطابة ، فقد قال إنه يصاب بنقل قديم ، وقيل إن إسحاق نقله إلى العربى ، ونقله إبراهيم بن عبيد الله ، وفسره الفارابى - أبو نصر .

قال ابن إسحاق : رأيت بخط أحمد بن الطيب : هذا الكتاب نحو مائة ورقة بخط قديم .

وأما البويطيقا ومعناه الشعر فقد نقله متى من السريانى إلى العربى ، ونقله يحيى ابن عدى . وقيل إن فيه كلاماً لثامسطيوس ، ويقال إنه منحول إليه ، وللكندى مختصر فى هذا الكتاب .

* * *

وعلى هذا النحو يمضى ابن إسحاق فى إحصاء مصنفات المعلم الأول . والتعريف بها ، وإحصاء ترجماتها وذكر مترجميها .

ثم يفرد لذكر كل مترجم من أولئك المترجمين ترجمة خاصة ، يجمع فيها ما قام

بترجمته أو تفسيره من كتب اليونان أو الفرس أو الهنود ، ويحصى تأليف هؤلاء المترجمين وما ترجموه ، لأنهم كانوا بالإضافة إلى تمكنهم من لغات الأمم التى ترجموا شيئاً من تراثها الفكرى ، واللغة السريانية أو العربية التى ترجموا إليها ذلك التراث ، كانوا بالإضافة إلى ذلك علماء شجعتهم قراءاتهم الواعية على سعة المعرفة ، والقدرة على الاستقلال بالتأليف .

وهناك ظاهرة تسترعى الانتباه ، وهى تعدد المترجمين للأثر الواحد وكثرتهم .

وكثيراً ما يكون أولئك النقلة فى زمن واحد . ومعنى ذلك أن كل ناقل اطلع على نقل غيره من سبقه إلى النقل ، ورأى فى ذلك النقل ضعفاً أو نقصاً أو خلا ، فدفعه الحرص على سلامة النص ، وصحة الترجمة إلى إكمال النقل وتدارك النقص ، وتصويب الخطأ .

ولم يقف صنيع ابن إسحاق عند هذا الجهد المضنى الجبار الذى بذله فى البحث ومحاولة الاستقصاء والجمع لتلك الآثار من تراثنا العربى والإسلامى ومن تراث الإنسانية فى سائر المعارف التى عرفها الإنسان قبل وفاته

أو قبل السنة التي ألف فيها كتابه ، وهي سنة ٣٣٧ هـ ، فإن له فضل التقسيم والتنسيق الذي ييسر للقارىء سبيل التتبع لتاريخ العلوم وتطورها في لغة علمية سهلة يظهر فيها حب الإنصاف والتجرد من هوى النفس ومن أثر التعصب لعمل من الأعمال ، أو شخصية من الشخصيات التي عرض لها ، أو جنس من الأجناس .

وله كذلك فضل الإشارة إلى ما وقف عليه بنفسه ، وما نقله عن غيره وإلى ما هو موجود ، وما هو مفقود من ذلك التراث الضخم الذي أحصاه ، وهو يعز على الإحصاء .

وكان ابن إسحاق بالإضافة إلى هذه الخبرة والمعرفة ذا بصيرة أعانتته على التحقيق والتقدير والتقويم ، فهو يقول مثلاً في الكلام على « كتاب النفس » من تراث أرسطو إنه ثلاث مقالات ، نقله حنين إلى السرياني تاماً ، ونقله إسحاق إلا شيئاً يسيراً ، ثم نقله إسحاق نقلاً ثانياً تاماً ، جود فيه ، وشرح « ثامسطيوس » هذا الكتاب بأسره .. (٣٥١) .

ويقول في الكلام على كتاب « الحس والمحسوس » هو مقالتان ، لا يعرف له نقل يعول عليه ، ولا يذكر ، والذي ذكر أن شيئاً يسيراً علقه الطبري عن أبي بشر متى بن يونس (٣٥٢) .

ويقول في الكلام على كتاب « الحيوان » : وهو تسع عشرة مقالة ، نقله ابن البطريق ، وقد يوجد سرياني نقلاً قديماً أجود من العربي ، وله جوامع قديمة . كذا قرأت بخط يحيى بن عدي في فهرست كتبه ، ولنيقولاوس اختصار لهذا الكتاب من خطي يحيى بن عدي .. (٣٥٢) .

ويقول في الكلام على « أبو ديقطيقا » : وهو أنا لوطيقا الثاني مقالتين نقل حنين بعضه إلى السرياني ، ونقل إسحاق الكل إلى السرياني ونقل متى نقل إسحاق إلى العربي ... (٣٤٨)

وقال عن ابن شهدي الكرخي إنه نقل من السرياني إلى العربي « نقلاً رديئاً » . وقال عن « مراحى » إنه جيد المعرفة بالسريانية « عطفى الألفاظ » بالعربية !

سيدى الرئيس الجليل ، إخوتى صفوة أهل
المعرفة :

تتيح لى هذه المناسبة التى أتحدث إليكم
فيها عن كنز من كنوز المعرفة أن أعرض
عليكم قضية أشعر أنها تحتاج إلى رأى حاسم
تعيدون فيها الحق إلى نصابه ، وتردون من
أخطأ إلى الصواب ، وتزيلون وهما علق
بالأفهام حتى ظن أنه اليقين الذى لا شبهة فيه.
فقد وهم المستشرق فلوجل الذى طبع
« الفهرست » للمرة الأولى فى ليبزج سنة
١٨٧٢ م ونسبه لابن النديم ، ونقل عنه
مصطفى محمد طبعته الثانية سنة ١٩٣٠ م ،
ونسبه كذلك إلى ابن النديم ، وورد عنوان
الكتاب فى الطبعتين هكذا (الفهرست لابن
النديم) وعمت تلك النسبة سائر المؤلفات التى
عرضت لهذا الكتاب ، حتى أثبتتها جرجى
زبدان كذلك (تاريخ آداب اللغة العربية
٣١٥/٢) .

وأذكر أنى حضرت ندوة فى الرياض فى دار
صديقنا العالم الأديب المرحوم عبيد العزيز
الرفاعى ، ذكر فيها « الفهرست » منسوبة إلى
(ابن النديم) .

وما كان لى أن أسكت على خطأ أعرف وجه
الصواب فيه ، فقلت إنه (النديم) وليس
(ابن النديم) ، ولم يرق هذا القول لواحد من
الحاضرين ، فكتب فى إحدى الصحف يفند
ما قلت ، ويقول إنه رجع إلى نسخته الخاصة
التي أكدت له إن الكتاب لابن النديم كما هو
مسجل على ظاهره ، وقلت فى ردّى عليه إنه
مصدق فيما قال ، بل أؤكد به بأن نسختي
الخاصة تحمل اسم (ابن النديم) كما تحمله
نسخته .. وقلت : ماذا يحسب لى من الفضل
إذا قلت إن مؤلف الفهرست هو النديم ؟ وماذا
يحسب من الفضل لمن يقول إنه (ابن النديم) .
لا شيء ؛ لأن المسألة فى حقيقتها مسألة
سماعية أو (توقيفية) وليست من
المسائل (الاجتهادية) التى يقول فيها كل
واحد برأيه .

والحقيقة أن ما صرحت به فى تلك الأمسية
لم يكن إلا شيئاً من رواسب الذكريات وقليلاً
من الفوائد التى وعيتها عن بعض أساتذتى
المحققين ، رحمهم الله جميعاً ، وقد كان بما
وعيت عنهم أن (النديم) هو محمد بن إسحاق ،
وليس أباه .

وبهذه الحقيقة كنت أقول . وبها كنت أرد
من أخطأ إلى الصواب .

فلما كتب الشيخ كلمته كان على أن أبحث
عن الدليل ، وإلا كنت كالمدعى بغير بينة ،
ولن يشفع لى عند الناس أن أقول إننى أخذتها
عن أساتذتى المحققين .

وأسرعت إلى كتب الطبقات ، وكان أقرب
ما عثرت عليه منها كتاب (إرشاد الأريب إلى
معرفة الأديب) المعروف باسم (معجم الأدباء)
فوجدت فيه ما نصه مضبوطا :

محمد بن إسحاق النديم ..

كنيته أبو الفرج ، وكنية أبيه أبو يعقوب ،
مصنف كتاب (الفهرست) الذى جود فيه ،
واستوعب استيعابا يدل على اطلاعه على
فنون من العلم .. (معجم الأدباء ج ١٨
ص ١٧) طبعة دار المأمون .

وقد أدخل على ضبط كلمة (النديم)
بالضم كثيراً من الاطمثان . لأنها بهذا الضبط
تكون صفة لمحمد (المرفوعة) وليست لإسحاق
(المجرورة) وبخاصة أن هذه الطبعة حققها
عالمان كبيران هما المرحومان أحمد يوسف
نجاتى ، وعبد الخالق عمر .

ومع ذلك خشيت أن يظن ظان أن ضبط
(النديم) من أخطاء الطباعة فوقع بين يدي
كتاب (الأعلام) للمرحوم خير الدين الزركلى
فقرأت فيه ما نصه :

(اشتهر صاحب الترجمة بابن النديم
إلا أن محقق طبعة (الفهرست) فى طهران
(شعبان سنة ١٣٩١ هـ) رضا - تجدد نبه إلى
أنه هو (النديم) لا (ابن النديم) وصور
الصفحة الأولى من مخطوطة نفيسة فى
تشستريتى جاء اسم الكتاب فيها (الفهرست
للنديم) وعلى هامشها من اليمين بخط المؤرخ
أحمد بن على المقرئى ما نصه (مؤلف هذا
الكتاب أبو الفرج بن أبى يعقوب إسحاق بن
محمد بن إسحاق الوراق المعروف بالنديم)
(الأعلام ج ٦ ص ٢٩) طبعة دار العلم
للملايين ١٩٧٩ م .

وبحثت عن طبعة طهران التى أشار إليها
المرحوم خير الدين الزركلى لأقف عليها بنفسى ،
وكان من توفيق الله تعالى أننى عثرت على
نسخة منها .

والكتاب مطبوع فى مطبعة (دانشگاه)
طهران ، فى شعبان سنة ١٣٩١ هـ (أكتوبر

سنة ١٩٧١ م) وعدد صفحات هذه الطبعة ٦٠٢ من القطع الكبير .. والمحقق هو (رضا- تجدد بن علي بن زين العابدين الحائري المازندراني) . وقد كتب في مقدمته (إن الذي سهل علي (النديم) قيامه بهذا العمل كونه وراقا ، والوراقون أخبر الناس بالكتب وموادها ..) .

ثم أشار إلى الأخطاء الكثيرة التي وقعت في طبعة جوستاف فلوجل - ليبزج - ألمانيا سنة ١٨٧٢ م وفي الطبعة المصرية ، واعتمد المحقق في تحقيقه على مخطوطة تشستريتي رقم ٣٣١٥ بدبلن عاصمة أيرلنده الجنوبية ومخطوطة شهيد علي باشا رقم ١٩٣٤ بمكتبة السليمانية بإسلامبول ، بالإضافة إلى ما أفاده من فلوجل .

وقد طبع على ظاهر الكتاب اسمه هكذا : كتاب الفهرست للنديم .

أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق ..

وقد صوّرتُ صفحة العنوان كما صورتُ الصفحة الأولى من مخطوطة تشستريتي ،

وعلى يمينها ترجمة مختصرة للنديم (مؤلف الفهرست) نصها :

(مؤلف هذا الكتاب أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق بن محمد بن إسحاق الوراق المعروف بالنديم .. روى عن أبي سعيد السيرافي وأبي الفرج الأصفهاني وأبي عبد الله المرزباني وآخرين ، ولم يرو عنه أحد ، وتوفي يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ثمانين وثلثمائة ببغداد ، وقد اتهم بالتشيع ، عفا الله عنه) :

وهذه الترجمة بخط الشيخ أحمد بن علي المقرئ .. وبجوارها عبارة تملكه للمخطوطة بخطه أيضاً ، مما يؤكد أن المقرئ قد قرأ هذا الأصل الذي اعتمد عليه الناشر في التحقيق . ولعل في هذا كله ما يكفي لتبين وجه الصواب، والاطمئنان إلى أن مؤلف (الفهرست) هو (النديم) وليس (ابن النديم) .

بدوى طبانة

عضو المجمع

* *

* * *

كتاب الفهرست للنديم

أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق
المتوفى ببغداد سنة ٣٨٠ هـ

تحقيق

رضا - تجدد

حقوق الطبع محفوظة للمحقق

نماذج من تقارض الصيغ

فى مضعف الثلاثى ومضعف الرباعى *

للأستاذ الدكتور أمين على السيد

- سوى علماء اللغة بين المضعف والمضاعف ، ولم يفرقوا بينهما فى الاستعمال ، وقد جاء ما يؤيد هذا فى كتاب سيبويه وفى المقتضب للمبرد وفى غيرهما من مؤلفات السابقين . وفى لسان العرب لابن منظور : « والعرب تقول : ضاعفت الشيء وضعفته بمعنى واحد » ومثل هذا جاء فى القاموس المحيط .
- وهم يقولون : مضعف الثلاثى أو مضاعف الثلاثى ، كما يقولون : مضعف الرباعى أو مضاعف الرباعى . فيتعين أحدهما بالإضافة ، وقد يتعين بالوصف ، فيقولون : الثلاثى المضعف أو المضاعف . وكذلك الرباعى^(١) .
- ومضعف الثلاثى ما كانت عينه ولامه من جنس واحد ، كما عرفه سيبويه بقوله : « والتضعيف أن يكون آخر الفعل حرفان من موضع واحد ، وذلك نحو : رددت ... » (الكتاب ٣ : ٥٢٩ ، ٥٣٠) ومثل هذا فى المقتضب للمبرد (١ : ٢٤٥ ، ٢٤٦) .
- ومضعف الرباعى ما كانت فاؤه ولامه الأولى من جنس ، وعينه ولامه الثانية من جنس آخر ، نحو عسعس ، زلزل ، كيكب ، وسوس .
- وتقارض هاتين الصيغتين يعنى تحويل كل منهما إلى الأخرى مما لم يرد عن العرب اشتراكه فيهما ، فنحول ما انفرد به مضعف الثلاثى إلى مضعف الرباعى ، ونحول ما انفرد به مضعف الرباعى إلى مضعف الثلاثى . وهذا يضيف إلى مفردات اللغة ما يزيد على مائتى كلمة إذا طبقناه حرفيا ، لكن بعض الكلمات قد تأبى هذا التحويل للاستثقال أو غيره .
- فقد ورد فى القاموس المحيط من المشترك ما يزيد على ثلاثمائة وستين مادة لغوية ، ومضعف الثلاثى ما كانت عينه ولامه من جنس واحد ، كما عرفه سيبويه بقوله : « والتضعيف أن يكون آخر الفعل حرفان من

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة العاشرة للمؤتمر المنعقدة يوم الثلاثاء ٢٤ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٥ أبريل سنة ١٩٩٤ م
(١) خصص الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين المضعف بالثلاثى ، كما خصص المضاعف بالرباعى .

استعملت من مضعف الثلاثى . كما استعملت من مضعف الرباعى ، إما بمعنى واحد ، وإما بمعان مختلفة .

وما ورد فيه مما انفرد به مضعف الثلاثى مائة وأربعون وثلاث مواد ، ومما انفرد به مضعف الرباعى ستون وخمس مواد .

فجملة هذه الأنواع الثلاثة ثمان وستون وخمسائة مادة ، النسبة المئوية للمشارك منها (٦٣,٤) ولما انفرد به مضعف الثلاثى (٢٥,٤) ولما انفرد به مضعف الرباعى (١١,٢) وقد اقتربت الصيغ التى جاءت مشتركة من ثلثى المجموع ، ولنا أن نستنبط من هذا أن اشتراك مضعف الثلاثى ومضعف الرباعى فى المادة اللغوية الواحدة كان هو الأصل ، وأن ما انفرد بإحدى الصيغتين يمكن رده إلى هذا الأصل ما لم يمنع من ذلك مانع .

ويؤيد هذا الاستنباط من أقوال السابقين :

* ما عزى إلى سيبويه وأصحابه من أن وزن « ررب » ونحوه : « فَعَل » فأصله : « رَبَّبَ » أبدل الوسط حرفا من جنس الأول ، وفى الكتساب (٤ : ٤١٧) : « اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم ، وأن اختلاف

الحرف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد » وفى نص سيبويه بيان لتحويل مضعف الثلاثى إلى مضعف الرباعى .

* وقول ابن فارس (المزهرة ١ : ٢٠٠) : أجمع أهل اللغة - إلا من شذ منهم - أن للغة العرب قياسا ، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض «

* وقول ابن جنى فى الخصائص (٣٠٨ : ١) : ولما كان النحويون بالعرب لاحقين ، وعلى سمتهم آخذين ، وبألفاظهم متحلين ، ولعانيهم وقصودهم آمين - جاز لصاحب هذا العلم الذى جمع شعاعه ، وشرع أوضاعه ، ورسم أشكاله ووسم أغفاله ... أن يرى فيه نحو ما رأوا ، ويحذوه على أمثلتهم التى حذوا ... لاسيما والقياس إليه مصغ وله قابل ، وعنه غير متناقل .

* وفى الجلسة الثالثة والجلسة الرابعة فى المؤتمر فى الدورة الحادية عشرة :

وافق المؤتمر على ما يأتى :

لما كان نقل المجرى الثلاثى إلى صيغة فعل يفيد معنى التعدية أو التكثير أو النسبة أو السلب ، أو اتخاذ الفعل من الاسم - يرى

المجمع أنه يجوز استعمال هذه الصيغة ليؤدي الفعل أحد هذه المعاني عندما تدعو الحاجة إلى تأديته ، وإن لم ينص على هذه الصيغة ، على ألا يقر المجمع نهائيا مثل هذه الكلمات إلا بعد تمحيصها .

ووافق المؤتمر تطبيقا لهذا القرار على صحة الألفاظ المستعملة الآتية :

خَدَرَ - حَضَرَ - شَخَّصَ - جَسَّم - حَلَّلَ - شَرَّعَ .
هذا ما أقرَّ من قبل ، ويمكن أن نضيف إليه أن الفعل الثلاثي المجرد الذي أجاز المؤتمر نقله إلى صيغة فعل قد يكون من مضعف الثلاثي ، كما في الفعل الذي أقره المؤتمر (حَلَّلَ) فإن الثلاثي منه حَلَّ ، فلما ضعفت عينه صار : حَلَّلَ ، وهذه الصيغة يمكن تحويلها إلى « حلحل » وقد جاء في القاموس المحيط : وحلحلهم : أزالهم عن موضعهم .

وهذا مما يمكن الاستئناس به في تحويل مضعف الثلاثي إلى مضعف الرباعي ، كما نقل الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين عن الجوهري - أنه يؤكد العلاقة بين النوعين ويقرر أن الثلاثي أصل للرباعي ، فالفعل : سَغَّخَ ناتج من التصرف في سَغَّغَ بتحويله إلى :

سَغَّغَ ، ثم قلب الغين سينا فتكون : سغسغ ... وهكذا .

رأى في رد مضعف الرباعي إلى مضعف الثلاثي .

ينبغي الإبقاء على مضعف الرباعي من باب الهمزة كما هو دون أن نحاول رده إلى مضعف الثلاثي لثقل الهمزة المشددة في آخر الكلمة ، وقد ورد من ذلك خمس وعشرون مادة لغوية هي .

بأبأ - تأتأ - ثأتأ - جأجأ - حأحأ - دأدأ -
ذأذأ - رأرأ - زأزأ - سأسأ - شأشأ - صأصأ -
ضؤؤؤ - طأطأ - ظأظأ - الغأغأ - الفأفأ -
القأقأ - كأكأ - اللؤلؤ - مأمأ - نأنأ - الوأوأ -
هأهأ - يأيأه يأيأة : أظهر ألقافه .

ثم ننظر فيما بعدها وعددها أربعون مادة لغوية لكي نختار منها ما يمكن أن يستساغ كي نلحقه بالمشارك من مضعف الثلاثي ومضعف الرباعي ، وقد هديت إلى تحويل ما يأتي :

الظبطاب : الوجد والعيب ، وظبطب الرجل : حم .

يمكن إرجاع هذه المادة إلى وزن فُعال المختص بالداء ، فنقول :

طَبَابٌ ثم نشق منها الفعل: طَبَّ ،

بمعنى : حُمَّ . فتصبح هذه المادة

من المشترك .

الذخذاخ : المنقَّب عن كل شيء ، وإذا كان

الفعل منها : ذَخَذَخَ بمعنى : نَقَّبَ

فإن استعمال : ذَخَّ بهذا المعنى لا

غبار عليه ، استصحابا للأصل .

السوذوذة : السرعة ، والفعل منها : وِذِذْ ،

بمعنى : أسرع ، واستعمال الثلاثي

(وِذَّ) بمعنى أسرع رجوع إلى

الأصل .

الوشوشة : الخفة .. وهو وشوشا ...

وتوشوشوا : همس بعضهم إلى

بعض ، وإذا جردنا الفعل من التاء

وردناه إلى مضعف الثلاثي لم

يكن هناك مانع من استعماله ،

فيقال : وَشَّ بمعنى : أحدث صوتا ،

وقد استعمل هكذا .

الزعزعة : تحريك الريح الشجرة ... وتزعزع :

تحرك . وعند تجريده من الزيادة

ورده إلى مضعف الثلاثي يصير :

زَعَّ ، ويقال منه : زَعَّ زعا ، بمعنى

حركه .

التفتغة في الكلام : ترديده دون بيان ،

ويمكن أن نقول : تَغَّ بمعنى تَغْتغ .

الثغثغة في الكلام : التخليط فيه ، ويصح

أن نقول : ثَغَّ بمعنى ثَغْثَغ .

الدغدغة : دغدغه بكلمة : طعن عليه . وربما

كان مضعف الثلاثي من هذه المادة

أكثر دلالة على الطعن من هذا ،

فنقول : دَغَّه ، بمعنى : طعن عليه .

السفسغة : سفسغ الشيء : حركه من موضعه

كالوتد ونحوه ، وتسفسغت ثنيته :

تحركت ، ولا يمنع مانع من

استعمال : سَغَّ الشيء بمعنى حركه

.

التنغنغ : الأحق الضعيف ، وهي بهاء .

وفى اللسان : ابن برى : التنغنغ :

الحركة ، قال رؤبة :

وهي ترى الأعلاق ذات التنغنغ

ولابأس باستعمال تَغَّ بهذا المعنى

الذي نقل عن ابن برى .

التَّقْتَنَةُ : الحركة وسير عنيف ، وتقتق من

الجبيل : وقع ... وفي الجمهرة

(١ : ٤١) : وقالوا : تقُّ تقا ،

ثم أميت ، ورد إلى بناء جعفر في

الرباعي ، فقالوا : تقتق ، وقالوا :

تتقتق الرجل من الجبل إذا انحدر

يهوى حتى يوافي الأرض على غير

طريق .

وما جاء في الجمرة غنى عن

التعليق ، فليس لنا إلا أن نحیی

ما أميت .

الثَّقْنَةُ : التكلم بكلام الحماقة ، وقياسها

على ما قبلها لا بأس به ، ولعلها

كانت في الأصل : ثَقُّ ، ثم أميتت

الذِّقْزاق : الحديد اللسان الذي فيه عجلة .

وإذا كان الفعل منها ذَقْزَق من

مضعف الرباعي فلا مانع من رده

إلى مضعف الثلاثي ، فنقول : ذَقُّ

الوكوكة في المشى : التدحرج ، والفعل من

مضعف الرباعي : وكوك يمكن رده

إلى مضعف الثلاثي ، فنقول : وكُّ

في المشى ، بمعنى تدحرج .

النَهْنَهَةُ عن الأمر : الكف والزجر - نهنه

عن الأمر ، فتنهنه : زجره وكفه

فكَّفَ ، وأصلها : نَهَّهَ ، كما في

المعاجم .

وهذا الأصل هو الطريق الذي يجوز

لنا رده إلى مضعف الثلاثي فنقول:

إنهم استثقلوا التضعيف فقلبوا

الوسط حرفا من جنس الأول ،

فالأصل الثلاثي : نَهَّهَ ومعناه :

كف وزجر ، كمعنى الرباعي :

« نهنه » فتصبح هذه المادة من

المشترك .

وبيان ما انفرد به مضعف الرباعي

آت في الصفحات من ٤٨ - ٥٢

ولنا أن نعيد النظر فيه لنرى

ما يمكن رده إلى مضعف الثلاثي .

ورأى في صوغ مضعف الرباعي من مضعف

الثلاثي .

وهذا فيما انفرد به مضعف الثلاثي ، وأمره

يسير لأنه قد جاء على الأصل الغالب في

اللغة ، وهو ثلاثة أحرف ، وزيادة حرف أو أكثر

على الثلاثي قد وردت كثيرا ، وليس تحويل

مضعف الثلاثي إلى مضعف الرباعي
إلا تطبيقاً لقول الكوفيين عن مضعف
الرباعي (الهمع ٢ : ٢١٦) : « إن هذا
الباب ونحوه ثلاثي ، أصله : فَعُل فاستثقل
التضعيف ، فحالوا بين المضاعفين بحرف مثل
فاء الفعل » .

وقد رأيت أن تستبعد الأسماء الجامدة التي
لا توجد أفعال من مادتها ، لأن تحويلها
لا يفيد شيئاً في اللغة ، ولأنه تغيير للأسماء
عن أصل وضعها فالأب مثلاً بمعنى المرعى أو
ما أنبتت الأرض لا غيرها ، أما قولهم : أبّ
للسير بمعنى تهيأ له ، فمن الممكن أن غيرها
ونضمها إلى المشترك ، فنقول : أباب للسير
بنفس المعنى المذكور .

والفُسب كجُبّ : موضع بالكوفة - لا يغير
لأنه اسم جامد ، لأنه لم يرد منه
فعل ، ولأن تحويله لا يفيد شيئاً ،
بل إنه تغيير لاسم موضع معروف ،
وهذا غير جائز .

وأْتِه أتا : غلبه بالحجة ، وأْت رأسه : شدخه .
وهذا الفعل يقبل أن تضعف عينه
فنقول : أْتَتْ ، ثم نحول بين

المضاعفين بحرف مثل فاء الفعل ،
فيصير : أْتأت ، بنفس المعنى .
وَيَسَتْ معناها : انبت ، وقد ذكر المكرر
(بَتَيْتَ) ابن دريد في الجمهرة ،
وقال : إنه مهمل : ولكي نضيف
هذا المهمل إلى معجم اللغة ينبغي
أن نستعمله ، فنقول : بَتَيْتَ بمعنى
انبت .

الثَّتْ : الشق في الصخرة - لا يغير لأنه اسم
جامد .

الجبْتْ : جس الكيش ليعرف سمه من هزاله ،
والفعل منه : جَتَّ الكيش وليس
هناك مانع من نقله إلى مضعف
الرباعي ، فنقول : « جتجت » بنفس
المعنى ، وقد نحس في « جتجت »
دلالة على تكرار الجس .

الختْ : الطعن مداركا .. والختت - محركة-
الفتور في البدن ، وأَخَتْ : استحيا
وأَخَتْ فلانا : أخس حظه .

وختخت مضعف الرباعي يمكن أن يدل على
نفس المعاني المذكورة ، ولا مانع من
نقله إلى المشترك .

الزُّتُّ والتزيت : التزيين ، والتزيت التزيين .

والفعل من الزيت : زتّ ، ومن

التزيت : زتّت ، ومن التزيت : تزتت ،

وإذا طبقنا قاعدة الكوفيين على زتّت -

صارت : زتّزت ، وهى أخف من تشديد

التاء ، ثم نضمها إلى المشترك .

شتّ يشت شتا وشتاتا وشتيتا :

فرق . وربما كانت : « شتّشت » -

إذا أجزناها - أكثر دلالة على

التفرق من شتّ .

الصُّتّ : الدفع بفهر ، أو الضرب باليد .

والفعل منه : صتّه بمعنى دفعه بفهر أو ضربه

باليد ، ومنه نأخذ صتّصت فننقله

إلى المشترك بنفس المعنى .

غَتَّهْ بالأمر : كده ، والشىء بالشىء :

أتبع بعضه بعضا .

وتحويل غتّ إلى : غتغت بنفس المعنى لا يمنع

منه مانع .

السرّث : البالى ، وقد ورد منه فعل ، فلا مانع

من تحويل : رث ثوبه ، إلى رثرت .

الأجيج : تلهب النار ، كالتأجج .. وقد قالوا:

أجّجتها ، فكما قالوا : أجّج يمكننا

أن نقول : أجّج ، فننقل : أجّ من

الثلاثى المضعف إلى الرباعى

المضعف .

ذَجّ : شرب ، وقدم من سفر ، فهو ذاجّ .

ولا مانع من ضمها إلى المشترك

فنقول : ذجّج ، وهو مذججج ،

بنفس المعنى .

الزّج بالضم : طرف المرفق ، والحديدة فى

أسفل الرمح .

والزّجج - بالتحريك - للحواجب

معروف فى قولهم : « وزجّجن

الحواجب » ولا مانع يمنع من تحويل :

زجّج إلى : زجّج ، فتصبح من

المشترك .

شج رأسه يشجه : كسره ، ولو قلنا : شجشج

رأسه لكان أكثر دلالة على

الإصابة.

صَجّ : ضرب حديدا على حديد فصوّتا ..

والصجج - بضممتين - ذلك

الصوت .

وتحويل صَجّ إلى : صجصج قد يدل

على شدة الصوت .

ضَجَّ : أضج القوم إضجاجا : صاحوا ،
وتحويل ضج إلى ضجضج للدلالة
على الصياح مقبول .

ظَجَّ : صاح فى الحرب صياح المستغيث ،
وفى غير الحرب بالضاد ، كما
تقدم . وتحويل : ظج إلى ظجظج
شبيه بما قبله .

الْوَجَّ : السرعة .. وقد وَجَّ بمعنى : أسرع ،
واستخدام وجوج بنفس المعنى مستساغ ،
وبهذا ينضم إلى قائمة المشترك .

الصَخ : الضرب بشيء صُلِبَ على شيء
مصمت .. ومنه الصاخة .
والصخصة من مضعف الرباعى
تدل على هذا المعنى .

الضَخ : الدمع وامتداد البول ونضح الماء .
والمضخة - بالكسر : قسبة فى
جوفها خشبة يرمى بها الماء . وهم
يقولون : ضخ الماء ولا مانع من أن
نقول : ضخضخ بمعناها .

كَخَّ فى نومه : غَطَّ .

ونقل هذا الفعل إلى كخكخ فى نومه
يزيد من دلالة الغطيط .

* وبيان ما انفرد به مضعف الثلاثى آت فى
الصفحات من ٣٨ - ٤٧ وهو معروض
لأخذ الرأى .

ولعل فيما تقدم من نماذج ما يمكن أن نقيس
عليه فنحول بقية ما انفرد به مضعف الثلاثى
إلى مضعف الرباعى ، حتى يصير مشتركا .
وهذه البقية هى : ردَّ - سدَّ - شدَّ - غدَّد

تغديدا - لدَّه لدا - ند البعير - ودَّ - أذَّ -
بذَّ - خذَّ الجرح : سال صديده - رذَّت السماء :
أمطرت - شدَّ - نذَّ - ضرَّ - أزت القدر -

كزَّ - أس وأسس - جسَّ - خَسَّ - دسَّ - شس
شسوسا : ييس - طَسه : خصمه .. يَسَّ : سار -

أشَّ يَأش : قام وتحرك للمشر - تشَّ سقاء -
دَشَّ : اتخذ الدشيشة - ذشَّ : سار لغة فى

دش - غشه - بس : فرح - خص .. شصَّ
فلان : عض نواجذه - كصَّ يكص : اجتمع ..

أضنى الأمر : بلغ منى المشقة - جَضَّ . عض
فلانا : أمسكه بأسنانه - أطَّ الرجل : صوت -

بَطَّ المغنى : حرك أوتاره - جظه : طرده ..
حظظت - بالكسر - فى الأمر حظا - حظ

الرجل : استرخى بدنه - قَظَه وافتظه : عصره -
دَغَّ جاريتَه : جامعها - قَغَّتْنى الرائحة :

تضوعت - أفُ يثف ويؤف - ظفَ قوائم
 البعير: شداها كلها . اغتففته : أعطيته شيئا
 يسيرا - جق الطائر : ذوق - صقُ الحرياء :
 صرَّ - ضق يضق : صَوَت - أَكَّه : رده وزاحمه،
 وفلان : ضاق صدره - حَكَ الشيء - صَكَّه :
 ضربه ضربا شديداً - عَكَّ يومنا يعك عكا :
 اشتد حره - فكه : فصله - أَلَّ في مشيه :
 أسرع واهتز ، أو : اضطرب - أن يثن أنينا :
 تأوه ، وأن الماء : صبه - حنَّ على الشيء :
 عطف - رنَّ يرنُّ رنيناً : صاح . زنَّ عصبه :
 يبس - أصنَّ : صار ذا صنان - ضنَّ بضن -
 بالكسر والفتح - ظن - غنَّ - ونَّ : ضعف -
 هنَّ يهنَّ : بكى وحنَّ - تأهَّه : توجَّع - ضهَّه :
 شاكله وشابهه .

تنبيه:

ما ألحق بهذا تحت عنوان :

« مضعف الثلاثي ومضعف الرباعي

يتقارضان »

قد عرض على المؤتمر في العام الماضي في
 الدورة التاسعة والخمسين ضمن ما وافقت عليه
 لجنة الأصول اللغوية بالمجمع ، وقد حظي
 بموافقة المؤتمر عليه بالإجماع .

وما قدمته من قبل محاولة للتطبيق ، وقد
 أعدت تقديم ما عرض ، لأن بعض الأعضاء لم
 يكن حاضرا في العام الماضي ، ولأن الإنسان
 معرض للخطأ والنسيان .

فقد نسيت مادة « لَذَّ الطعام » ، وهي
 من المشترك لوجود « اللذلة » بمعنى
 السرعة .

وأخطأت فوضعت بعض مواد
 المشترك ضمن ما انفرد به مضعف الثلاثي
 وهي :

الطثُ : لعبة للصبيان ، وهي من المشترك
 لوجود « طثطثت الشيء » ، إذا حركته من
 يدك ..

البزُ : الغلبة ، وهي من المشترك لوجود
 « البززة » وهي شدة السُّوق .

الخط : الوضع وهي من المشترك لوجود
 الخططة » وهي السرعة .

وإني لداع إلى التمحيص وتحكيم الذوق
 اللغوي السليم فيما قدمت وما أشرت ، لكي
 تخرج الكلمات الجديدة مشرقة وضاءة ،
 تسعدنا باستعمالها ، ولا تعرضنا للنقد ، والله
 من وراء القصد .

مضعف الثلاثي

ومضعف الرباعي

يتقارضان

وفى لسان العرب لابن منظور : والعرب تقول : ضاعفت الشيء وضعفته بمعنى واحد . ومثل هذا جاء فى القاموس المحيط . وتقارض هاتين الصيغتين يعنى إجازة تحويل كل منهما إلى الأخرى ، فنحول ما انفرد به مضعف الثلاثي إلى مضعف الرباعي ، ونحول ما انفرد به مضعف الرباعي إلى مضعف الثلاثي ، وذلك يثرى مفردات اللغة ، ويضيف إليها ما يزيد على مائتى كلمة ، كما سيوضح فيما بعد .

وقد ورد فى القاموس المحيط (٣٦٠) مادة لغوية استعملت من مضعف الثلاثي ، كما استعملت من مضعف الرباعي ، إما بمعنى واحد ، وإما بمعان مختلفة . وانفرد مضعف الثلاثي ، فلم يرد معه مضعف الرباعي فى (١٤٣) مادة . كما انفرد مضعف الرباعي ، فلم يرد معه مضعف الثلاثي فى (٦٥) مادة وقد بلغ مجموع هذه

اتفق علماء الصرف على تقسيم المضعف إلى قسین هما : مضعف الثلاثي ، وهو ما كانت عينه ولامه من جنس واحد مثل : ردّ . عبّ . كَلّ . قَلّ . مَلّ . نَمّ . ومضعف الرباعي ، وهو ما كانت فاؤه ولامه الأولى من جنس ، وعينه ولامه الثانية من جنس مثل : عسعس . زلزل . كبكب . مضمض . والمضعف ، والمضاعف فى عرفهم وفى عرف اللغويين بمعنى واحد ، فقد جاء فى كتاب سيبويه (٣ : ٥٢٩ ، ٥٣٠) عنوان يقول : هذا باب مضاعف الفعل ثم يبدأ حديثه بقوله : والتضعيف أن يكون آخر الفعل حرفان من موضع واحد ، وذلك نحو : رددت ... وجاء فيه أيضا (٤ : ٤٢١) هذا باب ما شذ من المضاعف . وكذلك جاء فى المقتضب للمبرد (١ : ٢٤٥ ، ٢٤٦) .

الأنواع الثلاثة (٥٦٨) مادة ، المشترك منها
بنسبة مئوية قدرها ٦٣,٤ ٪ ، ومضعف
الثلاثي منها بنسبة ٢٥,٤ ٪ ومضعف الرباعي
بنسبة ١١,٢ ٪ .

ونظرا لأن ما يقرب من ثلثي هاتين
الصيغتين قد جاء مشتركا بينهما نرى أنه
يجوز أن نحول ما انفردت به إحدى هاتين
الصيغتين إلى الصيغة الأخرى قياسا على
الكثرة الواردة ، كما قال ابن فارس
(المزهري ١ : ٢٠٠) : « أجمع أهل اللغة إلا
من شذ منهم أن للغة العرب قياسا ، وأن
العرب تشتق بعض الكلام من بعض » . وهذا
يجيز لنا أن نأخذ بهذا التحويل عند الحاجة إليه
« وعزى إلى سيبويه وأصحابه أن وزن
ررب ونحوه فعَل فأصله : رَبَّ - أبدل الوسط
حرفا من جنس الأول » (المزهري ٢ : ٥) .

وما عزى إلى سيبويه وأصحابه يوثق
العلاقة بين مضعف الثلاثي ومضعف الرباعي .
والكوفيون يقولون عن مضعف الرباعي :
إن هذا الباب ونحوه ثلاثي ، أصله : فعَل ،
فاستثقل التضعيف ، فحالوا بين المضاعفين
بحرف مثل فاء الفعل (الهمع ٢ : ١١٥) .

وفى كتاب سيبويه (٤ : ٤١٧) « هذا
باب التضعيف : اعلم أن التضعيف يثقل على
ألسنتهم وأن اختلاف الحرف أخف عليهم من أن
يكون من موضع واحد » وفى هذا بيان
لتحويل مضعف الثلاثي إلى مضعف الرباعي ،
وأما عكسه فأمره أيسر من هذا لأنه رجوع
بالصيغة إلى الأصل الثلاثي الذي جاءت عليه
جمهرة المعجم اللغوي .

وقد منحنا ابن جنى هذا الحق فى الخصائص
(١ : ٣٠٨) فقال :

ولما كان النحويون بالعرب لاحقين ، وعلى
سمتهم آخذين ، وبألفاظهم متحلين ولمعانيهم
وقصودهم آمين - جاز لصاحب هذا العلم الذى
جمع شعاعه ، وشرع أوضاعه ، ورسم أشكاله ،
ووسم أغفاله ... أن يرى فيه نحواً بما رأوا ،
ويحذوه على أمثلتهم التى حذوا ، وأن يعتقد
فى هذا الموضع نحواً بما اعتقدوا فى أمثاله ،
لاسيما والقياس إليه مصغ وله قابل وعنه غير
متناقل ..

ومما يؤيد اتجاهى هذا ما نقله السيوطي
(فى المزهري ٢ : ٣٠ ، ٣١) عن ابن دريد :
قال فى الجمهرة :

قالوا : تقَّ تقَّا ، ثم أميت هذا الفعل ، ورد إلى بناء جعفر ، فقالوا : تفتق وقالوا : تفتق الرجل من الجبل - إذا انحدر يهوى على غير طريق . وقالوا : الهث ، ثم أميت ، وألحق بالرباعي في الهشهة ، وهو اختلاط الأصوات في الحرب أو في صخب ...

وكذلك قال ابن دريد عن : الجع ، القح ، الكح ، الذع ، الرف ، شع ، شغ ، صع ، ضع ، ضع ، لع . قه .

وقد رجعت إلى القاموس المحيط فوجدت كثيرا مما أميت قد دونه الفير وزابادي وذكر معانيه ، ولم ينص على شيء من هذا بأنه أميت ، ولم يذكر الثلاثي من (صعصع) وقد قال ابن دريد : وأميت قه ، وقبل قهقهه ، والذي في القاموس المحيط : قهقهه : رجع في ضحكه ، أو اشتد ضحكه ، كقه فيهما ، أو : قه : قال في ضحكه : قه ، فإذا كرره قيل : قهقهه .

فابن دريد يتحدث عن الإماتة لبعض الصيغ واستعمال صيغ أخرى بدلها ، ومن جاءوا بعده يحيون ما أميت ، فهل لنا أن نقفوا آثار هؤلاء ، فنجدد اللغة قياسا على اللغة !

وقد عرَّضَ مقترحي هذا على مؤتمر المجمع

الموكر في الدورة الثامنة والخمسين في الجلسة الخامسة من جلساته ، تابعا لتعليقي على بحث للأستاذ سعيد الأفغاني عضو المجمع (سورية) بعنوان « تاريخ كلمة » ولما لم أجد معارضة عددت السكوت موافقة ، وقمت بإحصاء للمضعف من الثلاثي ومن الرباعي من القاموس المحيط على ما سبق في الحديث عن تقارض هاتين الصيغتين .

وفيما يلي نص ما ألقى في مؤتمر العام الماضي :

هذا وأرجو التفضل بإضافة كلمة عن مضعف الثلاثي ونقله إلى مضعف الرباعي في متن اللغة ، فقد رجعت إلى القاموس المحيط في بعض أبوابه ، فوجدت أن عددا كبيرا من مضعف الثلاثي انتقل إلى مضعف الرباعي ، أحيانا بنفس المعنى ، وأحيانا بمعنى آخر ، ومن ذلك بإيجاز :

أر : أرار - بر : بريرة - تر : تتررة - ثرة : ثرثرة - جر : جرجرة - الحر : الحرحار - الخريز : الخرخرة - الدر : الدردرة - الذر : الذردار - الزر : الزرزور - السر : سرسور - الشر : الشراشر - الصرة : الصرصر - الطر : الطرطور - الظر : الظرطور - العر : العرعررة

غر : غرغر - فر : فرفر - القر : القرقرة -
الكر : كركر - مر : مرمرة - هر : هررة .

الرع : الرعرعة - السع : السعسة -
شع : شعشة - الضع : الضعضة - الطع :

الطعطع - الفع : الففع - كع : كعكع - مع :
معمع - النع : الننع - الوع : الوعوع -

جفة : جفجة - حف : حفحف - خف : خفخة
دف : ددف - ذف : ذذف - رف : رفر -
زف : زفف .

وإن الداعى إلى هذا كان سؤالاً عن كلمة
ابتكرها أحد المترجمين المتمكنين من اللغة
العربية وهذه الكلمة ينبغى أن تنظر إليها
معاجمنا وتضيفها إلى متنها ، لأنها لا تخرج
عن مثال من الأمثلة الكثيرة التى وردت فى
اللغة العربية ، من نقل مضعف الثلاثى إلى
مضعف الرباعى . هذه الكلمة هى الخصخصة
بمعنى تحويل القطاع العام إلى قطاع خاص ،
وهى لا تزيد على أنها من جعل مضعف
الثلاثى (خص) من مضعف الرباعى
(خصص) والله من وراء القصد .

وفيما يلى الإحصاء المتحدث عنه من قبل ،
ولم أفرق فيه بين الأسماء والأفعال :

**إحصاء لمضعف الثلاثى ومضعف الرباعى
من القاموس المحيط**

**أولاً : ما جاء مشتركاً بين الصيغتين
الجزء الأول :**

١ - تبّ ... تبتّ يده : ضلتا وخسرتا ،
وأتبّ الله قوته : أضعفها . وتبتب : شاخ .
٢ - ثبّ : جلس متمكناً ، كثبثب ،
والأمر : تمّ .

٣ - جبّ : قطع ... والججب : المستوى
من الأرض .

٤ - الحبّ : الوداد ... والحبوبة : جرى
الماء قليلاً كالحبوب .

٥ - الحَبّ : الخداع وخببت
كعلمت وخبب : غدر

٦ - دبّ : مشى على هيئته ... والدببة :
كل صوت كوقع الحافر على الأرض .

٧ - ذبّ عنه : دفع ومنع ... والذبذبة :
تردد الشئ المعلق فى الهواء .

٨ - رَبَّ : جمع وزاد ولزم ... والربرب :
القطيع من بقر الوحش .

٩ - زَبَّ يَزْبُ فَهُوَ أَزْبٌ : كثر شَعْرُهُ ...
وَالزُّبْزُبُ : ضرب من السفن ، وزيزب :
غضب ، أو انهزم فى الحرب .

١٠ - سَبَّه : شتمه ... وَتَسَبَّبَ الْمَاءُ :
جرى وسال ... وسبسه : أساله ... والسبب :
المفازة أو الأرض المستوية .

١١ - شَبَّ يَشْبُ .. وَشَبَّتِ النَّارُ ...
وَشَبَّشَتْ : تَمَّ ...

١٢ - صَبَّه : أراقه ... وصبصبه : فرقه
ومحقه فتصبصب .

١٣ - الضَبُّ ... أَرْضٌ مَضْبَةٌ وَضَبَّةٌ :
كثيرته ... والضَّبُّضُ : السمين ..

١٤ - الطَّبُّ : علاج الجسم والنفس ...
والطببية : الدَّرة . وطبطب : صَوَّتَ ...

١٥ - الْعَبُّ : شرب الماء ... وَالْعَبْعَبُ :
نَعْمَةُ الشَّباب .

١٦ - الْغِبُّ : عاقبة الشيء ... وَالغَيْغِبُ :
صنم ، واللحم المتدلى تحت الحنك كالغَيْب .

١٧ - قَبَّ الْقَوْمُ : صَخَبُوا فى الخصومة ..
وقبقب : هدر وصوت وحمق ...

١٨ - كَبَّه : قلبه وصرعه كأكبه . وكبكبه
فأكب وهو لازم متعدد .

١٩ - أَلَبَّ بِالْمَكَانِ : أقام كلباً ... ولبالب
الغنم : جلبتها .

٢٠ - نَبَّ يَنْبُ نِياً وَنَبِيْياً وَنَبَايَا بِالضَّم ،
ونبنب : صاح عند الهياج .. ونبنب : طول
عمله فى تحسين .

٢١ - الْوَبُّ : التهيؤ للحملة فى الحرب
كالوبوة .

٢٢ - الْهَبُّ وَالْهُبُوبُ : ثوران الريح ، وهبَّ
التيس يهب ويهب هيباً وهباً وهبة : نبَّ
للسفاد ، كاهتب وهبهب .

٢٣ - خَنَّه : فركه وقشره فانحت ونحات ،
والمورقُ : سقطت كانحت وتحات وتحتحت .

٢٤ - الرُّتُّ : الرئيس ... والرُّتَّةُ :
العجمة .. وأرته الله فرت . ورثرت : تعتع فى
التاء .

٢٥ - عَتَّه : رد عليه الكلام مرة بعد مرة
والعتعت كبلبل وررب : الجَدْيُ .. والعتمعة :
الجنون ، ودعاء الجدى بعَتَّ عَتَّ .

٢٦ - الْفَتُّ : الدق والكسر بالأصابع ...
والفتفتة : أن تشرب الإبل دون الرى .

٢٧ - القَتَّ : نمّ الحديث كالتفتيت
والقتقة ... والكذب .

٢٨ - كَبَتَ البعيرُ يَكِبُ : صاح صياحا
لينا .. الكتيت : المشى رويدا ، أو بمقاربة
الخطو في سرعة كالكتكته والتكتكت ...
وكتكت : ضحك ...

٢٩ - اللَّتَّ : الدق ... والللتة : اليمين
الغموس ...
٣٠ - المَتَّ : المد والنزع ... والتوسل
بقراءة كالتمتة .

٣١ - نَتَّ منخره غضبا : نفخ ... ونَتَّتْ :
تقدّر بعد نظافة .

٣٢ - الوَتَّ ويضم : صياح الورشان كالوُتّة
بالضم ، والوتاوت : الوساوس .

٣٣ - الهَتَّ : سرد الكلام ... كالهتته .
وهتت في كلامه : أسرع .

٣٤ - أَثَّ النبات يَثُّ (مثلثة) : كثر ..
والأثاث : الكثيرات اللحم .

٣٥ - بَثَّ الخَبَرَ ... : نشره .. وبَثَّ الغبار
وبثبه : هيجه .

٣٦ - الجَثَّ : القطع ... وتجتثث الشُّعَرُ :
كثر ... والطائر : انتفض ...

٣٧ - حَثَّ عليه واستحثه وأحثه واحتثه
وحثه وحثحه : حضّه .

٣٧ م - الطَثَّ : لعبة للصبيان .. وطثطشت
الشيء إذا حركته من يدك .. (منقولة مما انفرد
به الثلاثي رقم ١٦) .

٣٨ - العَثَّة بالضم : سوسة تلحس
الصوف ... والعثعث : الفساد ، وعثعث : حرك
وأقام . والعثاث : الشدائد .

٣٩ - الغَثَّ : المهزول ... والغثغة : القتال
الضعيف بلا سلاح .

٤٠ - القَثَّ : الجرّ والسّوق . والقشاة :
الجماعة . والقثقة : وفاء المكيال ، وتحريك
الوتد لنزعه .

٤١ - الكَثَّ : الكثيف .. والكثكث كجعفر
وزبرج : التراب وفتات الحجارة ... وقد أكث
وكثكث .

٤٢ - اللَّثَّ والإلثاث والثلثة : الإلحاح
والإقامة ودوام المطر ...

٤٣ - مَثَّ النَّحْيُ : رشح ، كمشمشت ...
ومشمث : أسبغ الفتيلة بالدهن واخلط وتعتع
وحرك ..

٤٤ - نَثَّ الخبر : .. أفشاه . ونثنت : عرق كثيرا .

٤٥ - الهشهة : الاختلاط والظلم ..

والهث : الكذب .

٤٦ - بَجَّ : شق وطعن بالرمح ...

والبجبة : شئ يفعل عند مناغاة الصبي ...

وتبجج لحمه : كثر واسترخى .

٤٧ - ثَجَّ الماء : سال ، كانشج وتشجج .

٤٨ - الحَجَّ : القصد . وحجج : أقام

ونكص وكف وأمسك عما أراد قوله ...

٤٩ - الحَجَّ : الدفع والشق ... والحججة :

الانقباض والاستخفاء . ورجل خجاجة

وخجاجة : أحمق لا يعقل .

٥٠ - دَجَّ يدج دجيجا : دب فى السير

والبيت ، .. ليلة دبجوج ودجاجة : مظلمة

وتدجدج : أظلم كدجدج .

٥١ - الرَجَّ : التحريك والتحريك والاهتزاز

والحبس ... والرجرة : الاضطراب ، كالارتجاج

والترجرج .

٥٢ - سَجَّ الحائط : طينه . والمسجة :

خشبة يطئن بها ... ويوم سجسج : لا حر

ولا قر ... والسجسج : الأرض ليست بصلبة

ولا سهلة .

٥٣ - عَجَّ يعج عجيجا وعجا : صاح ورفع

صوته كعجعج .

٥٤ - الفَجَّ : الطريق الواسع بين جبلين ...

والفجفج كفدفد وهدهد وخلخال : الكثير

الكلام المتشبع بما ليس عنده .

٥٥ - الكُجَّة : لعبة يأخذ الصبي خرقة

فيدورها كأنها كرة .. وكجَّ : لعب بها .

والكجكة : لعبة تسمى است الكلبة .

٥٦ - لَجَّ : تردد فى كلامه ... وتلجلج

دأره : أخذها منه .

٥٧ - مَجَّ الشراب من فيه : رماه ..

ومجمج فى خبره : لم يبينه .

٥٨ - نَجَّت القرحة تنج نجا ونجيجا : سالت

بما فيها . ونجنج : منع وحرك ...

٥٩ - الهجاجة : الهبة التى تدفن بالتراب ،

والأحمق كالهجهاج ..

والهجهاج : النفور والشديد الهدير من

الجمال .

٦٠ - أَحَّ : سعل ... وأحاح زيد : أكثر

من قوله " يا أحاح . وأحى : تنحنح ، وأصله :

أحح ، كتظنى أصله : تظنن .

٧٧ - نَحْ يَنْح نَحِيحاً : تردد صوته فى جوفه
كنحنح وتنحنح ... ونحنحه : رده رداً قبيحاً .

٧٨ - الوحوحة : صوت معه بَحَح ، والنفخ
فى اليد من شدة البرد .. والوَحْ : الوتد ..
ورجل فقير ، ومنه : أفقر من وَحَّ أو من الوتد.

٧٩ - بَخِخ البعير : هدر .. وَيَغَّ : سكن
من غضبه ، وفى النوم : غط كبخبخ .

٨٠ - التَخَّ : عصارة السمسم والعجين
الحامض .. وقد تَخَّ .. وَأَتَخَّه .. والتختخة :
اللكنة .

٨١ - جَغَّ : تحول من مكان إلى آخر
كجفجفج وتجفجفج وجفجفج : كتم ما فى نفسه
ونادى وصاح وقال : جغ جغ .

٨٢ - الدُخَّ : الدخان .. دخدخ : ذلل
وكف .. والدَخَّخ : سواد وكدورة . ورجل
دُخْدُخ : قصير .. وتدخدخ : انقبض .

٨٣ - الرخاخ كسحاب من العيش :
الواسع ، ومن الأرض : الرخوة .. والإرخاخ :
المبالغة فى الشيء .. وطين رخرخ ورخراخ :
رقيق .

٨٤ - زَخَّه : أوقعه فى وهدة .. وزخزها :
جامعها كزخها .

٨٥ - السخاخ كسحاب : الأرض اللينة الحرة
كالسفاسخ . وسخ فى الحفر والسير : أمعن .

٨٦ - الشخ : البول .. وشَخَّ فى نومه :
غط . وشخشخ : امتد كالقضيبي ، والشخشخة
صوت السلاح .

٨٧ - الطَخَّ : رمى الشيء وإبعاده ..
والطخطاخ : السيىء الخلق . والطخطخة :
تسوية الشيء وضم بعضه إلى بعض .

٨٨ - الفَغَّ : المصيدة ... وَفَغَّ النائم .. :
غط .. وفخفخ : فاخر بالباطل .

٨٩ - لَغَّ فى كلامه : جاء به ملتبسا
مستعجلاً .. واللخلخانية : العجمة فى المنطق
« كاللخلخة » .

٩٠ - مَخَّخ العظمَ وتمَخَّفه وامتَخَّه
ومخمخه : أخرج مَخَّه .

٩١ - النَخَّ : السير العنيف ، والإهبل
تُناخ .. ونخنخه : نحاء .. والإهبل : أهرکها
فتنخنخت .

٩٢ - الوَخَّ : الألم والقصد . والوخوخة :
حكاية صوت طائر .. والوخواخ : العنين ..

٩٣ - الجَدَّ ... والجَدَّجَد : الأرض
الصلبة .

١٠٤ - الحذ : الجذ . والحذة بالضم :

القطعة من اللحم . وقَرَبُ حذَاز : (حصان)

سريع . .

١٠٥ - غَذَّ الجرح : سال . وأغذ السير

وفيهِ : أسرع . وغذغذ منه نقصه كغذّه .

وتغذغذ : وثب .

١٠٦ - الفَذَّ : الفرد .. وفَذَقَذَّ : تقاصر

ليشب خاتلا .

١٠٧ - القذة : ريش السهم ... والبرغوث ...

وتقذقذ في الجبل : صعد .

١٠٧ م - لذ الطعام .. واللذذة : السرعة

(هذه المادة نسيت) .

١٠٨ - مَـمَـذ : كذب ، وهو مِـمَـمِـذ

ومِـمِـذ : كذاب . والمِـمَـمَـذ : الصيَّاح والمِـمَـمِـذى :

الظريف .

١٠٩ - الهِذَّ : سرعة القطع .. والهَذَا

والهَذَا : القطاع .

١١٠ - الأَرَّ : السوق والطرْد ... وأَرَأَر :

من دعاء الغنم .

١١١ - البِرَّ : الصلة والجنة والخير ...

والبريرة : صوت المعز وكثرة الكلام .

بَرَبَرَفَهَو بَرَبَار ودلُو بَرَبَار : لها صوت .

وبربر : جبل .

٩٤ - الحَد : الحاجز بين شيئين .. والحَدَد

كفدَد : القصير .

٩٥ - الحِـدَّان ... والحِـدَّ : الطريق ..

وكهدهد : دويبة .

٩٦ - صَدَّ عنه صدودا : أعرض ... وصَدَّصَدَّ :

امرأة . وصداصد كعلايط : جبل لهذيل .

٩٧ - العَدَّ : الإحصاء ... والعَدَّعة :

العجلة والسرعة في المشي .

٩٨ - الفَدِيد : رفع الصوت أو شدته ..

وكذا الفَدْفَدَة ، وَقَدَّ قَدَّ .. وفَدَفَد : عدا هاربا

من سبع أو نحوه .

٩٩ - القَد : القطع المستأصل .. وكِفْلَقَل :

جبل به معدن البرام .

١٠٠ - الكَد : الشدة والإلحاح والطلب ..

والكدكدة : الإفراط في الضحك كالكدكاد

بالكسر .

١٠١ - المَدُّ : السيل ... والمَدَمَد : النهر

والجبل .

١٠٢ - الهِـدَّ : الهدم الشديد ..

والهدهد (م) وهدهد الظائر : قرقر ، وهدهد

الصبي : حركه لينام .

١٠٣ - الجِـدَّ : القطع المستأصل ...

كالجذجة .

١١٢- ترّ العظم: بان وانقطع... والترترة :
التحريك وإكثار الكلام .

١١٣ - الثُّرّة من العيون : الغزيرة ...
والمرأة الكثيرة الكلام كالثارة والثائرة والثر :
التفريق كالثرثرة .

١١٤ - الجر : الجذب ... والجرجرة : صوت
يردده البعير فى حنجرتة . وجَرَجَرَ الشرابُ :
صَوّت .

الجزء الثانى :

١١٥ - الحرّ : ضد البرد .. والحرّار :
موضع بيلاد جهينة .. الحرّة : الأرض اللينة
الرملية ، ومن العرب : أشرافهم .

١١٦ - الخريز : صوت الماء والريح
والعقاب إذا جفت كالخرخر .. وغطيط النائم
كالخرخرة .

١١٧ - الذرّ : النفس واللبن ... والدردر :
مغارز أسنان الصبى ، وتدردت اللحمية :
اضطريت ، ودردر البسرة : لأكها .

١١٨ - الذرّ : صغار النمل ... والذرذار :
المكثار .

١١٩ - الزر : الذى يوضع فى القميص ..
والزرير كأمير : الذكى الخفيف كالزرازير
والزرازير .. ، وزرّز : صوت .

١٢٠ - السبر : ما يكتم كالسريرة ...
والتسرسر فى الثوب : التهلّهل . وسرّسر
الشفرة : حدها .

١٢١ - الشر : نقيض الخير ... وشرّشه :
قطعه .

١٢٢ - الصرة ... والصّر : شدة البرد
أو البرد .. وصّرّ : صاح كصرصر .

١٢٣ - الطّر : الشد والسوق الشديد ...
وطرطر : طرمذ « عليه فهو طرماذ : صلف
مفاخر » .

١٢٤ - الطّر : الحَجَر (ج) ظران وطران
كالأظور والظرطور .

١٢٥ - العر والعرّة : الجرب ... وقد عُرّت
فهى معرورة ، وتعرّعت .

١٢٦ - غره : خدعه ... وغرّغر : جاد
بنفسه عند الموت .

١٢٧ - القَرّ والفرار : الروغان والهرب .
فر يفر... وفرّفه : صاح به .

١٢٨ - القُر : البرد ... والقرقرة :
الضحك .

١٢٩ - كرّ عليه : غنّط ، وكرّ عنه :
رجع ... وكرره تكريرا ... وكرّكره : أعاده مرة
بعد أخرى .

١٣٠ - مرّ مرّاً : جاز وذهب ... وممره :
جعله مُراً ، وتمرمر : اهتز وترجرج .

١٣١ - الورة : الحفيرة في الأرض ، والورورى
كبربرى : الضعيف .. ورور نظره : أحده .

١٣٢ - هره : كرهه ... وهرهر بالغنم :
دعاها إلى الماء أو أورها كأهر .

١٣٢ م - البزّ : الغلبة .. والبزيزة شدة
السوق ... (منقولة مما انفرد به الثلاثى تحت
رقم ٥٠) .

١٣٣ - جزّ الشّعَر : قطعه ، والجزيزة :
خصلة من صوف ، كالجزجة .

١٣٤ - الحزّ : القطع ... والحزحزة : ألم
فى القلب من خوف أو وجع .

١٣٥ - الحز من الشياب ... والحزخز
بالضم : الغليظ وكعلبط وعلابط : القوى
الشديد .

١٣٦ - رزّ الرجل : طعنه ... ورززه :
حركه . والحمل : سواه .

١٣٧ - عزّ .. كتعزّز وقوى بعد ذلة ...
وعزّز بالعز فلم تتعزّز : زجرها فلم تتنحّ .

١٣٨ - غزّ فلان بفلان : اختصه من بين
أصحابه ... والغزّ : الشدق كالغزغز .

١٣٩ - فزّ عنى : عدل وانفرد ... وتفزّز
عنى وأفتزّز : غلب ، وفزفز : طرد إنسانا
أو غيره .

١٤٠ - القزّ : الوثب ، والانتقباض للوثب ..
وابن قزقز بالضم : محدث . وقزقزّ : موضع ،
وقزاقز من الشيء : نبذ منه .

١٤١ - لزه لزا : شده وألصقه ... وتلزلز :
تحرك .

١٤٢ - مزّه : مصه . والمزة : المصّة ...
ومزمزه : حركه فتمزمز ...

١٤٣ - التزّ : ما ينحلب من الأرض من
الماء ... والتزّزة : تحريك الرأس ...

١٤٤ - الوزّ : الإوز... والوزوز : الموت ...
والوزوزة : الخفة وسرعة الوثب .

١٤٥ - هزه وهه : حركه ... والهزهزة
والهزاهز : تحريك البسلايا .. وهزهزه : ذلله
وحركه... وتهزهزه إليه قلبى : ارتاح
للسرور...

١٤٦ - البسّ : السوق اللين... والبسبس :
القفر الخالى ... وبسبس : أسرع ..

١٤٧ - الحسّ : الجلبة ... وحسست ...
اللحم : جعلته على الجمر ، كحسحسته .

١٤٨ - الرَسَّ : ابتداء الشيء ... ورسرس
البعيرُ : تمكن للنهوض .

١٤٩ - عَسَّ : طاف بالليل ... وعسَّعس
الليلُ : أقبل ظلامه أو أدير ...

١٥٠ - غَسَّ في البلاد : دخل ومضى ...
وغَسَّ فلانا في الماء : غطه .. كغَسَّغس ...

١٥١ - الفَسَّاس : الأحق ... والفسييس :
الضعيف العقل أو البدن .

١٥٢ - القَسَّ في العلم كالقَسَّيس .
وقَسَّهم : آذاهم بكلام قبيح . والقسَّاس :

السريع والدليل الهادي ... كالقَسَّس ...
وقسَّستُه : تحريكه . وتقَّس الصوت :
تسمعه . وقسَّس : أسرع .

١٥٣ - الكَّسَّ : الدق الشديد كالكسكة .
والكسَّاس : القصير الغليظ . والتكَّسَّ :
التكلف . والكسكة لتميم لا ليكر .

١٥٤ - اللَسَّ : الأكل واللحس ... واللَّسَّاس
واللَّسَّلة بكسرهما : السنام المقطوع .

١٥٥ - مَسَّته أمَّسه مَسًّا : لمسته ...
والمَسَّ : الجنون . والمسماس بالكسر والمسمسة :
اختلاط الأمر والتباسه .

١٥٦ - النَسَّ : السوق والزجر كالنسنسة ..
ونسَّس : ضعف .. وتنسَّس منه خبيرا :
تنسَّمه .

١٥٧ - الوَسَّ : العوض ... والوسواس :
الشیطان ... والوسوسة : حديث النفس
والشیطان بما لا نفع فيه ... وقد وسوس
له وإليه .

١٥٨ - هَسَّه : دقه وكسره ... والهسييس :
الكلام الخفى .. والهسهسة : تسلسل الماء
كالنهسهس .

١٥٩ - البَشَّ والبشاشة : طلاقة الوجه ..
وأبشت الأرض : التف نبتها ... وتبشَّش به :
آنسه وواصله .

١٦٠ - جَشَّه : دقه وكسره ... وجشَّ البثر :
كنسها ونفاها كجشَّجشها ...

١٦١ - حَشَّ النار : أوقدها ...
وتحشَّحشوا : تفرقوا وتحركوا ، كحشَّحشوا .

١٦٢ - حَشَّشْت فيه : دخلت ...
وتخشَّخش : صَوَّت ، وفي الشجر : دخل
وغاب .. والتخشَّشة : صوت السلاح وكل
شيء يابس إذا حك بعضه ببعض .

١٦٣ - الرش : نفض الماء والدم والدمع

كالتُرشاش...والرشراش : الرخو من العظام ...

كالرشرش .. والرشرشة : الرخاوة والإطافة بمن تخافه ..

١٦٤ - العَشْعَش ويضم : العُش المتراكب

بعضه فوق بعض ، وعشش الطائر تعشيشًا :

اتخذ عشا كاعتش ..

١٦٥ - فشُ الوطب : أخرج ما فيه من

الريح ... وقَشَقَش : ضعف رأيه وأفرط من

الكذب .

١٦٦ - قَش القوم قشوشا : صلحوا بعد

الهزال .. وأقش من الجدرى : برأ منه ،

كتقشقش . والمقشقشتان : « قل يا أيها

الكافرون » و « الإخلاص » .

١٦٧ - الكُش : الذى يلقح به النخل ...

والكشكشة : الهرب ... وكشيش الأفعى وقد

كشكشت .

١٦٨ - اللش : الطرد ... واللشلشة :

كثرة التردد عند الفرع ... وهو جبان لشلاش ..

١٦٩ - المش : الخلط حتى يذوب .. ومص

أطراف العظام .. كالتمشش . والمشمشة :

الحفة والسرعة .. والمشمش : ثمر معروف .

١٧٠ - النش : السُّوق الرفيق ... ونَشْنَشَ

الطائر ريشه بمنقاره ... نشف منه .

١٧١ - هَشَّ الورق يهشُّه هشا : خبطه

بعضا ليتحات ... والهشهاش : الحسن الخلق

السخى .. وهششه : استضعفه .. وهششه :

حركه .. والمتهشهشة : المتحبة إلى زوجها ..

١٧٢ - بصَّ يبص بصيصا : برق ولمع ..

وبعير بصباص : ضامر ... وبصبصت الأرض :

ظهر منها أول ما يظهر ، كبصصت وأبصت .

١٧٣ - الجِصن مسعروف ... ومكان

جُصَّاجص بالضم : أبيض مستور .

١٧٤ - الحَص : حلق الشعير ...

وحصص : بان وظهر .

١٧٥ - اللدصة : ضريك المنخل بيديك ،

ودَص : خدم سائسا .

١٧٦ - رَصَّ : ألزق بعضه ببعض ...

والرُصاصة مشددة : البخیل ، وحجارة لازقة

بحوالى العين الجارية كالرصراصة ... ورصرص

البناء : أحكمه وشدده .

١٧٧ - العَص : الأصل ... وعص كسمل :

صلب واشتد ... والعصعص كقنفذ وعلبط

وحجب ... :عجب الذنب ، والعصصة : وجعه .

١٧٨ - القُصة : الشجَا ... والغصغص
 كجعفر : نبت . ومنزل غاص بالقوم : ممتلىء .
 ١٧٩ - الفص للخاتم مثلثة ...
 والفصصة : العجلة في الكلام ... وفصص :
 أتى بالخبر حقا .. وفص الجرح : ندى وسال .
 ١٨٠ - قص أثره قصا : تتبعه ... وزجل
 قصقاص : غليظ ... وقصقص بالجرى : دعاه
 وتققص كلامه : حفظه .
 ١٨١ - اللص : فعل الشيء في ستر .
 والسارق ويثلث ... ولصلصه : حركه ..
 ١٨٢ - المص : الشرب شربا رفيقا ...
 وإنه لمصامص : أى حسيب زاك . والممصصة :
 المضمضة ... وممصصة الذنوب : مُمَحِّصَتُهَا .
 ١٨٣ - نص الحديث إليه : رفعه ...
 ونصنصه : حركه ، وقلقله .
 ١٨٤ - الوَص : إحكام العمل . والوصوص
 والوصواص : خرق في الستر بمقدار عين تنظر
 فيه ... ووصوص : نظر فيه .
 ١٨٥ - هصبه : وطنه فشده ...
 والمهصبصة : عَيْنُ البصوص بالليل خاصة .
 وهصبه : غمزه ..

١٨٦ البض : الرخص الجسد الرقيق ...
 وجارية بضبطة وباضة وبضباضة . ورجل
 بضابض : قوى .
 ١٨٧ - حضه عليه حضا : حشه ...
 والحضحض كقنفذ : نبت .
 ١٨٨ - الخضاض كسحاب : اليسير من
 الحلى ... والخضخاض : نقط أسود رقيق تهنا
 به الإبل الجرب ... والخضخضة : تحريك
 الماء ... وتخضخض : تحرك .
 ١٨٩ - الرض : الدق والجشش ...
 ورضرضه : كسره . والحجارة ترضرض :
 تتكسر .
 ١٩٠ - غض طرفه .. غضا : خفضه ...
 وغضغضه : نقصه ، كفضه فتغضغض .
 ١٩١ - الفض : الكسر بالفرقة ... ودرع
 فضفاض وفضفاضة : واسعة .
 ١٩٢ - قض اللؤلؤة : ثقبها ...
 والقضقاض ... : الأسد (ويضم وليس فُعْلَال
 سواه كالقضائض) .
 ١٩٣ - لض ولضلاض : حاذق في الدلالة .
 ولضلضته : التفاته يمينا وشمالا .

١٩٤ - مضه الشئ : .. بلغ من قلبه
الحزنُ به ... والمضمضة : تحريك الماء في
الفم .

١٩٥ - نض الماء : سال قليلا قليلا...
وحية نضاضة ونضاض : لا تستقر في
مكان .

١٩٦ - هضه : كسره ودقه ... كاهتضه
وهضهضه فيهما .

١٩٧ - بط الجرح : شقه ... والبطبطة :
صوت البط أو غوصه في الماء ...

١٩٧ م - الحط : الوضع ... والحطحطة :
السرعة (منقولة مما انفرد به الثلاثي تحت
رقم ٧٩) .

١٩٨ - الحط : الكتب ... وخطخط في
سيره : تمايل كلالا .

١٩٩ - الرطيط : الجلبة والصياح ...
والرطراط : الماء أسأرتة الإبل .

٢٠٠ - شط شطا : بعد ... والشطشاط :
طائر ..

٢٠١ - عط الثوب : شقه ... والعطعط
كهدهد : العتود من الغنم .

٢٠٢ - غطه في الماء : غطسه ...
غطط البحر : علت أمواجه كتغطط ...

والغططه : حكاية صوت يقارب صوت
القطا ..

٢٠٣ - الأقط : الأقطس ... والقطافط :
الأصوات عند الزجر .. فططط : تكلم بكلام
لا يفهم .

٢٠٤ - القط : القطع ... وقطقطت
السماء : أمطرت ... وتقطقط : ركب رأسه .
٢٠٥ - لطّ بالأمر : لزمه ... واللطلط :
الغليظ الأسنان .

٢٠٦ - مطّه : مده ... مططط : توانى في
خطه أو كلامه ، ومططط الماء : خثّر .

٢٠٧ النط : الشد والمد ، وقد نط ينط .
والنطنط كقندفد وقلقل وسلسال : الطويل .

٢٠٨ - الوط : صوت الوطواط .
٢٠٩ - الهطط بضمّتين : الهلكى من

الناس ... والهطهطه : .. سرعة المشى
والعمل ..

٢١٠ - شظّه الأمر : شق عليه ...
والشظشظة : فعل زُبّ الغلام في البول .

٢١١ - عظته الحرب كعضته ... وعظعط
السهم عظعظة ... : ارتعش في مضيه ...

٢١٢ - الكظة : البطنة ... وهو يتكظكظ
عند الأكل : ينتصب قاعدا كلما امتلأ بطنه ..

والكظكظة : امتداد السقاء إذا ملأته تراه
يستوى كلما صببت الماء فيه .

٢١٣ - اللظ : الرجل العسر المتشرد
كاللظلاظ ... ويوم لظلاظ : حار .. وتلظظ
الحية ولظلظتها : تحركها .

٢١٤ - المظ : شجر الرمان ... ومظظته :
لمته ... وأمظظت العود الرطب : توقعت ذهاب
نُدُوته وعرضته لذلك ... والمظمظة : الذبذبة .

الجزء الثالث:

٢١٥ - البعّ : الصبّ في سعة وكثرة ...
والبعبع : حكاية صوت الماء المتدارك إذا خرج
من إنائه ... وبهاء حكاية بعض الأصوات ،
وتتابع الكلام في عجلة .. والبعابعة :
الصعاليك .

٢١٦ - التّع والتعة : الاسترخاء ...
والتتعتع : الفأفاء ... وتتعتع في الكلام :
تردد ...

٢١٧ - ثع يثع : قاء . والثعشع : اللؤلؤ
والصدف ... والثعثة : كلام فيه لثغة .

٢١٨ - جع : أكل الطين ... والجمعجع :
ما تطامن من الأرض ... والجمعجة : صوت
الرحى . وتجمعجع : ضرب بنفسه الأرض من وجع .

٢١٩ - الخُخُخ كهدهد : نبت أو شجرة .
وخعّ الفهد يخع : صات من حلقه إذا انبهر في
عدّوه .

٢٢٠ - الدع : الدفع العنيف ...
والدعداع : القصير ... ودعدع : عدا في بطن
والتواء .

٢٢١ - ذعذع المال وغيره : بدده وفرقه ،
فتذعذع ... والذعاع : الفرق ، الواحد كسحابة
ومن النخل : رديته ، كذعاذعه ..

٢٢٢ - الرعرعاع : اليافع الحسن الاعتدال
مع حسن شباب كالرعرع ... والرعاغ
كسحاب: الأحداث الطغام ، وكسحابة :
النعامة ومن لا فؤاد له ولا عقل ، والرّع :
السكون .

٢٢٣ - السعيع كأمير ، والسّع بالضم :
الشيلم .. والسعسعة : دعاء المعزى يسّع سَع
والهرم والفناء كالتسعسع ... وتسعسع الشهر:
ذهب أكثره ..

٢٢٤ - الشعشع والشعشاع ... : الخفيف
والحسن ... والشعاع كسحاب : التفريق ...
وشع البعير يوله : فرقته .. وشعشع الشراب :
مزجه .

٢٢٥ - الضعضاع الضعيف من كل
شيء... كـالضعضع... والضع : تأديب
الناقة ..

٢٢٦ - الطع : اللحس ، والطعطع كدفد :
المطمئن من الأرض ..

٢٢٧ - ماء قُع وقُعاع : شديد المرارة ...
والقُعقاع : من إذا مشى سمع لمفاصل رجليه
تقعقع وقععه كمدّه : اجتراً عليه بالكلام
... وقععت عُمدهم وتقععت : ارتحلوا ...

٢٢٨ - كع يكع كعوعا : جبن وضعف فهو
كع وكاع وكعكع بالضم .. وأكعته : خوفته..
ككعكته فتكعكع هو .

٢٢٩ - اللعاع كغراب : نبت ناعم فى أول
ما يبدو.. وألعت الأرض: أنبتتها... واللعلع :
السراب ... واللعلع : الجبان . واللعة :
العقيفة المليحة .

٢٣٠ - المع : الذويان ، والمعج : المرأة
التي أمرها مُجمَع لا تعطى أحدا من مالها
شيئا . والمععة : القتال .

٢٣١ - النع : الرجل الضعيف .. والنُناع
والنعنع : يقل معروف .. والنعنة : رُتّة فى
اللسان .

٢٣٢ - الوع : ابن آوى ، كالوعوع : وهو
الخطيب البليغ ...

٢٣٣ - البغبغ كقنفذ : البئر القريبة
الرشاء ... والبغ : الجمل الصغير .

٢٣٤ - الرغيفة : العيش الصالح ...
والرغرة : رفاغة العيش .

٢٣٥ - الزُغ بالضم : صُنّان الحبش ،
والزُغزغ كهدهد : طائر ، والقصير الصغير ...
٢٣٦ - شغ البعير بيوله : فرقبه ...
والشغشغة : تحريك السنان فى المطعون .

٢٣٧ - صغ : أكل أكلا كثيرا ، وصغصغ
شعره : رجّله ...

٢٣٨ - الضغيف كأمير : الخصب ...
والضغضفة : لوك الدرداء . ضغضغ اللحم فى
فيه : لم يحكم مضغه .

٢٣٩ - التُف : وسخ الظفر ...
والتفتاف : من يلتقط أحاديث النساء
كالمتفتف ..

٢٤٠ - الجقة والجف ويضمان : جماعة
الناس أو العدد الكثير ، وجقة الموكب : هزيه
كجفجفته .. وجفجف : حبس ومنع ورد إبّله
بالعجلة مخافة الغارة .

٢٤١ - حف رأسه يحف حفوفا : بعد عهده
بالدهن ... وحفحف : ضاقت معيشته .

٢٤٢ - خفّ يخف ... والخفيف ... وامرأة
خفخافة : كأن صوتها يخرج من منخريها ..

٢٤٣ - الدف بالفتحة : الجنب من كل
شيء ... والدّف ... وقد دف وأدف ودفدّف
واستدفّ ودقّف تدفيفا : أسرع كدّدف ...

٢٤٤ - ذف على الجريح ... أجهز ..
وذافّه وعليه وله : أجهز عليه كدّفّفه وذدّفّفه ..

٢٤٥ - رف يرفّ ويرفّ : أكل كثيرا ...
والرفرفة : الصوت ..

٢٤٦ - زف العروس إلى زوجها ..
والزفزة : تحريك الريح الحشيش ..

٢٤٧ - السفيف كأمير : نبت ..
والسفساف : الرديء من كل شيء .. وسفسف :
انتخل الدقيق ونحوه ، وعمله : لم يبالغ في
إحكامه .

٢٤٨ - الشّف ويكسر : الثوب الرقيق ..
وشفّ الثوب .. : حكى ما تحته .. وثوب
شفشاف : لم يُحكّم عمله ..

٢٤٩ - الصف : المصدر كالتصفيف ...
والصفصف : المستوى من الأرض ، وصفصف :
سار وحده فيه .

٢٥٠ - الضّفّف .. : كثرة العيال .. وضفّة
القوم وضمضفتهم : جميعهم .

٢٥١ - الطفيف : القليل .. والطقططة
ويكسر : الحاصرة .. والطفطاف : أطراف
الشجر ... وطفطف : استرخى في يد خصمه .
٢٥٢ - عف عفّوا عفّافا ... : كف عما
لا يحل ولا يجمل .. والعفّف : ثمر الطلع ،
وعفّف : أكله .

٢٥٣ - قفّ العشب قفّوفا : ييس ، وقفّ
الثوب : جف بعد الغسيل .. وقفقف : ارتعد من
البرد وغيره ، أو اضطرب حناكه واصطكت أسنانه .
٢٥٤ - الكف : اليد أو إلى الكوع ..
وكففته عنه : دفعته وصرفته ككفّفته فكف
هو ...

٢٥٥ - لفه ضد نشره كلّفّفه ... ورجل
لفلف ولفلاف : ضعيف .. ولفلف : استقصى
الأكل ..

٢٥٦ - نفّ الأرض : يذرّها ... التنفّف :

الهواء ، وكل مهوًى بين جبلين كالنفّاف ..

٢٥٧ - هفّت الريح تهف هفا وهفيفا : هبت

فسمع صوت هبوبها ... والهفّاف كشّداد من

الحُمْر : الطيّاش ومن القمص : الرقيق الشفاف

كالهفّاف فيهما .. والهفّاف : الضامر

البطن .

٢٥٨ - .. بقّ على القوم بقّا ويقاقا : كثر

كلامه ، كأبقّ فيهما ... والبقبقة : حكاية

صوت الكوز في الماء ونحوه ، والبيقياق :

القم، ويقبق علينا الكلام : فرّقه .

٢٥٩ - الحق من أسماء الله تعالى ...

وقرب حقائق : جادّ .. والحققة : أرفع السير

وأتعبه للظهر .

٢٦٠ - الإخقيق كإزميل وأسبوع : الشق

في الأرض .. وخَقّ الفرج يخق خقوقا صوت

(... وقد خَقّ وخقخق ... وخق القار ..

وخقخق : غلى وسمع له صوت) من لسان

العرب لابن منظور .

٢٦١ - دَقّه : كسره أو ضربه فهشمه ...

والدققة : جلبة الناس وأصوات حوافر الدواب.

٢٦٢ - الرّق ويكسر : جلد رقيق يكتب

فيه ... والرقراقة التي كأن الماء يجري في

وجهها وترقّق له : رق له قلبه . ورقرق الماء

ونحوه : صبه رقيقا .

٢٦٣ - الزّق : رمى الطائر بذرقه وإطعامه

فرخه كالزقزقة فيهما ..

٢٦٤ - السقق بضمّتين : المغتابون للناس.

وسقّ الطائر : ذرق ، كسقسق . والمسقسق :

من يصعد في دكة وآخر في أخرى وينشد كل

منهما ...

٢٦٥ - شَقّه : صدعه ... وشقشق الفحل :

هدر ، والعصفور : صوت .

٢٦٦ - طَقّ : حكاية صوت الحجارة .

والاسم الطقطقة (ضَقّ يضق : صوت كطقّ) .

٢٦٧ - العقيق كأميز : خرز أحمر ...

وعقّ والده ... والعقيق : طائر ...

٢٦٨ - غَقّ ... الصقصر : صوت ،

كغغغق...

٢٦٩ - فققتّه : فتحتّه ، ورجل فقاق

كسحاب وسحابة ، وفقفاق وفقفاقة : أحق

هُذرة وففقق : افتقر فقرا مدقعا .

٢٧٠ - اللقّ : الصدع فى الأرض ، ولق

عينه : ضربها بيده .. واللقلق : اللسان ،

واللقلقة : صوته .

٢٧١ - مقّ الطلعة : شقها للإبار ..

والمقامق : المتكلم بأقصى حلقه ، ومقمق : لان

وسلس .

٢٧٢ - نق الضفدع ينق نقيقا : صاح ...

والتنقاة : الضفدعة ، والتنقنة : صوتها .

٢٧٣ - الوقّ : صياح الصرد . والوقواق :

الجبان ... والوقوقة : نباح الكلاب .

٢٧٤ - الهقهقة : السير الشديد ... وهقها :

جهدّها بالجماع ... والهقهاق : المنكش فى أموره .

٢٧٥ - اليقّ : جمار النخل ... وأبيض

يقق ، وككتف : شديد البياض ، وببيض يقايق ،

ويقّ : أبيض ...

٢٧٦ - بكّه : خرقه وفرقه وفسخه ...

وتباكّ : تراكم ، والقوم : ازدحموا كتبكبكوا ،

والبكبكة : طرح الشئ بعضه على بعض .

٢٧٧ - تكّه : قطعه أو وطنه فشدخه

كستكتكه ... والتكة بالكسر : رباط

السراويل ..

٢٧٨ - ثكّ فى الأرض : ساح ، وثكثك :

حمق وعريد . والشكثكة : المرأة الرعناء .

٢٧٩ - الدكّ : الدق والهدم .. والدكدك

والدكداك من الرمل : ما تكبّس واستوى .

٢٨٠ - ركّ يرك ركاسة : ضَعَف ...

والركركة : الضعف فى كل شئ .

٢٨١ - زكّ يزك زكا وزككا وزكيكا ،

وزكزك : مر يقارب الخطو ضعفا .

٢٨٢ - السكّ : المسمار ... والسكسكة :

الضعف والشجاعة .. وتسكسك : تضرع .

٢٨٣ - الشكّ : خلاف اليقين ...

والشكشكة : السلاح الحاد أو حدة السلاح .

٢٨٤ ضكّه الأمر : ضاق عليه ، والشئ :

ضغطه ، كضكضكه ، والضكضكة : مشى فى

سرعة ... وتضكضك : انبسط وابتهج .

٢٨٥ - لكّه : ضربه بجمعه فى قفاه ..

واللكلك كهدهد : القصير والضخم من

الإبل ...

٢٨٦ - مكّه وأمتكه وتمككه ، ومكمكه :

مصه جميعه ..

٢٨٧ - هكّ الشيء :سحقه ... والهكهكة:
كثرة الجماع .

٢٨٨ - بله بالماء ... وتبلّل : حسنت
حاله بعد الهزال ... والبلبل : طائر.. والبليلة :
اختلاط الألسنة .. وبلبلهم بلبلة ولبالا :
حركهم وهيجهم .

٢٨٩ - تلّه : صرعه .. والتلتلة :
التحريك والإقلاق والزعزعة .

٢٩٠ - الثلّة: الجماعة منا ... وثلّ الدارّ :
هدمه ، فتثلل .. والثثل كهدهد : الهدم .

٢٩١ - جلّ يجلّ جلاله وجلالا : عظم ...
والجلجلة : التحريك وشدة الصوت ..

٢٩٢ - حلّ المكان وبه : نزل ...
والحلّاحل: السيد الشجاع .. وحلّحلهم : أزالهم
عن مواضعهم ..

٢٩٣ - الحّلّ : ما حمض من عصير العنب
وغیره ... والحلّخل ويضم وكبلبال : حلّى ...
وخلّخل العظم : أخذ ما عليه من اللحم .

٢٩٤ - ... دلّه عليه دلالة ويشلث ...
وتدلّدل : تهدّل وتحرك متدليا ، والدلدلة :
تحريك الرأس والأعضاء فى المشى .

٢٩٥ - ذل يذل .. : هان فهو ذليل ..
والذلاذل .. أسافل القميص الطويل .

٢٩٦ - زللت تزل ... : زلقت فى طين ..
وزلّله زلزلة وزلزالا مثلثة : حرّكه .

٢٩٧ - السلّ : انتزاعك الشيء وإخراجه
فى رفق ... السلسل كجعفر وخلخال : الماء
العذب ... وتسلسل الماء : جرى ..

٢٩٨ - الشلّل : أن يصيب الثوب سواد
ولا يذهب بغسله .. والشلشلة : قطران الماء ،
الجزء الرابع :

٢٩٩ - صلّ يصلّ صليلا : صوت ،
كصلصل صلصلة ...

٣٠٠ - الضلال والضلالة والضل ويضم
والضلّضلة : ضد الهدى .. وضلاضل الماء :
بقاياها .

٣٠١ - الطلّ : المطر الضعيف ...
والطّلاطلة : الداهية ... وطلّطله : حرّكه .

٣٠٢ - الظلّ ... وظلّل بالسوط : أشار
تخويفا . والظلّظل بالضم : السفن .

٣٠٣ - العلّ والعلل : الشربة الثانية ...
والعلل كهدهد وفدّفد : الذكّر .

٣١٣ - حم الأمر بالضم حما : قضى ...

والحمحة : صوت البرذون عند الشعير ..

٣١٤ - خَم البيت والبشر : كنسها ...

والخُمخم كسمسم : الضرع الكثير اللين .

٣١٥ - دَمَه : طلاه ، والبيت : حصصه ..

والدمدمة : الغضب ..

٣١٦ - ذَمَه ذما ومذمة فهو مذموم ...

وذمزم : قلل عطيته .

٣١٧ - رَمَه يرمه .. رما ومرمة :

أصلحه... ورَمَرَم أو يرمرم .. وترمرموا :

تحركوا للكلام ولم يتكلموا .

٣١٨ - زَمَه فانزم : شده ... والزمزمة :

الصوت البعيد له دوى .

٣١٩ - السَم : الثقب ، وهذا القاتل

المعروف ، ويثلب فيهما .. والسَمسم : الثعلب

وبالكسر : معروف .

٣٢٠ - الشَّم : حس الأنف .. والشَّماشم :

ما يبقى على الكباسة من الرطب ..

٣٢١ - الصمم محركة : انسداد الأذن ...

والصَّمّة .. وأنثى القنافظ، وصوتها الصمصمة..

وصمّم فى الأمر والسير تصميمًا : مضى

كصمصم ..

٣٠٤ - الغل.. العطش.. والغليل :

الحقد.. وغلّ .. فى الشيء غَلًا : أدخل ،

كغلغل ودخل كاثغلّ وتغلّل وتغلغل .

٣٠٥ - فلّه وفلّله : ثلمه ... وتفلفل :

قارب بين الخطى وتبختر ، وشاص فمه

بالسواك ، كفلفل فيهما .

٣٠٦ - القُلّ والقلة بالكسر ضد الكثرة ..

وقلقل : صوّت .. وقلقل الشيء : حركه .

٣٠٧ - الكُلّ ... وتكلل به : أحاط ، وروضة

مكللة : محفوفة بالنور .. والكلكل : الصدر ..

٣٠٨ - .. مَلِلْتُ وملّلت وقلّلت ..

وتملّل : تقلّب ... والململة : السرعة ...

٣٠٩ - الهلال : غرة القمر ... ج أهلة .. هلّ

المطر : اشتد انصبابه .. وهلهل الصوت : رجّعه .

٣١٠ - تَم يتمّ تما وتماما مثلثتين ..

والتمتمة : رد الكلام إلى التاء والميم .

٣١١ - ثَمَّه : وطئه ... والثمّام : من إذا

أخذ الشيء كسره ... وتثمّم عنه : توقف .

٣١٢ - التَّجَمّ : الكثير كالجسيم ...

والجمجمة : ألا يبيّن كلامه كالتجميم ،

وإخفاء الشيء فى الصدر .

٣٢٩ - التَّم : ... ورفع الحديث إشاعة له
وإفسادا ... وغنمه : زخرفته ونقشه .

٣٣٠ - الهم : الحزن .. والهممة ...
والهمهمة : الكلام الخفى ، وتنويم المرأة الطفل
بصوتها .

٣٣١ - البَنَّة : الريح الطيبة والمنتنة ...
والبَنَّان : العمل والردىء من المنطق ..

٣٣٢ - التَّن بالكسر : المثل والقرن ...
وتنتن : ترك أصدقاءه وصاحب غيرهم ..

٣٣٣ - جَنَّهُ الليل : ستره .. والجناجن :
عظام الصدر الواحد : جَنَجِن وجنجنه بكسرهما
ويفتحان ، وجنجون بالضم .

٣٣٤ - حَنَّ الجذع : قطعه ... والحنخنة :
ألا يبين فى كلامه ، فيحنخن فى خياشيمه .

٣٣٥ - الدَّن : الراقصود ... والدندنة :
صوت الذباب والزنابير وهينة الكلام كالدَّنين
والدندن .

٣٣٦ - الدنين كأمير وغراب : رقيق
المخاط ، أو ماسال من الأنف رقيقا ... وذناذن
الشوب : ذلاذله ... وما زال يذن فى تلك
الحاجة حتى أنجحها : أى يتردد فيها .

٣٢٢ - الضَّم : قبض شىء إلى شىء ...
والضَّمضم : الغضبان ... كالضَّماضم .

٣٢٣ - طَمَّ الماء طما وطموما : غمر .
والإناء : ملأه .. ورجل طَمَطِم .. فى لسانه
عجمة .. والطمطام : وسط البحر ، وطمطم :
سبح فيه .

٣٢٤ - العم : أخو الأب .. وعم الشىء
عموما : شمل الجماعة .. والعماعم :
الجماعات ، وعمَّعَ الرجلُ : كثر جيشه بعد قلة
٣٢٥ - الغَم : الكرب ... والغمغمة :

أصوات الثورة عند الذعر، والأبطال عند القتال.
٣٢٦ - القمة بالكسر : أعلى الرأس ..
وتقمَّم : تتبع الكناسات ، والشىء : تسنَّمه
كتقمقمه ، والقمقام ويضم : السيد ، والأمر
العظيم ..

٣٢٧ - الكُم : مدخل اليد ومخرجها من
الشوب .. والكمكام : عليك .. والكُمة :
القلنسوة المدورة . وتكمكم : لبسها .

٣٢٨ - لَمَّه : جمعه .. وألمَّ : باشر
اللمم ... واللملوم : الجماعة .. وجيش للمم :
كثير ..

٣٣٧ - السنّ بالكسر : الضرس .. وسُنّ
السكينُ فهو مسنون .. وجاء الريح سنّاسنّ :
على طريقة واحدة .

٣٣٨ - شَنّ الماء على الشراب : فرقه ..
والشنشنة : الطبيعة والعادة .

٣٣٨ - الطنين : صوت الذباب ... وَطْنُ :
صوت كطنطن وطين .

٣٤٠ - عَنّ الشيء .. إذا ظهر أمامك ...
عننة تميم .

٣٤١ - القَنّ : الحال والضرب من
الشيء... وفنن : فرق إبله كسلا وتوانيا ..

٣٤٢ - القَنّ : تتبّع الأخبار والتنفّد
بالبصر ... والقناقن بالضم : البصير بالماء فى
حفر القنيّ .. والقنقنّ : صدف بحرى .

٣٤٣ - الكِنّ : وقاء كل شيء وستره ..
والبيت .. وكنكن : هرب وكسل وقعد فى البيت .

٣٤٤ - بَهّ : نَبَلّ وزاد فى جاهده عند
السلطان ... وتبهبها : تشرفوا وتعظّموا .

٣٤٥ - جهجه بالسبع : صاح ليكفه ،
وجَهّه : رده رداً قبيحاً ، والمجهجه بفتح
الجيمين : الأسد .

٣٤٦ - الرهرة : حسن يصيص لون البشرة
ونحوه ، وترهره جسمه : ابيضّ من النعمة ..
وطست رَهْ ورهرة ورهراء : واسع قريب القعر...
٣٤٧ - العَهّ : القليل الحياء المكابر ،
وعهعه بالإبل : زجرها ...

٣٤٨ - الفَهّة والفهاة والفهفة : العى ..
وقد فهه كفرح : عى .. فهوفه وفهيه وفَهْفَه ..
٣٤٩ - قهقه : رجع فى ضحكك ، أو اشتد
ضحكك كقهّ فيهما .

٣٥٠ - الكهة : الناقة الضخمة المسنة ...
والكهكهة : الحرارة .

٣٥١ - لَهّ الشَّعر : رفّقه وحسنه ، ولهله
الشوب : هلله . وتلهله الكلاً : تتبع
قليله .

٣٥٢ - مَهّ الإبل : رفق بها .. والمهمه
والمهممة : المفازة البعيدة ، والبلد المقفر .

٣٥٣ - وهه الكلب فى صوته : جزع
فردده ... والهوّ : الحزن ، وهوّ من هذا وهّ
كأنّ أف .

٣٥٤ - البروّ : ولد الناقة .. وبوؤوّ
كفوّقل : اسم جماعة .

٣٥٥ - الجَوّ : الهواء ... والجوجاة :

الصوت بالإبل ، أصلها : جوجوة .

٣٥٦ - الدَّوَّ : الفسلة ... والدودة :

الأرجوحة (وأصلها دودة - فى لسان العرب

لابن منظور) .

٣٥٧ - الضوة : الجلبة كالضوضاة

(ضوضيت - قلبوا الواو ياء فى لسان العرب

لابن منظور) .

٣٥٨ - عَسَوَى ... وعوعى يعوعى

وعيعى يعيعى عيعاة وعيعاء وعوة :

اسم .

٣٥٩ - عَى بالأمر ... عجز عنه ...

وعيعاية من عذواته .

٣٦٠ - القوة ضد الضعف .. والقيقاء

بالكسر : مشربة كالتلثة .. وقوى قوقة

وقيقاء : صاح .

ثانيا : ما انفرد به مضعف الثلاثي

الجزء الاول :

١١ - غَتَّه بِالْأَمْرِ : كَذَّه . وَالشَّيْءُ بِالشَّيْءِ :

أَتَبَعَ بَعْضُهُ بَعْضًا .

١٢ - الْخُثُّ : غُثَاءُ السَّيْلِ .

١٣ - الدُّثُّ : الْمَطَرُ الضَّعِيفُ . وَالدُّثَّةُ

بِالضَّمِّ : الزَّكَامُ الْقَلِيلُ .

١٤ - الرُّثُّ : الْبَالِيُّ .

١٥ - الشُّثُّ : نَبْتُ طَيْبِ الرَّائِحَةِ يَدْبِغُ بِهِ . .

١٦ - الْعُثَّةُ أَوْ الْغُثُّ (نَقَلَتْ إِلَى الْمُشْتَرَكِ) .

١٧ - الْفَثُّ : نَبْتُ يَخْتَبِزُ حَبَّهُ فِي الْجَدْبِ .

١٨ - الْأَجِيجُ : تَلْهَبُ النَّارُ كَالْتَّأَجِجِ

وَأَجُجْتُهَا ..

١٩ - ذَجَّ : شَرِبَ وَقَدَّمَ مِنْ سَفَرٍ فَهُوَ ذَاجٌ .

٢٠ - الزَّجُّ بِالضَّمِّ : طَرَفُ الْمَرْفِقِ ، وَالْجَدِيدَةُ

فِي أَسْفَلِ الرَّمْحِ .

٢١ - شَجَّ رَأْسَهُ يَشْجُهُ : كَسَرَهُ

٢٢ - صَجَّ : ضَرَبَ حَدِيدًا عَلَى حَدِيدٍ

فَصَوْتًا . وَالصَّجُّ بِضَمَّتَيْنِ : ذَلِكَ الصَّوْتُ .

١ - الْقُبُّ كَجَبٍ : مَوْضِعُ الْكَوْفَةِ .

٢ - أَتَّهُ أَتًا : غَلَبَهُ بِالْحِجَةِ ، وَرَأْسَهُ :

شَدَخَهُ .

٣ - بَتَّ : .. انْبَتَّ .

٤ - الثُّتُّ : الشَّقُّ فِي الصَّخْرَةِ .

٥ - الْجَتُّ : جَسُّ الْكَبْشِ لِيَعْرِفَ سَمْنَهُ مِنْ

هَزَالِهِ .

٦ - الْخَتُّ : الطَّعْنُ مَدَارِكًا ... وَالْخَتَّتْ

مَحْرَكًا : الْفَتُورُ فِي الْبَدَنِ .

٧ - الزَّتُّ وَالْتَزَيْتُ : التَّزِينُ ، وَالتَّزَيْتُ :

التَّزِينُ .

٨ - السَّتُّ بِالْكَسْرِ أَصْلُهُ : سَدَسٌ ..

وَسَتَى لِلْمَرْأَةِ أَوْلَحْنٌ ، وَالصَّوَابُ : سِيدَتِي .

٩ - شَتَّ يَشْتُ شِتًّا وَشَتَاتًا وَشَتِيَّتًا :

فَرَقَ . وَجَاعُوا شَتَاتَ شَتَاتٍ : مَتَفَرِّقِينَ .

١٠ - الصَّتُّ : الدَّفْعُ بِقَهْرٍ ، أَوْ الضَّرْبُ

بِالْيَدِ .

٢٣ - أضج القوم إضجاجا : صاحوا .

٢٤ - ظج : صاح فى الحرب صياح
المستغيث ، وبالصناد فى غير الحرب .

٢٥ - الوجّ : السرعة .

الأخّ : القذر وبكسر ، ولغة فى الأخ .

٢٧ - الصنّج : الضرب بشيء صلب على
مصمت .. والصاخّة ...

٢٨ - الصنّج : الدمع وامتداد البول ونضج
الماء ، والمضخة بالكسر : قصبته فى جوفها
خشبة يرمى بها الماء .

٢٩ - كخّ فى نومه : غطّ ...

٣٠ - الإذّ والإداة : العجب والأمر الفظيع .

٣١ - بدّده تيديدا : فرقه فتبدد .

٣٢ - رده ردّا ..

٣٣ - سدّ ...

٣٤ - الشدة : اسم من الاشتداد . والشدّ :
العدو ..

٣٥ - الضدّ ...

٣٦ - الغدّة ...

٣٧ - لدّه لدا .. الألدّ : الخصم ...

٣٨ - ندّ البعير : شرد ونفر .

٣٩ - الودّ : الحب ...

٤٠ - الأذّ : القطع ..

٤١ - البذّ : الغلبة ..

٤٢ - خذّ الجرحّ خذيذا : سال صديده .

٤٣ - الرذاذ كسحاب : المطر الضعيف .

٤٤ - شدّ .. وأشدّ : جاء بقول شاذ .

٤٥ - الكذّان : حجارة رخوة ..

الجزء الثانى :

٤٦ - نذّ نذيذا : مال . والنذيدّ : ما خرج
من الأنف أو الفم .

٤٧ - الضرّ ضدّ النفع .

٤٨ - البررّ : الشدة . حجر أبرّ وصخرة
براء ..

٤٩ - أزت القدر أزيّا .

٥٠ - البرزّ : الشياب . والبزاز : بائعه
(نقلت إلى المشترك) .

٥١ - الشرازة : اليبس الشديد ، وشيء شز
وشريز .

٥٢ - الكرازة والكروز : اليبس والانقباض .
كز فهو كزّ ... والكزّ : البخيل ..

٥٣ - الأُس : أصل البناء .

٦٦ - غَشَّه : لم يحضه النصح كغَشَّه .

٥٤ - الجَس : المس باليد ...

٦٧ - يَشُّ وَأَشُّ : فرح .

٥٥ - خَسُّ نصيبه : جعله خسيسا دنيئا

٦٨ - خَصَّه بالشئ خصا ... والخُص :

حقيرا ...

البيت من القصب ... والتخصيص ضد

التعميم .

٥٦ - الدُسُّ : الإخفاء وستر الشئ تحت

٦٩ - الشُّص بالكسر والفتح : حديدة

الشئ .

عقفاء يصاد بها السمك .

٥٧ - الشُّسُّ : الأرض الصلبة كأنها حجر

٧٠ - صَصَّ الصبي وقققه : حدته .

واحد .

٧١ - الكَصُّ : الاجتماع والصوت الدقيق

٥٨ - الطُس : الطست .

كالكصيص ...

٥٩ - يَسُّ يَيْسُ يَسًّا : سار .

٧٢ - الإِضُّ والإِضاض : الملجأ ...

٦٠ - الأَشُّ : الخبز اليابس .

٧٣ - جَضُّ : مشى الجبض مشية فيها

٦١ - تَشُّ سقاء وفشه : أخرج منه الريح .

تبخر .

٦٢ - الدشُّ : السير ، واتخاذ الدشيشة ،

٧٤ - دَمَّن : خدم سائسا .

وهى حسو يتخذ من بر مرضوض .

٧٥ - عَضَضْتَه : أمسكته بأسناني .

٦٣ - دَشُّ الرجلُ : سار ، لغة فى : دَشُّ .

٧٦ - الرَضُّ : الاضطراب .

٦٤ - الطشُّ : والطشيشُ : المطر الضعيف ،

٧٧ - أَطُّ الرجل : صوت ...

وهو فوق الرذاذ .

٧٨ - الثَطُّ : السلح ..

٦٥ - الطشُّ : الموضع الخشن ، مثل

٧٩ - الحَطُّ : الوضع (نقلت إلى المشترك)

الشظف .

٩٨ - ... وقع في قَفَّةٍ : في رأى سوء .
والقَفَّةُ محرّكة : الغريان الأهلية .

٩٩ - الأَكَّة : الشديدة من شدائد الدهر
كالأكاكة .

١٠٠ - الحَكُ : إمرار جرم على جرم صَكًا .

١٠١ - صَكَّهُ : ضربه شديداً .

١٠٢ - العَكَّة مثلثة : شدة الحر مع سكون
الريح .

١٠٣ - فَكَّهُ : فصله .

١٠٤ - يَكُّ : واحد بالفارسية ، وقد وقع
في شعر رؤية : تَخَذَى الرومى من يكُّ ليكُّ .

الجزء الرابع :

١٠٥ - أَلَّ في مشيه : أسرع .

١٠٦ - الليل محرّكة : قصر الأسنان
العليا .

١٠٧ - أَمَّهُ : قصده .. والتيمم : التوضؤ
بالتراب ، إبدال أصله التأمم ... وهما أُمَّاك
أى أبواك ، أو أمك وخالتك .

١٠٨ - البَمّ من العود معروف ، أو الوتر
الغليظ من أوتار المزهر .

١٠٩ - الفَمُّ ... وقد تشدد الميم ، وفَمٌّ :
حرف عطف . لغة فى : ثم .

١١٠ - اليمّ : البحر - لا يكسر ولا يجمع
جمع السالم ... ويممه : قصده .

٨٠ - الأذَطُ : المعوجّ الكف .

٨١ - السُّطط : الظلّمة والجائرون .

٨٢ - الضطط محرّكة : الوحل الشديد ...

٨٣ - بَطَّ المغنى : حرك أوتاره .

٨٤ - جَطَّه : طرده وصرعه .

٨٥ - الحَطَّ : النصيب .

٨٦ - الدَطَّ : الشلّ والطرْد .

٨٧ - الفِظ : السيئ الخلق .

الجزء الثالث :

٨٨ - هَعَّ كَمَدٌ : قاء - لغة فى : هاع .

٨٩ - دَعَّ جاريتته : جامعها .

٩٠ - الطَغَّ والطغياء : الثور .

٩١ - القَفَّة : تَضُوع الرائحة .

٩٢ - أَفَّ يَثْف وَيُؤْف : تَأَفَّف من كُرب
وضجر ... أَفَّ .. والأفَّة كَقَفَّة : الجبان ...

٩٣ - الظَّف : العيش النكد .

٩٤ - الغَفَّة بالضم : البلغة من العيش ...
واغتفتته : أعطيته شيئاً يسيراً .

٩٥ - جَقَّ الطائر : ذرق .

٩٦ - صَقَّ الحرياء يَصِقُّ : صرَّ . والصُقُّ :
المسار أكره على الدق .

٩٧ - ضَقَّ يَضِقُّ : صَوَّت كَطَقَّ .

١٢٦ - ضَهَّةٌ : شاكله وشابهه ، لغة فى : ضاهاه .

١٢٧ - الأوة بالضم والشد : الداهية ..

١٢٨ - البى : الرجل الخسيس .

١٢٩ - التَوُّ : الفرد ... وبهاء : الساعة .

١٣٠ - الثَّوَّة بالضم : قماش البيت .

١٣١ - الثَّيَّة كالثَّيَّة : مأوى الغنم .

١٣٢ - الحُوَّة : سواد إلى خضرة .

١٣٣ - الحى : ضد الميت .

١٣٤ - الحَوُّ : الجوع .

١٣٥ - الرُّو : الخصب .

١٣٦ - الرُّى (بلد معروف) .

١٣٧ - الزُّى بالكسر : الهيئة والجمع أزياء .

١٣٨ - الصُّوة : جماعة السباع .

١٣٩ - الغَيَاية : ضوء شعاع الشمس ، وقعر البئر ، وكل ما أظل الإنسان من فوق رأسه كالسحابة ونحوها .

١٤٠ - الفوة كالقوة : عروق يصبغ بها ...

١٤١ - الكوة ويضم والكُو : الخرق فى الحائط .

١٤٢ - مِى ومِية من أسمائهن

١٤٣ - الهوة كقوة : ما انهبط من الأرض .

١١١ - أَنْ يئنَ أَنَا وَأَنِينَا .. : تأوّه .. وَأَنَّ الماءَ : صَبَّه .

١١٢ - الثَّن بالكسر : يابس الحشيش إذا كثر وركب بعضه بعضا ..

١١٣ - الحنين : الشوق . تَحَنَّنَ : ترحَّم .

١١٤ - الرُّنَّة : الصوت . رَنَّ يرن رنيناً : صاح ..

١١٥ - زَنَّ عَصْبُهُ : يبس .. وأبورنَّة : القرد .

١١٦ - الصَّن : بول الإبل .

١١٧ - الضَّنُّ محركة : الشجاع . والضنين : البخيل ...

١١٨ - الظن : التردد الراجع بين طرفى الاعتقاد غير الجازم .

١١٩ - الغنة بالضم : جريان الكلام فى اللهاة ...

١٢٠ - مَنْ عَلَيْهِ مَنَّا ... أنعم .. وأجر غير ممنون : غير محسوب ولا مقطوع .

١٢١ - اللون : الضعف ، والصَّنَج الذى يُضْرَبُ بالأصابع .

١٢٢ - هَنَ يَهِنُ : بكى وحنّ

١٢٣ - بَنَّة أبو عبد الرحمن الحمرأوى شهد فتح مصر ، وإليه ينسب حمّام بَنَّة بمصر .

١٢٤ - الأهة : التحزُّن .. وتأهه : توجع

١٢٥ - الذَّه : ذكاء القلب وشدة الفطنة .

ثالثاً : ما انفرد به مضعف الرباعي

- الجزء الاول :
- ١ - بأباه ، وبه ... البؤى : .. السيد
الظريف .
- ٢ - التأتأة : حكاية الصوت .
- ٣ - ثأناً الإبل : أرواها وعطشها ضد .
- ٤ - الجأجاء : الهزيمة .. وكهدهد :
الصدر .
- ٥ - حأحأ بالتيس : دعاه
- ٦ - دأدأ وتدادأ : تمايل فى مشيه .
- ٧ - الذأذاء والذأذاعة : الزجر
والاضطراب .
- ٨ - رأراً : حرك الحديقة ، أو قلبها ،
وحدد النظر .
- ٩ - زأزأه : خوفه ... وتزأزأ : تزعزع .
- ١٠ - سأسأ بالحمار : زجره ليحتبس .
- ١١ - شأشأ ، وشؤشؤ : دعاء الحمار إلى
الماء ، وزجر الغنم .
- ١٢ - صأصأ الجرو : حرك عينيه قبل
التفتح .
- ١٣ - الضئضى كجرجر وجرجير ،
والضؤضؤ كهدهد وسُرسور : الأصل .
- ١٤ - طأطأ رأسه : طامنه .
- ١٥ - ظأظأ التيس ظأظأة : نبأ ...
والأعلم والأهتم : تكلم بكلام لا يفهم .
- ١٦ - الغأغاء : صوت العواحق الجبلية .
- ١٧ - الفأفأ كفدف ولببال : مردد الفاء
كثيراً ، ومكثه فى كلامه .
- ١٨ - القأقاء : أصوات غريان العراق .
والقئقى كزبرج : بياض البيض .
- ١٩ - كأكأ : نكص وجبن كتكأكأ .
- ٢٠ - اللؤلؤ : الدر ... وأبو لؤلؤة : غلام
المغيرة قاتل عمر رضى الله عنه .
- ٢١ - مأمأت الشاة والطبية : واصلت
صوتها .

٢٢ - نأنأه : أحسن غذاءه ...

٢٣ - الوأواء : صياح ابن آوى .

٢٤ - هأها بالإبل : دعاها للعلف .

٢٥ - يأيأه يأيأة ويأيأه : أظهر أطفاه .

٢٦ - الأب : الكلاً أو المرعى أو ما أنبتت

الأرض ... وأب للسير : تهيأ ...

٢٧ - الطبطاب : الوجع والعيب . وظبطب

الرجل : حم .

٢٨ - القجقجة : لعبة يقال لها :

عظم وضاح .

٢٩ - التُّحْتَحَةُ : الحركة وصوت حركة

السير .. وما يتحتج من مكان : ما يتحرك ..

٣٠ - الثُّحْثُحَةُ : صوت فيه بحة عند

اللهاة .

٣١ - الذخذاخ : المنقب عن كل شيء .

٣٢ - الودوذة : السرعة .. والذئب : مر

يودوذ .

الجزء الثانى

٣٣ - الوشوشة : الخفة . وهو وشواش .

وتوشوشوا : همس بعضهم إلى بعض .

٣٤ - الكضكضة : سرعة المشى .

٣٥ - القدر المظفظة : الشديدة الغليان .

الجزء الثالث:

٣٦ - أع أع مضمومتين ، فى حديث

السواك .

٣٧ - الزعازع .. الشدائد من الدهر ،

والزعزعة : تحريك الريح الشجرة .. وتزعزع :

تحرك .

٣٨ - الصَّصَع : المتفرق .. والصعصعة :

التفريق ... وتصعصع : تحرك ..

٣٩ - الففعف كفدفد : الجدى والرجل

الخفيف .

٤٠ - اليعياع من فعال الصبيان إذا رمى

أحدهم الشيء إلى آخر ...

٤١ - تفتغ فى كلامه : ردده ولم يبينه ...

والتفتغ للفاعل : متكلم لم يكذب يسمع

كلامه .

٤٢ - ثغثغ كلامه : خلط فيه .. وهو ثغثغ

وثغثاغ .

٤٣ - دَغْدَغَه بكلمة : طعن عليه ..

والدغدغة : الزغزغة فى معانيها .

٤٤ - سفسغ الشيء : حركه من موضعه

كالوتد ونحوه .. وتسفسغت ثنيته : تحركت .

٤٥ - اللغْلغ : طائر غير اللقلق .. وفي كلامه لغلغة : عجمة ولخلخة .

٤٦ - مغمغ اللحم : مضغه ولم يبالغ .. والمغمغة : العمل الضعيف الرديء ..

٤٧ - التُّغْنُغ : الأحمق الضعيف وهى بهاء .

٤٨ - ... التقتقة : الحركة وسير عتيف . وتقتق من الجبل : وقع .

٤٩ - ثثثق : تكلم بكلام الحماقة .

٥٠ - الذُّقْذاق : الحديد اللسان الذى فيه عجلة .

٥١ - الجكجكة : صوت الحديد بعضه على بعض .

٥٢ - الذكذكة : حياة القلب .

٥٣ - النكنكة : التشديد على الغريم ، وإصلاح العمل .

٥٤ - الوكوكة فى المشى : التدحرج .. والوكواك : الجبان .

الجزء الرابع :

٥٥ - النلنل كهدهد : الرجل الضعيف .

٥٦ - الولوال : البلبال والدعاء بالويل .. ولولت المرأة ولولة وولولا : أعولت ..

٥٧ - التتهته : اللكتة ..

٥٨ - ثهته الثلج : ذاب .

٥٩ - دهده الحجر فتدهده : دحرجه فتدحرج .

٦٠ - الزهزاه : المختال فى غير مروءة .

٦١ - صهصه بهم : أكستهم .

٦٢ - الطهطاه : الفرس الرائع الفتى المطهم .. وطهاطه الخيل : أصواتها .

٦٣ - نهنه عن الأمر فَتَنَّهُته : كفه وزجره فكف . وأصلها نَهْهُهُ . والنهنة : الشوب الرقيق .

٦٤ - يَهْيَه بالإبل : قال لها : ياه ياه .

٦٥ - المومة : الفلاة (أصله موموة على فعللة وهو مضاعف ، قلبت واوه ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها - لسان العرب لابن منظور)

وقد قمت بفرز الأنواع الثلاثة بعضها عن بعض ، فبدأت بتدوين المشترك بين الصيغتين وأتبعته بما انفرد به مضعف الثلاثى ، ثم جاء بعده ما انفرد به مضعف الرباعى .

والملاحظ أنى لم أفرق بين الأسماء والأفعال فيما اعتمدت عليه ، وقد ظهر أن المشترك بين الصيغتين لم يرد فيه شئ من باب الهمزة ،

وكذلك ما انفرد به مضعف الثلاثي ، على حين أنه قد جاء فيه من مضعف الرباعي وحده (٢٥) مادة ، والتي لم ترد منه هي : باب الهمزة فصل الهمزة ، وباب الهمزة فصل الحاء ، وباب الهمزة فصل العين .

وفي باب الباء من المشترك (٢٢) ومن الثلاثي مادة واحدة ، ومن الرباعي مادتان .

وفي باب التاء من المشترك (١١) ومن الثلاثي (١١) ولم يرد فيه شيء من الرباعي .

وفي باب الثاء من المشترك (١١) ومن الثلاثي (٦) ولم يرد فيه شيء مما انفرد به الرباعي .

فهذه أربعة أبواب يبدو فيها التفاوت ، وقد تتبعنا المشترك بين الصيغتين فوجدت أن أكثر ما ورد فيه من باب الراء (٢٣) ثم الباء واللام (٢٢) ثم الميم (٢١) ثم الحاء والفاء (١٩) ثم العين والقاف (١٨) ثم الجيم والحاء والصاد (١٤) ثم الزاي والشين والطاء والنون (١٣) ثم الثاء والكاف (١٢) ثم التاء والصاد (١١) ثم الدال والهاء (١٠) ثم الذال (٧) ثم الواو والياء (٧) ثم العين (٦) ثم الظاء (٥) .

وما أيسر ترتيب النوعين المنفردين .

والله الهادي إلى سواء السبيل .

أمين السيد

عضو المجمع

حَجَرُ الْيَمَامَةِ ★

لِلْأَسْتَاذِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَمَيْصٍ

قاعدةُ اليمامة وحاضرتها وخضراؤها ، كما
وصفها صاحبُ كتاب (بلاد العرب) فقال :
سُرَّةُ اليمامة وهي منزلُ السلطان والجماعة ،
ومنبرُها أحدُ المنابرِ الأولية (مكة) ،
و (المدينة) و (اليمن) ، و (دمشق) ،
و (البحرين) ، و (الكوفة) . ا هـ .
وهي سرّة (نجد) ومدينتها كما يقول ابن
الفرّاء ..
وهي من أقدم المدن في (جزيرة العرب)
إِذْ عُرِفَتْ خضراؤها أيامَ العربِ البائدة فكانت
حاضرة (طَسَم) ومدينتها الأولى ، يحدثنا
الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) قال :
هي (حجر) حضور طسم وجديس وفيها آثارهم
وحصونهم ويتلّهم الواحد بتيل وهو من مربع مثل
الصومعة مستطيل في السماء من طين .
قال أبو مالك : لحقتُ منها بناءً طوله مئتا
ذراع في السماء .. قال : وقيل : كان منها
ما طوله خمسمائة ذراع .. من أحدها
نظرتُ زرقاء اليمامة إلى من تزل من
(جَوْجَان) من رأس (الدّام) مسيرة يومين
وليلتين .
وكانت (جَدِيسُ) تسكن (الخضرمة)
وكانت (طَسَم) تسكن الخضراء) .. أ هـ .
وفي (حجر) حصون فارغة وقصور مشيدة
وبتل وآطام ، منها : (بتيل حجر) الذي
شيدته (طسم) ، ومنها : (مُعْتِق) ويقع
على رابية مرتفعة من روابي (حجر) بين
الواديين (العِرض) و (الوثر) ، ويروى
بالتون (مُعْتِق) ومنها الشُّموس وهما اللذان
ورد فيهما هذا البيت :
أبت شرقات من (شموس) و (معنق)
لدى القصر منا أن تضام وتضهدا
ومنها (الثُّرْمَلِيَّة) .. وقد بقيت أطلالُ
تلك الحصون والقصور إلى القرن الرابع الهجري

(*) ألقى البحث في الجلسة العاشرة للمؤتمر المنعقدة يوم الثلاثاء ٢٤ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٥ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ م .

كما يحدثنا الهمداني عن شيخه أبي مالك
اليشكري .

ولقد كانت (اليمامة) فى عهد (طسم)
و (جديس) وفى أوائل الإسلام خضراء
مُمرَّعة، وكانت بها أنهار جارية وعيونُ ثرة
وخضرة ونضرة .. وكانت مدينة (حجر)
تسمى الخضراء ومن عيونها (الخضراء)
(وهيت) كما ذكر ابن الفقيه .

وقال أستاذنا الأستاذ حمد الجاسر فى كتابه
(الرياض عبر أطوار التاريخ) ولقد كانت مياه
الواديين فى الماضى غزيرة ، وكانت بلادُ
اليمامة كلها من أخصب البلاد وأكثرها مياهًا
وزروعاً ونخيلاً .. وكانت مدينة (حجر)
تسقى قديماً من (العيون) .

ويشاهد المرءُ عندما يسير على شفير
وادي (البطحاء) الغربى متجهاً من
(الرياض) إلى (منقوحة) يشاهد سلسلة
من الكظائم (الحُرَز) تمتد حتى تصل
إلى الروضة الواقعة شمال (منقوحة) فى
مفيض الوادى تدعى الآن (الحِضْرمة) ،
وقد عددت من تلك الكظائم فى إحدى المرات

أكثر من ثلاثين خرزة وهى تمثل مجرى عين
قديمة .

انتهى كلام الأستاذ حمد الجاسر .

قلت : وإلى جانب ما ذكر من خصوصية هذه
الأرض وكثرة مياهها فإن من يعرف حقيقة
تكوينها وطبيعة أرضها قبل أن يغمرها العمران
وتختفى معالم أوصافها يدرك كيف كانت
رياضاً متجاورة (وقرىناً) ريانة ، فلها من
اسمها (حديثاً) نصيب (الرياض) ، ولها
من اسمها (قديماً) واقع (خضراء حجر) .

لقد عهدت (الرياض) يحوطها سورٌ
تخلله أبوابٌ ، كل باب ينفذ إلى جهة من
جهاتِها ، ولا يتجاوز محيطُ هذا السور أكثر
من خمسة أكبال، أمّا وراء هذا السور فمزارع
ونخيل وبساتين من جميع الجهات ، وإذا علوت
مرتفعاً من حزونها التى تحيط بها ورميت
ببصرك رأيت مدينة الرياض وسط هذه الخضرة
كالدرهم فى وسط الروضة ، إننى أتذكرها الآن
حينما أتى لها من (الدرعية) فى سن الصغر
على ظهر جمل ، وحينما يعلو بى مرتفع
(الوشام) فى أعلى (شارع الخزان) اليوم

شرقَ بناء (الهلال الأحمر) أراها هكذا لا يدرك بصرى نهاية خضرتها . أما المدينة فأراها كما وصفتها (درهم فى قلب روضة) ، وهذا زمان قريب لا يمكن أن يعطى الصورة الحقيقة لها ، وهى ذات عيون وزروع ومقام كريم .. لكننى أتذكر كيف كانت الرياض مدينتها ونخيلها وبساتينها تقع فى شبه دائرة من الحزون المحيطة بها ، تبدأ من الحزن الذى يقع به الآن حى (العليا) ، ويمضى مُجنِباً مغرباً ماراً بحزن (معهد العاصمة) إلى (الوشام) إلى مرتفعات (أم سُلَيْمَة) ومرتفعات (الشُّمَيْسى) ومرتفعات (مُقَرْن) و (مَعْكَال) و (ظهرة منفوحة) ومرتفعات (غُبَيْرَا) ومرتفعات (جبل أبى غَارِب) ومرتفعات شرق (المَلَز) إلى أن نعود من حيث بدأنا سلسلة حزون منقادة ، آخذ بعضها ببعض من جميع الجهات إلا من مناطق ضيقة يتطامن فيها الحزن حتى لا تكاد تراه ، ولكنه بطبعه حاجز طبيعى يكمل هذه الحلقة التى داخلها الرياض مدينة ونخيلاً ومزارع وبساتين، ولا ينفذ سيلها إلا بعد إذن أهلها حيث مضيق

(البَطْحَاء) المعروف قبل (منفوحة) ، هذه الروضة (أو على الأصح مجموعة الرياض) يصب فيها وادى (البطحاء) (الوتر سابقاً) وشعب (أبى رُقَيْح) ، وشعب (الشعْبَة) ومنها تفضى إلى قاع (منفوحة) ، ثم تلتقى بوادى (حنيفَة) تحت بلدة (المصانع) ، ويذهب بعضُ المؤرخين إلى أنها سُميت (حجرا) لأن عبید بن ثعلبة الحنفى هو الذى احتجرها بعد أن بادت منها قبيلة (طسم) وسبق إليها عبید هذا .. والحقيقة أن اسم (حجر) كان موجوداً أيام (طسم) وإنما أحتجر عبید جانباً منها وإلا فهى قديماً تسمى (خضراء حجر) ، ويبدو أن تكوينها وطبيعة أرضها حيث تحتجزها الحزون من كل جهاتها كانت هى سبب التسمية الأولى هذا شىء طبيعى .. ولا تمدنا المراجع التى بين أيدينا عن الكيفية التى تنبىء كيف ومتى سكنت (طسم) و (جدیس) هذه المنطقة ، إلا أن بعض الكتابات والنقوش التى توجد فى المنطقة تفيد باستيطان قبيلة ثمود لهذه المنطقة ، وهذا يصدق ما ذهب إليه المؤرخون من أن (طسما) و (جدیسا)

و (ثمود) يرجعون إلى جد واحد هو (سام ابن نوح) ، لذا لا نجد غرابة في الأمر حينما نرى الآثار الثمودية . ما دامت هذه القبائل الثلاث ترجع إلى أرومة واحدة .. ولا نستبعد أن تكون الحضارة في هذا الجزء من الجزيرة حضارة ثمودية إن لم تكن بالأصل فبالتبعية وإن لم تكن بالذات فبالنفوذ .

وذكر الهمداني في (الإكليل) أن (طسما) و (جديسا) كانتا قحطانيتين وأن نفوذ (طسم) تجاوز منطقة اليمامة إلى (العروض) بمنطقة الإحساء وما حولها ، ومن آثارها (حصن المشقّر) .. والله أعلم بالصواب .

وكل ما في الأمر أنه كان لهاتين القبيلتين في اليمامة نفوذ وسلطة وحضارة وذكر كثير ومجد شهير .

وكانت (طسم) تسكن (حجراً) وما حولها ، وتعتبر حاضرتها وقصبة نفوذها ، وكانت (جديس) تسكن (جَوْأ) (جو الحضارم) (الخرج وما حولها) ، وهي قاعدة ملكها ومركز سلطتها .

وقد عني المؤرخون بذكر هاتين القبيلتين وأفاضوا في الحديث عنهما ، وأفرد لهما عالمان شهيران ، وهما ابن الكلبي وأبو البختري تأليفين خاصين بهما ، ذكرهما ابن النديم في (الفهرست) ، إلا أنهما لم يصلا إلينا .

والذي بين أيدينا مما ذكره المؤرخون هو على نحو ما جاء في أخبار عاد وثمود والعرب البائدة والأجيال الخالية مما لم يرد به كتاب ولا سنة ولم يعتمد على أسفار مكتوبة ولا أخبار منسوبة ، فكل ما ورد عن (طسم) و (جديس) هو من هذا القبيل .

وملخصه أنه جرى بين هاتين القبيلتين حروبٌ وثوراتٌ مما أدى إلى تغلب قبيلة (طسم) وتسلطها على (جديس) وإذلالها وإهانتها حتى أن الفتاة من جديس لا تزف إلى زوجها إلا بعد أن تتقدم لملك (طسم) ليقتضى وطره منها .. فخرجت إحداهن عارية ملطخة بدمها مارة بقومها (جديس) لتستشير نخوتهم وتستعدي أنفتهم فغضبوا ، وكان من الإمعان في الإهانة أن يصنع وليّ أمر الفتاة وليمة يدعو

إليها ملك (طسم) وحاشيته بمناسبة العرس
فقرروا أن يثأروا لأنفسهم وأن يفتكوا (بطسم)
فدفنوا السيوف تحت موائد الطعام ، ولما أخذ
طسم في الأكل نبش جديس سيوفهم من تحت
أرجلهم وفتكوا بهم وأبادوهم .. فاستجار
الطسميون بأحد ملوك اليمن (حسان بن تبع)
واستعدوه على (جديس) فأقبل في جيش
كثيف يريد مهاجمة (جديس) في
(الخرج) ، وكانت (الزرقاء) امرأة مبصرة
يضرب بها المثل في حدة البصر من (طسم) ،
ومتزوجة في (جديس) في (جو الحضرة)
(الخرج الآن) ، فأقبل جيش (تبع) ومن معه
من (طسم) ، وكانت الزرقاء تنظر من بتيل
عال جداً ، الناظر منه يكشف ما حول الخرج
لمسافة يومين ، فأبصرت الجيش يدنو ويحمل
معه على ظهور الإبل أشجاراً اقتلعها وحملها
معه ليوهم الزرقاء أن الشجر أقبل يسير حتى
إذا أخبرت القوم بالخبر كذبوها ، وفعلاً تم ذلك
فأنكروا منها هذا القول واتهموها بضعف بدأ
يدب في بصرها ، فدهمهم العدو على غرة
وفتك بهم وفي ذلك يقول الأعشى يصف
الحادث بعد قرون :

مانظرت ذات أشفار كنظرتها
حقاً كما صدق الذئبي إذ سجعاً
إذ قلبت مقلّة ليست بكاذبة
إذ يرفع الآل (رأس الكلب) فارتفعاً
قالت أرى رجلاً في كفه كتف
أو يخصف النعل ، لهفى أية صنعاً
فكذبوها بما قالت فصبحهم
(ذو آل حسان) يزجي الموت والشرعاً
قاستنزلوا أهل جو من منازلهم
وهدموا شامخ البنيان فاتضعوا
ومنذ ذلك التاريخ سميت اليمامة
باسمها وأضيفت هي إليها ف قيل : (زرقاء
اليمامة) .
وبعد (طسم) و (جديس) سكن حجراً
قبيلة هزان من القبائل البائدة ، واختلف في
نسبتها ، إلا أنهم يؤكدون أنها غير (هزان
طسم) وغير (هزان عترة) .
وبعد هؤلاء سكنت عنزة (حجراً) وهم
قبيلة (عنزة بن أسد بن ربيعة) ، ولكنهم
سكنوها على ضعف وكان استقرارهم فيها
خفيفاً ، فجاءهم بنو حنيقة يقدمهم (عبيد
ابن ثعلبة الحنفى) ، فوجد مكان (حجر)

خاليًا ، ووجده مخصبًا يانعًا ، فاحتجر لنفسه
ولأولاده طائفةً وحل بها وسًّ ومكث وجعل
يقول :

حَلَلْنَا بدارٍ كان فيها أنيسُها

فبادوا وخلّوا ذات شيد حصُونُها
فصاروا قطينا للفلاة بغربةٍ

رميما وصرنا في الديار قطينُها
وجد بنو حنيفة في (حجر) وما حولها
مكانًا رحبًا ومرتعًا خصبًا ، فانتشر بنو حنيفة
في اليمامة ونموا وكثر حرثهم ونسلهم وقويت
شوكتهم وامتد سلطانهم ، ونافسوا في
حضارتهم وحاضرتهم أقاليم الحضارة في جزيرة
العرب وغيرها .

ويقدر أستاذنا حمد الجاسر في كتابه
(الرياض عبر أطوار التاريخ) أن سكنى بنو
حنيفة لليمامة كان في حدود ما قبل الإسلام
بقرنين .

ولم تسلم حنيفة في جاهليتها من الداء
الذي يصيب القبائل والأمم ، وهو التناحر
والتنافر ، فنشبت فتنة بين بنو حنيفة جردوا
لها السلاح وشبت لها نار العداء .. ولما أخذت

حصونهم تحميهم من التفاني صبوا بأسهم على
النخيل يحرقونها ، فحرق أرقم بن عبيد بن
ثعلبة الحنفي ورهطه نخيل (منفوحة) بلاد
بنى قيس ثعلبة الوائلين رهط الأعشى ، فبادلهم
هؤلاء بمثل عملهم فحرقوا (الشط)
و (البادية) إحدى قرى (حجر) ، ومن ثم
سميت (مُحَرَّقة) ، فقال الأعشى :

وأيام (حجر) إذ نحرّق نخله

ثأرناكم يومًا بتحريق أرقم
كأن نخيل (الشط) غب حريقه

مآتمُ سود سلبت عند مآتم
وحادثة أخرى جمعت فيها (تميم) جمعها
لغزو (بنى حنيفة) ، فتحصنوا بحصونهم
واشتغلت (تميم) بالتحريق .. وغزا (حجرًا)
عمرو بن كلثوم التغلبي الشاعر فتلقاه
بنو حنيفة ببأس شديد فأسروه وأوثقوه في
أحد قصور (حجر) ، ولكن (بنى سحيم)
من حنيفة مَنّوا عليه وأطلقوه ، وأشار إلى ذلك
في بعض شعره .

وبرز في بنى حنيفة قادة وزعماء يتنازعون
السلطة ويتجاذبون السلطان ويتبارون في

السيادة : (هوذة بن على السحيمى الحنفى)
و (ثمامة بن أثال) و (مجاعة بن مرارة)
و (مسيلمة بن حبيب) و (الرحال
ابن عنفوة) .

وكانت قاعدة السلطة تتجاذبها أيضا
حواضر اليمامة الثلاثة : (جو الخضرمة)
بالخرج ، و (حجر اليمامة) الرياض
و (عقرباء) فى أعلى وادى حنيفة حيث جرت
المعركة الفاصلة بين المسلمين وبنى حنيفة ووقع
الصلح هناك .

وبنو حنيفة بن لجيم بن صعب بن على
ابن بكر بن وائل: يتفرعون إلى ثلاثة بطون هم:
١ - الدُول : وفيهم الثروة من بنى حنيفة
والعدد والسلطة .

٢ - عَدِيّ .

٣ - عامر .

فولد (الدُول) (مرة) و (عبد الله)
و (ذهل) و (ثعلبة) .

فمن ولد مرة بن الدُول هوذة بن على
ابن ثمامة بن عمرو بن عبد العزى بن سحيم
ابن مرة بن الدُول .. فهوذة هذا أول معدى لبس

التاج وخطب بأبيت اللعن ، وكتب له
النبي ﷺ ، كما كتب لكسرى ، وقيصر ،
فهو رأس بنى سحيم ومنهم عمرو بن عمرو بن
سحيم قاتل المنذر بن ماء السماء يوم عين
أباغ.. ومنهم طلق وشيبان ومالك أبناء عمرو .
وأمهم (الملافظة) الحنفية سميت بذلك
لسخاتها ، وقد مدحهم الأعشى فى القصيدة
التي مدح بها هوذة فمنها :

وجدت علياً بائنا فورثته

وطلقا وشيبان الجواد ومالكا

ومنهم طلق بن على بن طلق الصحابى وله
رواية ، وكذلك ابنه عبد الرحمن .

فهؤلاء بنو مرة بن الدُول بن حنيفة .

وأما بنو عبد الله بن الدُول بن حنيفة ،

فمنهم صبيح بن المحترش ، يقال إنه قاتل زيد

ابن الخطاب رضى الله عنه ، واستقام بعدئذ

وكان له فى العلم والصلاح يدٌ ولّاه عمر بن

الخطاب رضى الله عنه قضاء البصرة . وأما بنو

ذهل بن الدُول بن حنيفة ، فمنهم جبلة بن ثور ،

ونافع ابن الأزرق الذى تنسب إليه الأزارقة من

الخوارج .

وأما بنو ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة ، فمنهم
ثمامة بن أثال ، أسلم وله صحبة .. ومطرف بن
النعمان ، وحرث بن جابر بن مسلمة ، وخليد
بن عبد الله بن مسلمة ، ومحكم بن الطفيل
قتل يوم اليمامة وكان أشرف في قومه من
مسيلمة ومجاعة بن مرارة الذي أسره خالد بن
الوليد والذي على يده تم صلح اليمامة هؤلاء ،
هم بنو الدؤل بن حنيفة .

وأما ولد عدى بن حنيفة ، فمنهم مسيلمة
ابن حبيب (الكذاب) ، ونجدة بن عويمر
الخارجي ، والعباس بن الأحنف الشاعر ..
وأما بنو عامر بن حنيفة ، فمنهم
عبد الرحمن بن محدوج .

ولم تكن (حنيفة) في الإسلام بأقل شأناً
منها في الجاهلية ، فلقد كتب ﷺ إلى بعض
زعمائها ودعاهم إلى الإسلام واهتم بشأن
اليمامة ، وبعث سليط بن عمرو إلى ثمامة بن
أثال وهوذة بن علي الحنفين رئيسي حنيفة ،
كما بعث رسله إلى العظماء والملوك ، فسعد
ثمامة بالإسلام ووفق للخير حسبما جاء في
قصة طويلة لا يتسع المقام هنا لذكرها .

أما هوذة بن علي فرغم ما كتب به إليه

رسول رسول الله ﷺ ، فإنه لم يوفق
للسعادة ، فلقد كتب إليه النبي ﷺ كتاباً
جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول
الله إلى هوذة بن علي : سلام على من اتبع
الهدى ... واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى
الخف والحاقر فأسلم تسلم وأجعل لك ماتحت
يدك .

فأخذت هوذة العزة بالإثم ، فكتب إلى
النبي ﷺ يقول : ما أحسن ماتدعو إليه
وأجمله .. وأنا شاعر قومي وخطيبهم
والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر
أتبعك .

فلما بلغ النبي ﷺ جوابه قال : لو سألتني
سيابة من الأرض ما فعلت .. باد وباد ما في
يديه .. فلم يلبث هوذة إلا قليلاً حتى
هلك .

ولقد وفد رؤساء اليمامة على
النبي ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة وفيهم
مجاعة بن مرارة ، والرحال بن عنفة ومسيلم
ابن حبيب فأحسن ﷺ وفادتهم وأكرمهم
وأعطاهم وأقطعهم قطائع وأجزل .

ولكن مسيلمة بعد ما رجع من
النبى ﷺ ادعى النبوة ، وكسب
للنبى ﷺ يقول : من مسيلمة رسول الله إلى
محمد رسول الله ﷺ سلاماً عليك أما بعد فقد
أشركتُ معك في الأمر ؛ فلنا نصف الأرض
ولقريش نصفها ولكن قريشاً قوم يعتدون .
فكتب إليه رسول الله ﷺ : من محمد
رسول الله إلى مسيلمة الكذاب .. أما بعد فإن
الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين .. والسلام على من اتبع الهدى .
فبدأ مسيلمة في نشر خزعبلاته ، وخرافات
واستخف قومه فأطاعوه ، ولما توفي النبى
ﷺ ازداد مسيلمة في غيه وقمادى في بغيه
فجهز له أبو بكر جيوشاً متعاقبة ، آخرها جيش
كثيف بقيادة خالد بن الوليد رضى الله عنه ،
وبعد معارك عنيفة وملاحم ذهب فيها فتان من
الفريقين قتل مسيلمة ، وصالحت بنو حنيفة
خالدًا على يدى مجاعة بن مرارة .. وأخبار هذا
القتال مفصلة فى مظانها من كتب التاريخ بما
لا يتسع المجال لإيراده هنا ..

وانظر رسم (عقرباء) فى حرف العين تجد
شيئاً من التفصيل هنالك .
ومن وقد على النبى ﷺ من بنى حنيفة
الأعشى ميمون بن قيس الشاعر الشهير
صاحب منفوحة ، وقد أعد قصيدة عامرة فى
مدح النبى ﷺ ، وتعداد فضائل الإسلام
ومحاسنه ، مطلعها :
ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا
ويت كما بات السليم مسهداً
فسمع قريش نبأ عزمه القدوم على
النبى ﷺ وكانوا يدركون أثر الشعر والشاعر
ذلك الوقت ، أثره فى المجتمعات وأوساط
العرب ، فخشوا إن هو مدح النبى ﷺ أن
يضرهم عليهم نيران العرب بشعره ، فعارضوه
فى طريقه وأغروه بالمال وصدوه ، ومالبت أن
هلك بعد أن وصل بلاده منفوحة ،
ويقسم إن النبى ﷺ حينما سمع
قصيدته قال : كاد ينجو .
ومن هذه الإشارات السابقة ندرك ما
للإمامة من أهمية وواقع اهتم به الإسلام

واحتفى بشأنه حتى أنه نزل في بني حنيفة
مانوه بذكرهم وأكد قوتهم وعلو شأنهم على
ما عليه بعض العلماء من أن الآية الكريمة :
(سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ
تَقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ) .

نزلت في بني حنيفة .

ومن قوة بني حنيفة ، ومنعتهم أنهم كانوا
يجبرون على الملوك وينفذون رغباتهم وإن كان
النعمان بن المنذر يريد ضدها .. جاء
في (الكامل) للمبرد عن أبي عبيد معمر بن
المثنى ، قال : كانت السواقط ترد اليمامة في
الأشهر الحرم لطلب التمر ، (والسواقط : من
ورد اليمامة من غير أهلها) فإن وافقت ذلك
وإلا أقامت بالبلد إلى أوانه ، ثم تخرج منه في
الشهر الحرام ، فكان الرجل منهم إذا قدم
يأتي رجلا من بني حنيفة وهم من أهل
اليمامة فيكتب له على سهم أو غيره : (فلان
جار فلان) ، وكان النعمان بن المنذر أراد أن
يجلي السواقط منها ، فأجارهم (مرارة
الحنفى) ثم أحد بني ثعلبة بن الدول من حنيفة
فسوَّغَه الملك ذلك ؛ أى أجازَه .. فقال

(أوس بن حجر) يُحَفِّظُ النعمان عليه :

زَعَمَ بَنُ سُلَيمٍ فِي مَرَارَةٍ أَنَّهُ

مولى السواقط دون آل المنذر

منع اليمامة حزنها وسهولها

من كل ذى تاج كريم المفخر

أما حفظهم للجوار فقد قال عمير بن سلمى

الحنفى لما قتل أخاه وفاء لجاره :

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا

وكان أبونا قد تجير مقابره

وقالت أم (عمير) المذكور :

نعد معاذرا لا عذر فيها

ومن يقتل أخاه فقد ألاما

ويفخرون فيقول شاعرهم :

وجدنا أبانا كان حل ببلدة

سوى ، بين قيس قيس عيلان والفز

فلما نأت عنا العشيرة كلها

أقمنا وحالفنا السيوف على الدهر

فما أسلمتنا بعد في يوم وقعة

ولا نحن أغمدنا السيوف على وتر

ولقد ودَّ الإمام على رضى الله عنه حينما

خذه قومه وقعدوا عن نصرته أن يلوذ بركن

اليمامة ، كناية عن نصرة أهلها ، فقال :

ولو أنى أطعت عصبت قومي

إلى ركن اليمامة أو شمام

ولكنى إذا أبرمت أمراً

منيت بخلف آراء الطغمام

وقال الفرزدق مشيداً بشجاعة بنى حنيفة :

لعمري لقد سلت حنيفة سلة

سيوفا أبت يوم الوغى أن تعيرا

سيوفا بها كانت حنيفة تبتنى

مكارم أيام تشيب الحزورا

بهن لقوا بالعرض أصحاب خالد

ولو كان غير الحق لاقوا لأنكرا

ولولا سيوف من حنيفة جردت

ببسرقان أمسى كاهل الدين أزورا

وانظر كتابنا (المجاز بين اليمامة والحجاز)

ففيه طرف من هذا .

ومن حنيفة ثعلبة بن حنظلة صاحب القبة يوم

ذى قار ، وكان يسمى مقطع الوطن والبطن لأنه يوم

ذى قار قطع وظين ويطان بعير أمه ويطان بعير ابنته ،

ورمى بهما على الأرض لثلا يفروا .

ومنهم أبو دلف البطل الشجاع الذى يقول فيه

ابن جبلة :

إنما الدنيا أبو دلف

بين ياديه ومحتضرة

فإذا ولى أبو دلف

ولت الدنيا على أثره

وأبو دلف يضرب بشجاعته المثل، قال فيه ابن

فنن :

مالى ومالك قد كلفتنى شططا

خوض الحروب وقول الدارعين قف

أمن رجال المنايا خلتنى رجلا

أمسى وأصبح محتاجا إلى التلف

تغدوا المنايا إلى غيرى فأسخطها

فكيف أسعى إليها بارز الكتف

أم خلت أن ضعيف الرأى حركنى

أو أن قلبى فى جنبى أبى دلف

وكما كانت (حجر) القاعدة الأولى

لليمامة فى الجاهلية ، فكذاك ظلت هى القاعدة

فى عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين وصدر

عصر بنى أمية ، إلا أن أحد ولادة بنى أمية

وأقواهم وأنبههم ذكرا (إبراهيم بن عيسى) ،

اتخذ من بلد يسمى (العُقَيْر) فى منتصف

وادی حنیفة مما فوق (الدرعية) مقراً له ، مع
بقاء (حجر) على قوتها ومكانتها وبرج
أستاذنا (الأستاذ حمد الجاسر) أن (العقير)
يقع فى مكان (المغيدر) الآن بجانب (الملقى) .
ومن آثار صدر الإسلام فى (حجر)
و (العرض) مسجد بناه خالد بن الوليد
رضى الله عنه فى حجر لا يزال باقياً حتى الآن
غرب (الرياض) جنوبها فى ما يسمى الآن حى
(ابن غنام) ، ومن الآثار التى تذكر عن
الأمويين واليهيم إبراهيم بن عيسى سجن
اليمامة المشهور (دَوَّار) الذى ذكرته الشعراء
وأفاضت فى ذكر قسوته وشؤمه .

وقامت ثورة فى اليمامة فى عهد بنى أمية
سنة ١٢٦ هـ بعد أن مات الخليفة الأموى الوليد
ابن يزيد ، قام بالثورة (المهير بن سلمى) جاء
إلى والى اليمامة (على بن المهاجر) فخيره
بين أن يعتزل الإمارة أو يفارق البلاد أو يبقى
فى قصره ، فرفض كل ذلك وعزم على حرب
المهير ، فجرت بينهما وقعة (القاع) المشهورة
انهزم فيها والى الأموى وتحصن فى قصره
بحجر ، ثم وجد فرصة للفرار ففر بعد أن قتل

جنده قتلى كثيرون فاستولى (المهير) على
اليمامة وقد قال (مروان بن أبى حفصة)
اليمامى شعرا فى ذلك مفتخرا بقومه .
بذلت نصيحتى لبنى كلاب

فلم تقبل مشاورتى ونصحتى
فداً لبنى حنیفة من سواهم

فإنهم فسوارس كل فتح
وقال شقيق بن عمر السدوسى :

إذا أنت سالت المهير ورهطه
أمنت من الأعداء والخوف والذعر
فتى راح يوم القاع روحه ماجد

أراد بها حسن السماع مع الأجر
وظلت (حجر) هى قاعدة اليمامة فى
العهد العباسى . إلا أن ضعف شأن الدولة
العباسية فى عهدها المتأخرة وتضعف شأنها
وتقلت الأمور من يديها واستبداد الولاة وذوى
الشأن بما تحت أيديهم ، جعل من اليمامة
المنطقة النائية من جهة ، والخطرة الحساسة من
جهة أخرى .. جعل الحكم فيها يترنح ،
والولاية تضعف وتغلب على أمرها ، مما هيا
الفرصة لمحمد الأخيضر لينقض على اليمامة

ويستولى عليها ، ويتخذ (الخضرمة) قاعدة
ملكه ، وذلك حوالى سنة ٢٥٣ هـ .

وينو الأخيضر أسرة علوية من بنى موسى بن
عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن
أبى طالب رضى الله عنه ، وكتب التاريخ تكاد
تجمع على أن هؤلاء القوم ظلمة ، سيئو
السياسة ، عنصريون ، مفسدون ، عملوا على
إضعاف القبائل العربية فى نجد وغيرها مما
اضطرها إلى الهجرة إلى مصر والمغرب العربى
وجوانب من أفريقيا وسواد العراق
وأطراف الشام ويحدثنا الرحالة (ناصرخسرو)
عن شىء من واقع الإمامة فى عهد بنى
الأخيضر (حسبما يروى عنه الأستاذ حمد
الjasر) قال :

بلغنا الإمامة بعد مسيرة أربعة أيام بلياليها
من (الأفلاج) ، وبالإمامة حصن كبير قديم ،
والمدينة والسوق - حيث صناع من كل نوع -
خارج الحصن ، وبها مسجد قديم ، وأهلها
(علويون) منذ القديم ، ولم ينتزع أحد منهم
هذه الولاية إذ ليس بجوارهم سلطان أو ملك
قاهر .

وهؤلاء العلويون ذوو شوكة ، فلديهم
ثلاث مئة وأربعون فارس ومذهبهم
الزيدية ، وهم يقولون فى الأذان (محمد
وعلى خير البشر وحى على خير العمل) ،
وقيل إن سكان هذه المدينة شريفية ..
وبالإمامة مياه جارية بالقنوات ، وفيها
نخيل ، وقيل إنه حين يكثر التمر يباع الألف
منه بدينار . أ هـ .

ظل عهد الأخيضرين فى الإمامة حوالى
قرنين وأربع عشرة سنة . أى منذ سنة ٢٥٣ هـ
إلى سنة ٤٦٧ هـ .. يسود فيها المذهب الزيدى
وتحكم حكما مجحفًا مجنفاً ، ولم تعلم أن الله
خبأ لها أن يسود فيها مذهب السلف وأن تنصر
فيها السنة وتخذل البدعة وتختفى
الخرافة وتقام شرائع الدين ، فجزى الله
محمد بن عبد الوهاب خير مايجزى به مؤمن
مجاهد .

على أنه وقع خلاف بين المؤرخين عن
الكيفية التى انتهى بها نفوذ بنى الأخيضر فى
الإمامة وعلى يد من ..

فالمرجح بالنسبة للمدة ما ذكرنا . أما
بالنسبة لمن أدال دولتهم فالمرجح أنه على يد

القرامطة ضربوهم ضربة مؤلمة عاشوا بعدها زمناً ولكنها خضدت شوكتهم ، وظلوا بعدها فى ضعف حتى دالت دولتهم وذابوا فى قبائل المنطقة .

ومنذ عهد الأخيضريين ونفوذ مدينة (حجر) قد أخذ فى التقلص والانكماش ولم تقم بعدهم فى اليمامة ولاية قوية نافذة بل انتقلت السلطة والسيطرة إلى شرق الجزيرة (الأحساء) وماحولها ، مثل حكم القرامطة والعيونيين ، وكلهم قاعدة حكمهم الأحساء ويحكمون نجدا حكما مهزوزا مزعزعا بقدر ما يحصلون على الأطماع ويستغلون الرغائب .

بعد الأخيضريين أصبح حكم اليمامة مترنحا . وكثير من حلقات تاريخها مفقود قرونا متعاقبة لانحس لها بأثر ولا نعر على حقيقة ؛ قرونا مظلمة مجهولة التاريخ عمياء الأثر .. حتى القرن الثامن حيث زارها الرحالة « ابن بطوطة » سنة ٧٣٢ هـ وقال : « ثم سافرنا منها إلى مدينة (اليمامة) وتسمى (حجرا) .. مدينة حسنة خصبة ذات أنهار وأشجار يسكنها طوائف من العرب

أكثرهم من بنى حنيفة وهى بلدهم قديما وأميرهم « طفيل بن غانم » ثم سافرت منها بصحبة هذا الأمير برسم الحج .. اهـ .

ويبدو من كلام ابن بطوطة هذا ، ومن كلام لابن فضل الله العمرى حيث يعدد مساكن العرب فى كتابه (مسالك الأبصار) ويذكر بعض من يسكن اليمامة فى القرن الثامن وأن جلهم من بنى حنيفة .

ومن كلام لابن لعبون المؤرخ النجدى أورد فيه شعراً عامياً من شعر (جعيثن اليزيدى) من بنى حنيفة من (الجزعة) المعروفة فى أسفل الرياض فى رثاء (مقرن بن أجود بن زامل) أحد ولاة الأحساء الذى قتلته البرتغاليون سنة ٩٢٨ هـ حيث يقول :

ونجد رعى رعى زاهى فلاتها

على الرغم من سادات (لام) و (خالد) وسادات (حجر) من (يزيد) و (مزيد) قد اقتادهم قود الفلا بالقلايد من هذه النصوص ندرك أن السلطة عادت لبنى حنيفة فى هذه القرون المتأخرة وبعد اضمحلال نفوذ (الأخيضريين) ، مما جعلهم ينزعون إلى أوطانهم ، ويستأنفون نفوذهم وإن كان لم يبلغ ما بلغه من قبل .

وفى منتصف القرن التاسع وفد (مانع المريدى) من بنى حنيفة على ابن عمه (ابن درع) صاحب (حجر) و (الجزعة) .. وفد عليه من الدرعية بالقطيف فاقطعه (المَلَيْبِيد) و (غَصِيبة) وما بينهما الذى هو مكان الدرعية الآن فسماه من يومئذ بهذا الاسم (الدرعية) نسبة إلى هؤلاء الدروع ؛ وقيل لأن بلاد مانع التى كان يسكنها فى الخط اسمها (الدرعية) ، فسمى هذا المكان باسمها .

أما آل يزيد من بنى حنيفة فانحصرت ممتلكاتهم فى الوصيل من (الدرعية) إلى (الجبيلة) .

ومانع المريدى هذا هو الجد الثالث عشر للملك عبد العزيز رحمه الله ، ولم يزل نفوذهم يكبر وعددهم يكثر حتى أصبحت لهم الصدارة وتلاشى الآخرون فى ظل نفوذهم .

أما (حجر) ، فإن عوامل الضعف التى اعتورتها والانقسامات والفتن واختلال الأمن واضطراب الولاية .. كل ذلك جعل من منطقة (حجر) تقسيمات ومسميات وإمارات ، كل

منها له نفوذه واستقلاله بأمره وكيده وعدواته لجأوريه .. وبرز أكبر مابرز هناك ناحيتان ، كل منهما تدعى الزعامة وتحتضن السلطة ، هما (مقرن) و (معكال) .. وتشير القرائن إلى وقوع حروب وثورات بين هذه الأقسام (أو الأحياء على الأصح) ، من ذلك هذا البيت المتوارث منذ ذلك الحين :

يامحلى والشمس باد شعقها

ضرب الهنادى بين (مقرن) و (معكال)

واللقطات التاريخية التى تمدنا بنتف من تاريخ المنطقة تفيد أن السلطة المحدودة انتقلت من (حجر) إلى (مقرن) و (معكال) وأن اسم الرياض لم يبرز إلا فى القرن الحادى عشر. وهذه اللقطات لتمدنا بتاريخ مفصل ولا يعقود سلسلة وأجيال ذات نفوذ مبسط ، ولكنها إشارات لا تخلو من فائدة . من ذلك أنه فى سنة ٩٨٦ هـ غزا شريف مكة حسن بن أبى ندى بلدة (معكال) وحاصرها بخمسين ألف جندى وتغلب عليها ، وتعهدوا له بدفع إتاوة سنوية .

وفى سنة ١٠٣٣ هـ ذكر ابن بشر قتل
(أولاد مفرج) بن ناصر صاحب (بلدة مقرن)
وفى سنة ١٠٣٧ هـ احتل آل (مديرس)
بلدة (مقرن) .

وفى سنة ١٠٥٦ هـ قتل محمد بن مهنا
أمير مقرن .

وفى سنة ١٠٩٩ هـ احتل سلامة أبا زرعة
بلد مقرن .

كل ما أسلفناه يتحدث عن (حجر)
(الرياض) الآن ، وكله قبل أن يبرز اسم
الرياض فى القرن الحادى عشر الهجرى ،
أعطينا عنه إلمامات يقتضيها المقام ، خاصة
بحجر ويعهود (حجر) .

عبد الله بن محمد بن خميس
عضو المجمع المراسل من السعودية

الآثار النفسية فى تعريب العلوم والإبداع *

للاستاذ الدكتور يوسف عز الدين

العلم والحضارة :

تمر الأمة العربية بأخطر مرحلة حضارية فى حياتها المعاصرة ، وإذا لم تفهم هذه المرحلة وتحتويها ، وتهضم ما فيها من جديد ، وتتغلب على التيارات الحديثة المتدفقة ، فسوف تضيع شخصيتها بين الحضارة الجديدة ، وتنسى تراثها وأصالتها ؛ لأن الأمم القوية سوف تفرض عليها علمها وثقافتها وأدابها بالتطور الحضارى المتقدم ، والاختراعات المتعددة الكثيرة التى دخلت فى كل صغيرة وكبيرة من حياتنا .

والعلم ركيزة هذا التطور الحضارى وعليه قامت قوة الغرب ، وبوساطته تمكنت من السيطرة على مقدرات العالم كله ، ووجهته نحو أغراضها ومصالحها واقتصادها ، فلا بد من فهم هذا العلم فهما عميقا ودراسة مافية من حقائق علمية وأسرار تفوقه وغوه ، وسبر غور جزئيات هذا العلم ونتائج تجاربه . ولكى نسائر هذا التطور ونحتوى حضارته بعد هذا

التدفق المستمر بالمعلومات ، والطفرة العلمية فى الطاقة النووية والليزر والإلكترونيات والموجات المغناطيسية وعلوم الفضاء ، وفى كل آلة مهما صغر حجمها أو كبرت فائدتها ؛ من آلة التصوير إلى الإنسان الآلى ، وغيرها من المخترعات التى يحرص الغرب على كتمانها عن الشرق .

اللغة والعلوم :

إن تفوق الغرب جاء من دراسة العلوم بلغته الخاصة ؛ لأن اللغة تتيح لأصحابها قدرات واسعة فى فهم التجارب ومكونات المواد ، ولأن الفهم الجيد للعلوم باللغة الأصلية يفتح أمام العالم آفاقا واسعة ويمده بالدقة العلمية ؛ لأن فهم مصطلحاته وفقه رموزه يزوده بالدقة والإبداع والابتكار عندما يقوم العالم بالتجارب أو يسجل تجاربه . وتظهر قابلية العالم العلمية وفكره الذاتى بصورة واضحة لأبناء لغته ، وعلى قدر فهم التجارب والاستفادة منها وهضم العلم يكون التفاعل

(*) ألقى البحث فى الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر المنعقدة يوم الأربعاء ٢٥ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٦ من إبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ م

النفسى مع المجتمع وتعم فائدته العلمية ،
وتنتشر الآراء الجديدة التى جاء بها هذا
العالم .

العامل النفسى والإبداع :

إن الثقة بالنفس أهم عامل فى الإبداع
والاختراع ، والشعور بالنقص والانبهار الروحى
بالغرب والإعجاب الأعمى بحضارته يعطل
الإبداع ويضيع الثقة بالنفس . إن الغرب أبدع
فى العلوم وطورها ، واخترع هذا الكم الكبير
من المخترعات لأنه درس العلوم بلغته وهو
واثق من قدرتها على الوفاء بحاجته العلمية
وعلى قدر فهم العالم لعلمه ومعرفة دقائق هذا
العلم والإحاطة بجزئياته يفيد أمتة ويطور
عقليتها حضاريا .

إن تمزق العرب الفكرى والاضطراب الروحى
فى بعض أقطارنا ومكانة الغربى فى عقول
المثقفين العرب أضاع الثقة باللغة العربية
فالتكلم باللغة الأجنبية يشعر باهتمام مجتمعه
وتقديره فحال هذا الشعور دون العناية باللغة
العربية .. فمن الضرورى قبول التعريب نفسيا
وإدخال الثقة إلى نفس الدارس بلغته ؛ ليقبل
التعريب نفسيا ، ويكون مقتنعا وواثقا بفائدته

وأن اللغة العربية قادرة على استيعاب العلوم
الحديثة .

جذور حضارة الغرب :

لاشك فى أن القدرة العقلية على هضم
العلوم وإدراكها يتوقف على الإبداع . وتقف
العلوم الحديثة فى الغرب على مرتكزات
حضارية وجذور علمية متينة ، ولا بد لنا من
فهم هذه الجذور والوصول إلى أسسها الأولى ؛
لأن هذه الجذور أو القواعد هى التى قامت
عليها النهضة العلمية فى الغرب ، ومن
الضرورى لحركة التعريب العلمى فهم هذه
الجذور دون النقل والترجمة ؛ كيلا يصبح
الفكر العلمى العربى نسخة ثانية للفكر العلمى
الغربى ، كما يصنع كثير من الدارسين هذا
اليوم .

إن التعريب فن متكامل لا يمكن معرفة
أصوله والسير فى أسلوبه بنقل النصوص
والترجمة دون فهم لمكونات هذه النصوص
واستيعاب ما فيها من تطور علمى وقدرة على
الاستفادة العلمية منها ، وأن يعى العالم
العربى وعيا حضاريا يجعله قادرا على هضم
ما فى العلوم من حقائق ونظريات ليفيد منها

أمته فيأخذ منها حاجاتها ، ويطبق تجاربه ومخترعاته داخل وطنه ؛ لأن تعريب العلوم من وسائل تغيير العقلية الحضارية للأمم بعد أن تطورت الوسائل العلمية تطورا سريعا .

وتنوعت أساليب البحث العلمى المنظم .
إن الفهم العلمى العميق يفيد اللغة العربية ويجدد أسلوبها ويطوره ، وينظم المسار العلمى فى عقول طلاب العلم ، ويخلصه من التبعية الأجنبية ، ويكون سببا فى إبداع العالم العربى عندما يستقل برأيه ويتخلص من الشعور بالنقص والانبهار الغربى ، ويحس بأنه لا يقل ذكاء ومكانة عن علماء الغرب ويثق بعلمه ونفسه ولغته ؛ لأن فهم العلوم هو القاعدة الصلبة للاختراع والاكتشاف والتطور الذى لا تبرز مظاهره فى عالمنا اليوم والذى اعتمد على مخترعات الغرب واكتشافاته ، وأخذها جاهزة كالقطار والطيارة والسيارة والأدوات الأخرى التى نستعملها يوميا .

إن الإبداع والاختراع قائمان على مقدرة العالم على فهم لغة العلم والثقة النفسية بها ومعرفة مصطلحاتها علميا ولغويا ؛ لأن

الإدراك اللغوى يساعده على التعبير المفهوم ويوصله إلى نتائج باهرة فى حقله .

وطلاب العلوم يعانون من ازدواجية لغوية تعيق تقدمهم العلمى ولا تعينهم على التصور الإبداعى ؛ لأن الازدواجية السطحية تحول دون الإدراك التام ، وقد يكون هذا التصور غامضا كلما أوغل فى الدراسة الدقيقة وعاش مع المواد الجامدة والتجارب العلمية المعقدة .

إن الفهم العميق للمادة العلمية ومعرفة أجزائها ضروران للعالم حتى يبدع ويتوصل إلى أحسن الحلول وخير النتائج بعد أن كثرت المفردات وتنوعت المصطلحات وفجرت طاقات لغوية فى الأمم المتحضرة . إن طلاب العلوم يدرسون باللغة الإنجليزية ويشرح الأستاذ لهم الأمور باللغة العامية فيتخرج الطالب مزدوج الثقافة اللغوية لا يعرف أيهما يفضل .. ويتخرج فى الكلية وهو غير مستقر لغويا ونفسيا لأنه لم يتقن اللغتين .

إن اللغة العريقة هى القادرة على استيعاب العلوم الجديدة ووضع المصطلحات لها واللغة العربية استوعبت الحضارة الغربية فى

العصر الحديث فى زمن محمد على باشا وسارت خطوات كبيرة فى طريق التعريب حتى جاء الاستعمار البريطانى وسيطرت لغته على الحياة الفكرية والعلمية ، وانبتت النهضة اللغوية التى بدأت قوية شابة عندما فرض (دنلوب) التعليم بالإنجليزية فجاء جيل بعد عن لغته ، وحسب أنها ليست قادرة على الوفاء بالعلوم واستيعاب الحضارة العلمية الجديدة ؛ لأن ثقافته الأجنبية تمنحه قدرا كبيرا من المكانة الاجتماعية والتقدير الثقافى .. والواقع أنه شعر بالنقص أمام هذه الحضارة لأنه اطلع على كثير من محتوياتها باللغة الأجنبية ولم يكن قد اتسعت معرفته باللغة العربية ، فمن الضرورى أن تعود الثقة إلى نفس طالب العلم بلغته والإيمان بأنها قادرة على احتواء العلوم الحديثة .. بأن تدرس المواد باللغة العربية حتى يتخلص الطلاب من الاضطراب النفسى والشك فى مقدرتها ، ويتخلص من شعور الخجل الذى يمنعه من المناقشة باللغة العربية لأنه لا يقدر على المناقشة باللغة الأجنبية ، وشمل الخجل الأستاذ فقد ظن أنه

غير قادر على التدريس بالعربية وإيصال معلوماته الغزيرة إلى طلابه بها وترددت مقولة إن العلوم لا يمكن أن تدرس باللغة العربية مع أن دارس العلوم بلغته أقدر على فهم العلوم والإبداع فيها ، وخير شاهد تدريس الطب والعلوم والهندسة والرياضيات فى زمن محمد على باشا وتأليف الكتب بها مع أن المدرسين كانوا من الإنجليز والطلّيان والفرنسيين وفى دار الكتب عدد من هذه الكتب مثل :

١ - الصحة التامة والمنحة العامة :

تأليف طبيب مصره ولقمان عصره معلم الأمراض الباطنية بالمدرسة الطبية محمد بدر أفندى .

٢ - أحسن الأغراض فى التشخيص

ومعالجة الأمراض : تأليف محمد التونسى محرر كتب الطب قابله مع جامعة محمد شافعى الحكيم الماهر .

٣ - التشريع العام : ترجمة عيسوى أفندى

النحراوى استملاه الشيخ عوض القنانى وهو المصحح الأول ، المقدمة استملاها الشيخ على

العدوى وهو المصحح الثانى قابله مع بيرون
الكيمائى الطيب العارف لكثير من اللغات .

٤ - الأزهار البديعة فى علم الطبيعة :
تأليف مسيو بيرون معلم الكيمياء بمدرسة
الطب . جمعه من كتب الفن الفرنساوية وترجمه
يوحنا عنجورى المدعو بحنين مع مساعده
المؤلف المذكور لمعرفته بالعربية وصححه الشيخ
يونس الواعظ المصحح .. وكانت جماعة من
الأزهريين تساعد هؤلاء . وهناك كتب كثيرة
فى مختلف العلوم طبعت فى مطبعة بولاق
موجودة فى دار الكتب . ولتسهيل فهم العلوم
وضعت المعاجم فى اللغات الأجنبية والعربية
منها قاموس القواميس الطبية وهو يحاكي
المعجم الطبى الذى وضعه مجمع اللغة العربية
وقد وضع فى عدة لغات ومعناها باللغة العربية
وكان العلماء حريصين على ضبط الكلمات
ودقة الألفاظ شعورا بالمسئولية العلمية
ولم يكتف المترجمون والمدرسون بالترجمة
والتدقيق والمراجعة والتأكد من وضع المصطلح
المناسب لها إنما أضافوا الملاحق لما ترجموه حتى

يسهل على الدارس ضبط الألفاظ وقد شرح
أحد الكتب الفكرة بقوله :

(فيه كثير من الأسماء الأعجمية ، سواء
كانت فرنساوية أو يونانية كأسماء مهرة
المشرحين وبعض حيوانات قد ذكرت للتبيين
وأسماء بعض أمراض ومفاصل ، ولعجمتها
كان التحريف فيها حال التلفظ بها أقرب
حاصل ، ولا يمكن النطق بها على حقيقتها
بالضبط العام ، الذى به يستقيم الكلام ، ولا
سبيل لذلك إلا بضبطها بالعبرة ، لأن الضبط
بالشكل غير مأمون الخسارة ، أمرنى حضرة
ناظر مدرسة الطب الإنسانى الآن الشهير بيرون
أن أضبطها بالعبرة ليسهل التلفظ بها
ويهون ، وأن أرتبها على نسق حروف المعجم ،
لتكون أسهل وأقوم وأحكم . (١)

وقد كانت (يعسوب الطب) ومعها
(روضة المدارس) تساعدان على الترجمة ،
والتعريب ووجدت فى (يعسوب الطب)
مختارات متنوعة من المقالات العلمية مترجمة
من اللغات الأجنبية فقد خصصت هذه المجلة

١ - التشريع العام تأليف كلار طبع فى بولاق ١٢٦١

لهذه الغاية نفسها لتساعد الكتب المترجمة وتكمل ما لم يرد فيها .

وبذلك فالتدريس باللغة العربية لم يكن مشكلة في زمن بدأت الحضارة حضارة الغرب تغزو الشرق فتصدي لها المصريون بعزيمة وإيمان وتمكنوا من احتوائها علميا وفكريا وثقافيا ولو لم يفرض الإنكليز اللغة الإنجليزية لكانت مصر أسبق من غيرها في التدريس باللغة العربية ولوصل التعريب في البلاد العربية مرحلة متطورة ومتقدمة ولفاقت اللغة العلمية في اليابان وروسية وبلغارية التي بوساطة لغاتها أبداع العلماء ونافسوا أكبر الدول قدرة وتفوقوا على أكثر الدول إنتاجا وها هي اللغة العبرية وكانت لغة مينة أصبحت لغة العلوم والفنون والآداب في إسرائيل .

إن التعريب ضرورة للإبداع والاعتداد بالنفس وأول ساحة يجب العناية بها هي الجامعات لتغير النظرة التي ينظر إليها العربى إلى الغرب وليشق الطالب بقدرة لغته على الوفاء بالعلوم للتخلص من الاستعلاء الغربى والسيطرة الأجنبية كما تخلصت الأمم الأخرى .

إن الابتعاد عن اللغة العربية عند طلاب العلوم سرب إلى نفوسهم الخوف والحذر من عدم قدرتهم على الفهم والاستيعاب والمعارضة شيء طبيعى يجب أن نقابله بالإقناع والمرونة ، لصعوبة تغيير آراء الناس بسهولة وبخاصة آراء المثقفين منهم . لأن تعريب العلوم ضرورة وطنية وحضارية إضافة إلى فائدها العلمية البحتة لأن تعريب العلوم سوف يخلص طلاب العلم من الازدواجية اللغوية ويعيد الثقة إلى النفس بقدرة لغتنا على احتواء هذه الحضارة الجديدة وعلى العالم مسئولية كبيرة في تطور العلوم في أمتة وقيادتها نحو الحضارة والتقدم التقنى .. ومتى وثق العالم بلغته فسوف تتقدم العلوم وتتطور نحو الإبداع والاختراع والاكتشاف .

إن قبول أى عمل علمى لا بد له من استعداد نفسى وعدم فهم لغة العلم وضعف تعريبها سيوقع العالم في موقع انهزامى وحالة نفسية سلبية يتهم فيها اللغة العربية بعدم القدرة على تعريب العلوم الحديثة ومثل هذا الإحساس يؤدي إلى ترك التدريس بها وعدم استعمالها في التأليف ثم إهمالها وبخاصة بعد أن

سيطرت روح الاستهلاك والاعتماد على كل شىء جاهز يستورد من الخارج مع أن الأمم الواعية درست بلغاتها وعرفت التقنية الغربية بسهولة وقد كانت هذه الأمم متخلفة كالصين واليابان وروسية وإسرائيل ولم تتقدم العلوم وتتفوق إلا بعد أن درست علوم الغرب بلغاتها وسأيرت التقدم السريع الهائل فى جميع جوانبها العلمية والثقافية والنفسية .

كيف نحل المشكلة :

هذه مقترحات عامة تضاف إلى المقترحات والآراء التى يبديها المختصون أضعها بين يدي مؤتمرهم الكريم مساهمة متواضعة لتطبيق ما أوردته من آراء وأرى أن نبداً بالطالب الجامعى .

الطالب والنص :

إن إعادة الثقة إلى الطالب سوف تساعد على الإحساس بالقدرة الروحية على دراسة العلوم بالعربية بجانب اللغة الانجليزية وسوف تسهل عملية التعريب والتدريس نفسياً باللغة العربية . لأن الثقة النفسية ضرورية لقبول

التعريب والدراسة باللغة العربية وقد بدأت بعض الجامعات العربية بالتعريب وأقدمها جامعة دمشق ، ولو استمر التعريب فى مصر ولم يفرض (دنلوب) اللغة الانجليزية لكانت مصر اليوم رائدة التدريس باللغة العربية ولسهلت العملية ويسرتها .

ومتى فهم الطالب العلوم باللغة العربية فسيكون واثقاً من نفسه كتابة ومناقشة . ولا أريد إهمال اللغة الأجنبية لكنى أرى أن يتدرج الطالب فى تعلمها وأن يتخلص من حفظ نصوص كتاب واحد أقره أستاذه وأن يخرج من دائرة محاضراته التى يحفظها أكثر الطلاب غيباً .

ولاشك بأن للأستاذ القدرة الكبيرة على تبسيط العلوم وشرحها لأن مستواه العلمى العالى يمكنه من رفع مستوى الطالب العلمى واللغوى متى درسها باللغة الفصحى فى المرحلة الأولى وابتعد الأستاذ عن العامية المخلوطة بالانجليزية وإلا فسيحفظ الطلاب المواد العلمية

دون إدراك عميق للجزيئات العلمية وبلا فهم للمعادلات والمصطلحات المتعددة .

ويمكن أن يدرس الطالب في السنة الأولى :
بعض المصطلحات والنصوص الأجنبية التي يدرسها باللغة العربية لمسايرة التطور العلمى والفكرى للطالب . وفى السنة الثانية : يدرس جزء من العلوم باللغة الانجليزية أسوة بالأمم التى تدرس أكثر من لغة فى مدارسها مثل هولنده وسويسرا والمجلترا وبلجيكا . فيتعود الطالب على فهم نصوص العلم بدرجة متقدمة ويقدر على متابعتها ببعض مصادرها الأجنبية بعد أن يختار الأستاذ النصوص المهمة ويعنى بشرحها باللغة العربية .. وبذلك يتعرف الطالب على النصوص بلغتها ويهضم ما فيها من معادلات ومصطلحات .

وفى السنة الثالثة : يمكن زيادة مصادر النصوص وتدریس مادة أو أكثر باللغة الانجليزية مع الاستمرار فى التدريس باللغة العربية وبذلك تتسع معارف الطالب دون أن يبتعد عن لغته .

وفى السنة الرابعة : يدرس الطالب أكثر من

مادة باللغة الانجليزية حسب المستوى الذى يراه الأستاذ أو اللجنة التى تقوم بوضع المنهج .. ولأساتذة التربية وعلم النفس وأصحاب الاختصاص رأى الأول لأن تجاربهم واحتكاكهم المباشر بالعمل الجامعى يمكنهم من وضع هذا التدرج العلمى وهم أقدر من غيرهم على فهم العملية التربوية والعلمية . وتدرس المصطلحات ضمن ساعات التدريس وقد يسر مجمع اللغة العربية . والمجامع فى الأقطار العربية وضع الكثير من المصطلحات يمكن وضعها بين يدى الطالب والأستاذ وقد طبعت فى معجمات متعددة .

المصادر العلمية :

إن التخطيط العلمى المنظم أساس نجاح كل عمل متطور لذلك ينبغى جلب المصادر العلمية المهمة ووضعها بين يدى الطالب والأستاذ والعالم المختص وأن تترجم هذه المصادر ضمن منهج مرسوم وهدف مسخطط مدروس لأن التخطيط يوقف المتناقضات المتعددة والآراء المتضاربة فى عالمنا العربى وبخاصة فى المجامع والجامعات .

ولسهولة التخطيط تجرى عملية إحصاء للمصادر العلمية المهمة الحديثة واختيار الأهم على المهم سواء أكانت من مجلات أم من الكتب والمعاجم . واختيار المقالات الممتازة وترجمتها إلى العربية وكانت (يعسوب الطب) مثلاً حياً لهذه التجربة الرائدة .

الكتب والدوريات:

ولمسيرة عملية التعريب تترجم أهم مصادر البحث العلمى وتوضع المصادر نفسها بين يدى الدارسين وطلاب العلوم والأساتذة للاستفادة من اللغتين والمقارنة بينهما . لأن كثيراً من هذه المصادر لا تصل إلى الطلاب بما وضع أمامها من عراقيل مالية ورقابة معروفة .

كتب التراث:

وأتمنى الاستفادة من كتب التراث العربى فى وضع المصطلحات فقد ورثنا كمية كبيرة من الكتب العلمية التى استفادت الجامعات الغربية منها للتعرف على الأسلوب العلمى الذى كتب فيه علماؤنا بحوثهم وقد طبع كثير من هذه الكتب فى أوربا وعندما يعرف الطالب أن أجداده عالجوا العلوم بأسلوب جيد وسهل

ووضعوا المصطلحات المناسبة للعلوم فسوف يشعر بأهمية اللغة العربية ويقدر جهد أمته ويفخر بها ومن هذه الكتب التى يمكن الاستفادة منها:

- ١ - إحصاء العلوم للفارابى
- ٢ - الصيدنة للبيرونى
- ٣ - الحاوى فى الطب للرازى
- ٤ - جامع مفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار
- ٥ - مقالة فى الضوء لابن الهيثم
- ٦ - طبقات الأطباء والحكماء ابن جليل
- ٧ - القانون فى الطب لابن سينا
- ٨ - كشف اصطلاحات الفنون للتهانونى
- ٩ - مصنفات فى الكيمياء جابر بن حيان
- ١٠ - مفاتيح العلوم للخوارزمى (١)

التخطيط العلمى:

إن التخطيط العلمى والتنسيق الإحصائى بين الجامعات والجامعات والمعاهد والهيئات التى تعنى بالتعريب سوف يختصر الوقت وبالتعاون العلمى سوف يقرب مابعد من آراء ولعل التشريعات هى الوسيلة الناجحة فى عالمنا

١ - فى صدد مصادر الكتب يراجع : تراث الإسلام لما يرهوف والفهرست لابن النديم ومؤتمر تعريب التعليم العالى فى الوطن العربى .

الثالث فقد فرض (دنلوب) التدريس باللغة الانجليزية فنشأ جيل تعلق بها أكثر من تعلقه بلغته وأخذ يدافع عنها بقوة وحرارة بعد أن أمات (دنلوب) بتشريع التدريس باللغة العربية التي بدأت في زمن محمد علي باشا .

مساندة الدول العربية :

ومن الضروري مساندة الدول العربية بعدد من التشريعات وتشجيع الحركة بجوائز مالية ومعنوية فالدول العربية تصرف في سبيل الرياضة أموالا طائلة وتضع لها الجوائز التي لا يحلم بها عالم مهما سما علمه واتسعت آثاره العلمية وقد صرفت الملايين في هذه المسابقات فتطورت الحركة الرياضية تطورا واضحا فلو اعتنت بالتعريب بأقل من هذا القدر لما تخلفت حركة التعريب . فمن الضروري مساندة المؤسسات العلمية التي تعنى بالتعريب كالمجامع والجامعات والمعاهد وأن تشكل لجان فرعية في كل دولة أسوة بما تضعه اليونسكو وتكون مهمة هذه اللجان التنسيق وإعداد الكتب والدوريات والإشراف على جميع جوانب التعريب وتبادل المعلومات مع غيرها وقد حاول مجمع اللغة العربية في القاهرة أن يقوم بهذا العمل بوساطة (الاتحاد المجامع) لكنه لم يلق التشجيع والمساندة لحياة العرب المتناقضة .

المؤتمرات العامة :

ولتسهيل تبادل المعلومات بين المؤسسات لابد من حضور العلماء والمهتمين بحركة التعريب إلى اجتماعات دورية لأن اللقاءات العلمية تسهل الكثير من الأمور وتنقل التجارب من مكان إلى آخر لأن حلقات الدرس والمناقشات التي تدور فيها تعطى الجميع فكرة عامة تدعو إلى توحيد الرأي والسير نحو هدف واحد منسق .

الطبع والنشر :

ولابد من طبع إنتاج العلماء كي تتم حركة التعريب وينشر بين يدي العلماء وطلاب البحث حتى تنهض حركة التعليم وتتطور الحضارة . وقد سهلت الآلات الحديثة في الطباعة الكثير من الأمور .

وأخيرا لابد أن نحافظ على العامل النفسي الذي يعيد الثقة بالنفس وبأن التدريس باللغة العربية ليس تخلفا وأن التدريس بالأجنبية ليس سموا .

هذه آراء ومقترحات من تجاربي المحدودة أرجو أن تأخذ مكانها مع خضم الآراء لكبار العلماء وحسبى أن قدمت ماعندى .

والله الموفق ،،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يوسف عز الدين

عضو المجمع المراسل من العراق

علم دراسة المستقبل ★

للاستاذ الدكتور أحمد صدقي الدجاني

مدخل :

« دراسة المستقبل » مصطلح شائع في حياتنا المعاصرة ، يتردد على الألسنة . وهو يدل على « جهد علمي » لاستشراف المستقبل وتشوُّفه ورؤيته بغية إحسان التعامل مع الواقع القائم ، والسعى لتحقيق أهداف محددة . ويؤثر البعض للدلالة على هذا الجهد العلمي مصطلح « علم المستقبل » .

لقد أصبح مألوفاً حين يجرى الحديث عن العلوم في عالمنا المعاصر أن تذكر من بينها « دراسة المستقبل » أو « علم المستقبل » وإن اختلف الخبراء في موقع هذه « الدراسة » بين العلوم وفي تصنيفها .

الاهتمام اليوم بدراسة المستقبل عامٌ في مختلف دوائر العالم الحضارية ، لا يقتصر على واحدة منها دون أخرى . وهو على أشده في

دائرة. حضارة الغرب التي أولت عناية خاصة للدراسات المستقبلية وللقيام بها وفق « منهج علمي » في هذا القرن العشرين الميلادي .

يشهد وطننا العربي منذ عقد السبعينيات اهتماماً متزايداً « بدراسة المستقبل » . ويتجلى هذا الاهتمام في ترجمة بعض ما كتب عن « المستقبلية » في اللغات الأخرى ، وفي قيام بعض الكتاب العرب بالكتابة عنها وتأليف كتب فيها تتضمن « رؤى مستقبلية » وفي إنجاز مشروعات بحثية لاستشراف المستقبل حملت اسم « الاستشراف » ، وفي تأسيس جمعيات تعنى بدراسة المستقبل .

لقد حاولت الجهود العربية العلمية على صعيد « دراسة المستقبل » الإسهام في تحديد مفهوم « الدراسة المستقبلية » ، والقيام بتأصيل هذا الجهد العلمي الحديث وتتبع جذوره

(*) ألقى البحث في الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر المنعقدة يوم الأربعاء ٢٥ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٦ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ م .

فى أرض حضارتنا العربية الإسلامية من خلال علوم الأقدمين ، والبحث فى المنهج الأنسب لهذا النوع من الدراسة ، وطرح مصطلحات تستخدم فيها .

سأعمد فى هذا الحديث إلى تسليط أضواء كاشفة أخرى على هذه الجهود متابعاً ما قمت به قبل ثلاثة أعوام فى بحثى « دراسة المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة » الذى قدمته فى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض ، وأخرجته فى كتابى « عن المستقبل » ، وضمنته عصارة اشتغالى بالدراسات المستقبلية على مدى عقدين من السنين . كما سأطرح فى الحديث أسئلة تتعلق بموضوع مؤتمرننا لهذا العام فى هذا المحفل العظيم وهو « تعريب العلوم » على صعيد « دراسة المستقبل » .

دراسة المستقبل : مفهوماً واسماً وتصنيفاً

مفهوم « دراسة المستقبل » ، كما توافق عليه المشتغلون بها هو أنها اجتهاد علمى منظم يرمى إلى صوغ مجموعة من « التنبؤات المشروطة » تشمل المعالم الرئيسية لأوضاع مجتمع ما أو مجتمعات عبر فترة عقدين

أو أكثر قليلاً ، وتنطلق من بعض الافتراضات الخاصة حول الحاضر والماضى لاستكشاف أثر دخول عناصر مستقبلية على المجتمع أو المجتمعات . وقد سماها البعض غمطاً علمياً فى التنبؤ يعتمد الحساب . وأكد الجميع على أنها تخضع لشروط تنأى بها عن أن تكون عملاً خيالياً طوباوياً » . وقد شرحتُ هذا المفهوم فى بحثى عن دراسة المستقبل بقولى عنها إنها محاولة علمية تتكامل فيها الدراسات لمعرفة جوانب صورة الحاضر وتحليلها ، وتلاحظُ فيها السنن ومجرى الحركة التاريخية من خلال دراسة الماضى ، ويكون الانطلاق من ثم إلى استشراف المستقبل وتشوفه وطرح ملامحه والتوقعات التى يحتمل حدوثها فيه استمراراً للحركة التى تحكم الواقع ، والبدايل والخيارات القائمة . ولا يغيب عن البال فى هذا الطرح دور إرادة الفعل عند الإنسان والمجتمع الإنسانى فى الاختيار وصنع المستقبل وترجيح بديل على آخر . كما لا يغيب عن البال أيضاً دور الحلم عند الإنسان والمثل الأعلى عند المجتمع الإنسانى فى صنع إرادة الفعل ، ومن ثم توفير القدرة على الفعل من أجل تحقيق أهداف بعينها . فالإنسان قادر

على أن يكون فاعلاً فى الأحداث . وهكذا فإن الحديث المستقبلى يوظف المعرفة للفعل والتأثير ، ويحاول تحديد ما ينبغى دون الغفلة عن توقع ما سيكون . والغاية أن تتوافق من خلال الفكر والإرادة والقدرة صورة الآمال مع صورة التوقعات ، وتتفاعل فى هذا الحديث المستقبلى العوالم الثلاثة لدى الإنسان : عالم التذكر وعالم التفكير وعالم التخيل .

سؤال أول يبرز فى ضوء تحديد مفهوم

« دراسة المستقبل » ، هو : هل هذا الاجتهاد العلمى المنظم فى « النظر المستقبلى » علم بالمفهوم الحديث لمصطلح العلم ، فيمكن تسميته « علم المستقبل » ؟

لقد اجتهد بعض المشتغلين الأوائل بدراسة المستقبل وأطلقوا على هذا النمط العلمى فى الاهتمام بالمستقبل مصطلح « علم » ، ومنهم « جاستون بيرجر » الفرنسى الذى طرح اسم « علم الريادة » عام ١٩٦٠ ، « وأوسيب فليشتم » الألمانى الذى استخدم اسم « علم المستقبل » عام ١٩٦٦ فى كتابه « علم التاريخ وعلم المستقبل » . وهناك من تحدث

عن « علم حساب المستقبل » كما ذكر زكى نجيب محمود فى مقاله « المستقبل المحسوب » الذى تتبع فيه بدايات الاهتمام بدراسة المستقبل منذ مطلع القرن العشرين . ولا يزال هناك كثيرون اليوم يستخدمون مصطلح « علم المستقبل » مطمئنين له للتأكيد على أنه اجتهاد علمى يتم وفق منهج علمى ، ولتمييزه عن جميع صور التنبؤ الأخرى التى عرفها الإنسان القائمة على الرجم بالغيب .

هناك كثيرون آخرون من المشتغلين بدراسة المستقبل لا يميلون إلى اعتبارها علماً تجريبياً اختيارياً مع معرفتهم بالحرص فيها على اعتماد المنطق الاختبارى . وذلك لأنها تتطلب فى نهاية المطاف « رؤية » يكون للفتنة والحدس دور فى بلورتها من خلال اعتماد « النظرة الشاملة » . ونلاحظ أن آلفين توفلر وهو من أشهر المشتغلين بالدراسة المستقبلية أثر أن يصفها فى رابع كتبه « خرائط المستقبل » ، بأنها « فن وليست شكلاً هندسياً » . وقال : وليأت العلم لمساعدة الفن وقد حسم المهدي المنجرة صاحب الباع الطويل

فى الدراسة المستقبلية فى إجابته عن التساؤل حول كونها علما بقوله : « ليست الدراسات الاستقبالية بعلم وإن استعانت منهاجياتها ببعض العلوم الدقيقة والاجتماعية » . وهذا هو الموقف الذى نطمئن إليه ، وهو ما دعانى إلى تجنب استخدام مصطلح علم المستقبل فى دراساتى المستقبلية ، آخذاً فى الاعتبار أن حد العلم عند علمائنا هو « الاستيقان والتبين » وأنا من حضارة تحكمها رؤية مؤمنة تؤمن بالغيب ، وأن الله سبحانه هو « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول .. » (٢٦،٧٢) وبعض المستقبل يقع فى دائرة الغيب .

سؤال ثان يبرز فى ضوء ما سبق يتعلق بالمصطلح الافضل للدلالة على هذا الاجتهاد العلمى : ما هو الاسم الذى نطلقه على الدراسات المستقبلية ؟

حين بدأت العناية بالاجتهاد العلمى لدراسة المستقبل تتنامى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، استخدم البعض للدلالة عليه مصطلحاً جديداً ، من الناطقين بالإنجليزية ، هو

futurology

واستخدم البعض من الناطقين بالفرنسية مصطلح Futurologie وترجم المصطلحان إلى اللسان العربى « بعلم المستقبل » أو « المستقبلية » . واختار (جاستون برجر) الفرنسى رائد دراسة المستقبل فى فرنسا مصطلح Prospective للدلالة على دراسة المستقبل . وهو من فعل Prospector أى نقب وفحص بتدقيق وانتظام وفاعلة Prospector أى منقب ومكتشف . وترجم البعض هذا المصطلح « بعلم الريادة » ثم آثر آخرون مصطلح « الاستشراف » . ولم يلبث أن استخدم البعض من الناطقين بالإنجليزية مصطلح Discipline of studing the Future وترجم بعلم دراسة المستقبل . واستخدم (آلفين توفلر) فى أول كتبه « صدمة المستقبل » الذى صدر عام ١٩٧٠ ، واعتبر الأول من نوعه ، مصطلح Futurism الذى « ترجم بالمستقبلية » .

لم تلبث أن تعددت المصطلحات المستخدمة للدلالة على دراسة المستقبل منذ السبعينيات ،

وقد عرضها « محمد بريش » في
دراسته « حاجتنا إلى علوم المستقبل »
(مجلة المسلم المعاصر العدد ٦١ - خريف
١٩٩١) . ونقل ما جاء في استطلاع مجلة
« الجمعية الدولية للمستقبل » بواشنطن
في فبراير ١٩٧٧ واسمها Futurist أي
« المستقبلي » . وأكثر هذه
المصطلحات شيوعاً Futue Researches
و Future Analysis و Future studies و
Futuristics و Futurology و Forecasting
و Prognostics أما في اللغة الفرنسية فهناك
مصطلحات ثلاثة هي : Prevision
Prospective Planification
ترددت في وطننا العربي في أوساط
المهتمين بدراسة المستقبل منذ السبعينيات
مجموعة مصطلحات للدلالة على هذا
« الاجتهاد العلمي » . فقد استخدم
قسطنطين زريق مصطلح « ريادة المستقبل » في
كتابه « نحن والمستقبل » الذي صدر عام
١٩٧٥ . واستخدم زكي نجيب محمود مصطلح
« علم حساب المستقبل » ومصطلح
« المستقبلية » في مقاله المستقبل المحسوب

المنشور في كتابه مجتمع جديد أو الكارثة .
وهناك من استخدم مصطلح « استكشاف
المستقبل » . وما لبث أن شاع مصطلح
« استشراف المستقبل » الذي استخدمه مشروع
استشراف مستقبل العالم العربي في مركز
دراسات الوحدة العربية . واستخدم المهدي
المنجرة « الدراسات المستقبلية » و «
المستقبلية » . وتردد في دراسة محمد بريش
مصطلح « علم المستقبل » و « علوم
المستقبل » مستخدماً كلمة « علم » بالمفرد
وبالجمع ، مع قوله « وما نستطيع الجزم به الآن
هو أن « علم المستقبل » ليس من العلوم
البحثية التي تعتمد تحليلاً يوصل إلى نتائج
نهائية » . ولقد كان المصطلح الذي أثرت
استخدامه في كتابي « عن المستقبل » هو
« دراسة المستقبل » للدلالة على الجهد
العلمي « والدراسات المستقبلية » للدلالة على
الدراسات التي يثمرها ، واستخدمت بعد تفكر
مصطلحات ثلاثة هي : « الاستشراف
« و « التشوف » و « الرؤية » للدلالة على
خطوات في عملية دراسة المستقبل ، ومصطلحاً
رابعاً هو : « الصنع » للدلالة على دور « إرادة

الفعل « فى رسم صورة المستقبل ، ومصطلحاً خامساً هو : « النظر المستقبلى » . وهكذا تحدثت عن استشراف المستقبل وتشوقه ورؤيته وصنعه والنظر فيه . وواضح أننى تجنببت فى كل هذه المصطلحات كلمة « علم » وأجد لزاماً على أن أشير بأننى لمست فى الحوارات التى دارت حول هذه النقطة فى محاضرات وندوات تناولت المستقبل ، ميلاً عند البعض لاستخدام مصطلح « علم » للدلالة على العلمية فى منهج دراسة المستقبل والتمييز بينها وبين التنبؤ رجماً بالغيب . الأمر الذى يجعلنى أتساءل اليوم عن أفضلية ترجيح مصطلح « علم دراسة المستقبل » لأن هذه الدراسة وإن لم تكن من العلوم البحتة فإنها تحرص على علمية المنهج . كما أشير إلى أن مصطلح « علوم المستقبل » الذى جاء فى دراسة محمد بريش ، استخدمه أحمد شوقى فى كتابه « العلم ثقافة المستقبل » للدلالة على ما سيكون عليه حال العلوم المختلفة فى الأيام القادمة .

سؤال ثالث يبرز حول تصنيف « علم دراسة المستقبل » بين العلوم ، ضمن أى من العلوم نُصنفه ؟ .

أكثر من إجابة يطرحها خبراء دراسة المستقبل عن هذا السؤال . فمنهم من يصنفه ضمن علم الاجتماع ، ومنهم من يعتبره فرعاً من علم الاجتماع التاريخى ، ومنهم من يراه امتداداً لعلم التاريخ . وقد أخذتُ بهذا الرأى الأخير حين قلت فى كتابى « ماذا بعد حرب رمضان .. فلسطين والوطن العربى فى عالم الغد » الذى صدر عام ١٩٧٤ « الدراسات المستقبلية هى امتداد للدراسات التاريخية ، فكلتاها رحلة عبر الزمان الذى ميز الله سبحانه وتعالى الإنسان عن غيره من مخلوقاته بإدراكه . وهى تتناول بالحديث المستقبل من خلال النظر فى الحاضر والماضى .. » وبقيت مطمئناً إلى القول بأن دراسة المستقبل هى امتداد لدراسة الماضى حين ألقى محاضرتى عن الدراسة التاريخية والمستقبلية أوائل عام ١٩٩٠ ضمن محاضرات المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، كما قلت فى كتابى « عن المستقبل » أجد نفسى اليوم راسخ الاقتناع بأن الدراسات المستقبلية هى

امتداد للدراسات التاريخية ، وهى من ثم تتطلب ما يتطلبه علم التاريخ من « نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومباديهها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق » ، فى باطنه على حد قول ابن خلدون ؛ ثم هى تتطلب فضلاً عن ذلك تشوقاً . وقد تحدث ابن خلدون فى مقدمته عن « تشوف الأمور المستقبلية » بعد أن وصف الإنسان بأنه صاحب الفكر والرؤية . والحق أن الدراسة المستقبلية لا يمكن أن تتم إلا بالدراسة التاريخية ، فركن التاريخ هو أحد أركان ثلاثة فيها يتكامل مع ركن الحاضر المقيم وركن التشوف المستقبلى .

تأصيل علم دراسة المستقبل :

إن هذا الحديث عن العلاقة بين علم دراسة المستقبل وعلم التاريخ واستحضار ما كتبه ابن خلدون فى مقدمته عن « التشوف » يدعونا إلى تأصيل هذا الاجتهاد العلمى . والنزوع للتأصيل عند الإنسان فطرى وقوى بالنسبة لكل الأمور ، وهو نابع من حقيقة أن الناس « لعرق الثرى ، وأنهم نطف فى ظلمات الأصلاب طويلة السرى ، وأن أعمارهم مبتدأة

من العهد القديم لآدم ، وقد أخذ ربك من ظهورهم ذرياتهم » ، على حد وصف الأصفهاني لهم فى « الفتح القدسى » وحاشا أن تكون الاستجابة لدعوة التأصيل من قبيل « السعى إلى نهج إسقاط التعابير المعاصرة على مفردات تراثنا اللغوى » ، أو « تحميل التاريخ ما لا يحتمل » لادعاء السبق ، كما يخشى البعض . وقد رأينا ايقلن توفلر يستحضر صورة عراف دلفى الإغريقى ليوضح أن دراسة المستقبل « بعيدة جداً عن وسيط الوحي فى دلفى » .

لقد حرص المشتغلون بدراسة المستقبل من أبناء الحضارة العربية الإسلامية على الرجوع إلى القرآن الكريم مستلهمين آياته مستوحين هديه ، فوقفوا أمام مطلع سورة الروم ، وقوله تعالى فى سورة الحشر « ولتنظر نفس ما قدمت لغد » ، والآيات التى تتحدث عن « الرؤية » وعن « السنن » ، وقصص الأولين وما فيها من ربط بين المستقبل والماضى ، وبخاصة قصة أولاد يعقوب فى سورة يوسف . كما حرص هؤلاء على استحضار سيرة رسول الله صلى

الله عليه وسلم وأحاديثه الشريفة ، وتمعنوا فيها ، فوجدوا من أقواله وبين فصول حياته شواهد كثيرة على ضرورة « النظر المستقبلي » وعلى « رؤية المستقبل » التي يوحى بها الوحي الإلهي للأنبياء والمرسلين . وكتاباتهم حافلة بما خرجوا به على هذا الصعيد . وقد ضمنت بعضه كتابي « عن المستقبل » .

والحق أن هذا الرجوع إلى القرآن والسنة هو استجابة لمطلب دراسة المستقبل برؤية مؤمنة التي تختلف عن دراسة المستقبل برؤية دهرية ملحدة كما أوضحت في « دراسة المستقبل برؤية مؤمنة » . وهو يثمر أفكاراً تغنى هذه الدراسة . وأسوق مثلاً صادفته وأنا أكتب هذه السطور ، حديث عبد العزيز كامل في كتابه « القرآن والتاريخ » . عن « صناعة التاريخ » التي قصد فيها ما نسميه « صناعة المستقبل » وهو يستهل هذا الحديث بقوله « أقصد بصناعة التاريخ تطبيقه ، وذلك بالاستفادة من أوامر الله ونواهيه وسننه التي دعا الناس إلى الاعتبار بها وصياغتها حياة جديدة » . وقد وقف أمام سنن القرآن في

التاريخ ، وقدم نموذجاً من صناعة التاريخ بلا معجزات في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهد بتصوير الإمام الشاطبي لهذه الصناعة ، ليصل إلى توضيح عامل الحركة ومسار التقدم مبيناً أن مسار التاريخ ينتظمه هدف كبير يوضحه القرآن « ولا مجال للنظرة المتشائمة التي تقول بانحدار التاريخ بعد عصر النبوة استناداً إلى حديث إن خيركم قرني .. » . حرص المشتغلون بدراسة المستقبل من أبناء حضارتنا أيضاً على العودة إلى تاريخنا الإنساني منذ أقدم العصور . وقد أبرز بعضهم رمز « زرقاء اليمامة » الذي صاغه المثل العربي « أبصر من زرقاء اليمامة » وأشار إليه المقرئ في مطلع قصيدته الشهيرة .

سبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا ملامة أعمى وأعشى ثم ذو بصرٍ وزرقاء اليمامة وذلك للتدليل على « النظر المستقبلي » وقوة « البصيرة » . كما حرص هؤلاء على النظر في تراثنا العلمي في مختلف حقول العلم والمعرفة بحثاً عن أحاديث في دراسة المستقبل باعتبارها امتداداً لعلم التاريخ الذي كان لأجدادنا فضل

خاص فى إقامته على أساس علمى . والحق أن هذا التراث حافل بأقوال تحث على النظر المستقبلى ، مثل قول ابن المقفع على لسان دمنة وهو يتحدث عن أمور ثلاثة « العاقل جدير بالنظر فيها والاحتياى لها بجهده .. ومنها النظر فى مستقبل ما يرجو .. » ، وقوله « أعجز الملوك آخذهم بالهويناء ، وأقلهم نظراً فى مستقبل الأمور » كما أن فى هذا التراث ما يدل على اشتغال بالنظر فى المستقبل على عدة صعد ؛ صعيد النبوة ، وصعيد التاريخ ، وصعيد علوم الدين ، وصعيد الإدراك الروحانى .

مثل بارز على هذا الاشتغال على صعيد النبوة كتاب ابن كثير « النهاية فى الفتن والملاحم » الذى تضمن « ذكر إخباره صلى الله عليه وسلم بالغيوب المستقبلية بعد زماننا هذا » . وتحدث عن « إشارات نبوية إلى الأحداث الماضية والمستقبلية حتى قيام الساعة » . وهدف الاشتغال بهذا النوع من دراسة المستقبل هو التعرف على رؤى النبى صلى الله عليه وسلم الذى يأتيه الوحي الإلهى « إن هو إلا وحي يوحى » .

تطرق شاكى مصطفى فى كتابه التاريخ العربى والمؤرخون إلى الحديث عن اشتغال بالنظر فى المستقبل على صعيد علم التاريخ الذى قال عنه « إن التاريخ علم عربى إسلامى ، أو يمكن اعتباره كذلك » موضحاً أن كافة الأمم تشترك فى النزعة التاريخية ، ومع ذلك فإننا نلاحظ « أنه ما من أمة فى الأرض قبل العصور الحديثة كتبت فى التاريخ .. مثل ما كان فى العهد العربى الإسلامى » . وقد ذكر شاكى مصطفى وهو يتتبع التدوين التاريخى فى حضارتنا ، كيف « دخل على التاريخ رافد تنجيمى لم يستطع التأثير الواضح فيه ، وبقي غريباً عنه لأنه ميدان التاريخ الماضى ، بينما ميدان التنجيم هو التنبؤ بالمستقبل . وكل ما أفاده التاريخ هو محاولة بعض المؤرخين تصحيح أو ضبط بعض الأحداث التاريخية عن طريق الأزياج والحسابات الفلكية » . وتحدث عن ميسى بن أثرى وهو يهودى عاش من أيام المنصور إلى أيام المأمون يصفه ابن النديم بأنه « كان أوحد

زمانه فى علم الأحكام » . وقد كتب كتاب
الدول والملل ، وكتاب السلطان ، وكتاب الواحد
والعشرين فى القراءات والأديان والملل .
وأوضح شاكر مصطفى أن علاقة التاريخ
بالنجوم والفلك نجمت عن امتداد المنجمين
أنفسهم على ميدان التاريخ . وقد جعل إخوان
الصفاء مما ينبغى على المنجم معرفته معرفة
التواريخ والبدايات والملل والدول وتبديل
الأشخاص على سير الملك . فالنظر فى
المستقبل حتى عند « المنجم » يقتضى توافر
ركن التاريخ لديه والإحاطة بالماضى . وهناك
روافد أخرى لعلم التاريخ عنيت بالنظر
المستقبلى نأت بنفسها عما يعتور التنجيم من
رجم بالغيب .

نستطيع أن نرى هذه الروافد فى علوم الدين
التي عرفت نظراً مستقبلياً ومحاولات فى
التنظير لأفاق الأيام . وقد أشار محمد برिश
فى بحثه « حاجتنا إلى علوم المستقبل » إلى
تجليات الاهتمام بالمستقبل فى العناية
بالمقاصد ، وفى الأخذ بالمصالح ، وفى صياغة
فن لم يسبق إليه ، اصطلاح مبتكروه على نعته

بـ « اعتبار المآل أو المآلات » . وأوضح أن
قاعدة هذا الفن هى « أن البت فى الحال
يقتضى الإحاطة بالمآل .. فلا يفتى المفتى إلا
وهو محيط بما ستؤول إليه فتواه ، ولا يؤخذ
القرار من أى سلطة كانت إلا وهى مدركة لما
سيترتب على قرارها مستقبلاً ومآلاً من
المستجدات والمحدثات ، حتى صار اعتبار المآل
شروطاً من شروط العمل بالفتوى والبت فى
قضايا الناس والقيام بمصالحهم » . وذكروا
هذا الحديث عن الحال والمآل بما قاله ألثين توفلر
فى كتابه « صدمة المستقبل » إن صورة
المستقبل تستطيع إمدادنا بنظرات قيمة عن
حاضرنا ، وبما يردده المشتغلون بدراسة المستقبل
« إن الذى يتشوف غده يكون أكثر إدراكاً أين
يقف اليوم » . ويلاحظ بعض هؤلاء المشتغلين
من أبناء الحضارة العربية الإسلامية أن علم
أصول الفقه الذى يتكامل مع علم المقاصد قادر
على إغناء البحث فى منهج دراسة المستقبل ،
بما فيه من تحليل وبرهان . ويشير محمد برिश
بخاصة إلى باب التعارض والترجيح من بين
أبواب أصول الفقه لكونه أشدها ارتباطاً .

بالدراسات المستقبلية ، ويصفه بأنه أخصب هذه الأبواب وأشدها مطالبة بتثبيت القواعد وإمعاناً في توضيح المقاصد . وأذكر أن إشارة تكررت في تعليقات أساتذة علوم الدين على حديثي عن دراسة المستقبل في « مركز الملك فيصل للبحوث » إلى « الأرائين من فقهاءنا الذين يطرحون فروضاً مستقبلية في تساؤلات يستهلونها بقول (رأيت) » .

يحتفل التراث الإنساني بعامة وتراث حضارتنا العربية الإسلامية بالنظر في المستقبل على صعيد الإدراك الروحاني . وقد قدم ابن خلدون في المقدمة رؤية علمية نقدية لهذا النوع من النظر . وذلك عند حديثه عن « العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه » . وقد استهل هذا الحديث بالوقوف أمام عالم الحس وعالم الفكر وعالم الأرواح والملائكة ، وفي تتبع حلقات عوالم المخلوقات من نبات وحيوان وإنسان وملاحظة التجاور بين آفاقها ، « الذات التي في آخر كل أفق من العوالم مستعدة لأن تنقلب إلى الذات التي تجاورها استعداداً طبيعياً ، النخل والكرم من

آخر أفق النبات مع الحزون والصدف من أفق الحيوان وكما في القرّة التي استجمع فيها الكيس والإدراك مع الإنسان صاحب الفكر والروية » ، وصولاً إلى القول « فوق العالم البشري عالم روحاني ، شهدت لنا به الآثار » . وقد عرض ابن خلدون لثلاثة أصناف من النفوس البشرية حسب تعاملها مع الإدراك الروحاني ، وذلك في حديثه عن المدركين للغيب من البشر وتفسير حقيقة النبوة والوحي والكهانة والرؤيا والإخبار بالمغيبات ، وخصص فصلاً في « إبطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها » ، وانتهى من حديثه عن أشخاص في النوع الإنساني يخبرون بالكائنات قبل وقوعها من عرافين وناظرين في أجسام شفافة وفي قلوب الحيوانات وأكبادها وغطائها وأهل الزجر في الطير والسباع وأهل الطرق بالخصي والحبوب .. وكذلك المجانين .. والنائم والميت لأول موته .. وأهل الرياضيات من المتصوفة ، إلى القول « وإدراك هؤلاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل » .

وقد ابن خلدون مزاعم بعض الناس أن هناك

مدارك للغيب من دون غيبة عن الحس مثل
المنجمين وضاربي الرمل . وتحدث أيضاً عن
طوائف يضعون قوانين لاستخراج الغيب ليست
من الطور الأول الذى هو مدارك النفس
الروحانية ، ولا من الحدس المبني على تأثيرات
النجوم كما زعمه بطليموس ، ولا من الظن
والتخمين الذى يحاول عليه العرافون ، « وإنما
هى مغالط يجعلونها كالمصائد لأهل العقول
المستضعفة » . كما تحدث عن « حساب
النيم » « وهذه كلها مدارك للغيب غير
مستندة إلى برهان ولا تحقيق » ، ومنها
« الزايرجة » المسماة زايرجة العالم « وهى
غريبة العمل .. وصورتها .. فيها دائرة غمطية
فى داخلها دوائر متوازية للأفلاك والعناصر
والمكونات الروحانية وغير ذلك من أصناف
الكائنات والعلوم » ، « والمعايية » التى
تعتمد على النسبة والتناسب . وانتهى ابن
خلدون فى رؤيته العلمية النقدية لهذا النوع من
النظر فى المستقبل إلى القول « وأما الكائنات
المستقبلية إذا لم تعلم أسباب وقوعها ، ولا يثبت
لها خبر صادق فهو غيب لا يمكن معرفته » .

وتكمن أهمية استحضار هذه الرؤية النقدية فى
حديثنا عن « علم دراسة المستقبل » بمفهومه
الحديث فى أنها تقدم ضوابط علمية تحمى هذه
الدراسة وترسم خطاً فاصلاً بينها وبين كل ما
هو غير علمي .

يبقى لنا فى حديثنا عن تأصيل هذا
الاجتهاد العلمى فى دراسة المستقبل أن نقف
أمام الاشتغال فى النظر المستقبلى فى دائرتنا
الحضارية خلال القرن العشرين الميلادى الموافق
الرابع عشر الهجرى ، وهو القرن الذى شهد
بدايات دراسة المستقبل فى دائرة الغرب
الحضارية على أساس علمي . وأول ما نلاحظه
هو تردد كلمة « مستقبل » فى مطلع القرن فى
أوساط حركة النهضة الحديثة وتيار الاستجابة
الفاعلة فيها ؛ وظهور محاولات جادة فى النظر
المستقبلى على أساس علمي قامت بها مدرسة
جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا
. ومن أمثلتها دراسة « المستقبل للإسلام »
التي نشرها محمد توفيق البكرى فى المنار عام
١٩٠٢/١٣٢٠ ، واستهلها بقوله « إن
مستقبل الأمم يتوقف فى الحقيقة على أمرين

طبيين هما كثرة السكان وخصب المكان » ،
وناقش هذين العاملين وأسباب انتشار الإسلام
فى فصلها الأول ثم أسباب الانحطاط ووسائل
الارتفاع فى فصلها الثانى والثالث ، وقد رد
عليه محمد فريد وجدى بدراسة « كيف يكون
المستقبل للمسلمين » فى العدد التالى من
المنار . ويمكن أن نأخذ فكرة عن الحوار الذى
دار حول « مستقبل الإسلام » فى مطلع هذا
القرن وشارك فيه آخرون من أعلامنا فيما كتبه
فهى جدعان فى كتابه « أسس التقدم عند
مفكرى الإسلام فى العالم العربى الحديث » .
ونلاحظ أيضا أن هذا الحوار تبادل التأثير مع
حوار كان يجرى فى دائرة الغرب الحضارية حول
هذا الموضوع ومستقبل عالمنا بعامة ، ضمن
ظاهرة التفاعل الحضارى بين الدائرتين . وقد
اتسم بالغنى بالأفكار وبالعلمية التى ميزته عن
محاولات نظر فى المستقبل ظهرت فى تلك
الفترة معتمدة على « الزايرة » التى نقدها
ابن خلدون ؛ ومثل طريف عليها ما قام به
محمود الفلكى العسكرى سنة خمس وعشرين
بعد ألف وثلثمائة هجرية وأسمها « المجلة

الكبرى فى زايرة العالم الأخرى » ونشرها
فى كتابه فى هذا الموضوع « المنتخب النفيس
من علم نبي الله إدريس » . كما نلاحظ أن
قفزة حدثت فى النظر المستقبلى على أساس
علمى فى وطننا العربى منذ الستينيات بفضل
جهود مفكرين رواد ذكرنا منهم قسطنطين زريق
وزكى نجيب محمود ممن أسهموا فى التعريف
بدراسة المستقبل على النمط العلمى الحديث ،
ومن ألفوا كتباً تضمنت رؤى مستقبلية . ونذكر
من هؤلاء مالك بن نبي الذى كتب « الأفريقية
الآسيوية » ، وجمال حمدان الذى حفل كتابه
استراتيجية الاستعمار والتحرير برؤى
مستقبلية ، تحدثت عنها فى مقال « جمال
حمدان ورؤاه المستقبلية » نشرته إثر رحيله عام
١٩٩٣ . كما نذكر المهدي المنجرة الذى أصدر
مؤخراً كتابه « الحرب الحضارية الأولى »
مضمناً إياه بعض دراساته المستقبلية
وحواراته ، وحسن صعب الذى شغل بمقاربة
الإثماء بنظرة مستقبلية ، من بين آخرين .
تبدو الحاجة ماسة فى ضوء هذا الحديث عن
تأصيل علم دراسة المستقبل إلى أمرين :

أولهما - بذل مزيد من الجهد فى البحث فى التراث فى مختلف مجالات العلوم عن الاشتغال بالنظر المستقبلى على أساس علمى ، آخذين فى الاعتبار ما قاله شاعر مصطفى فى كتابه التاريخ العربى والمؤرخون « إن علم التاريخ الإسلامى مثله كمثل كافة نواحي النشاط الفكرى فى التراث لم يبحث بعد : لا درس رجاله ولا أحصيت مؤلفاته ولا جرى مسح عام لميدانه ولا رسم فلكه الفكرى الأعظم ولا كشف عن مناهجه وطرقه وفلسفته فى بحث جاد كامل . والأمر الآخر إيلاء عناية خاصة لكتابة تاريخ وافٍ لدراسة المستقبل فى وطننا على أساس علمى فى القرن العشرين ، تنظيراً وتطبيقاً ، ليكون الانطلاق منه إلى العمل لازدهار « علم دراسة المستقبل » .

البحث فى مناهج دراسة المستقبل :

إن ازدهار علم دراسة المستقبل يقتضى بذل مزيد من الجهود فى البحث فى مناهجه وصولاً إلى بلورة المنهج العلمى الأمثل فى مقارنته . وقد عرضت فى كتابى عن دراسة المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة المناهج التى يجرى اتباعها

ورأى فى مقارنته برؤية مؤمنة . ولا أجد لدى الآن ما أضيفه بشأن هذه النقطة .

تحديد مصطلحات دراسة المستقبل :

كذلك فإن ازدهار علم دراسة المستقبل يتطلب الاتفاق على المصطلحات التى نستخدمها فيه وتحديد ما بوضوح ودقة . وإذا كان المشتغلون فى النظر المستقبلى قديماً استخدموا مصطلحات التنبؤ والإخبار بالغيب وكشف الطالع والتنجيم والتكهن والرؤيا (بالآلف الممدودة) وغيرها ، فإن المشتغلين فيه على أساس علمى اليوم فى الغرب يستخدمون مصطلحات أخرى جديدة مثل التوقع والتخمين والتقدير والإسقاط والتخطيط والتصميم والاستكشاف والتبصر والترقب والتطلع والتحسب والاحتراس والاستهداف والنماذج والمستقبلية والمستقبلات (بالجمع) ، فضلاً عن استخدامهم بعض المصطلحات القديمة مثل التنبؤ والتكهن .

لقد حرص المشتغلون بدراسة المستقبل فى وطننا العربى على النظر فى هذه المصطلحات الجديدة ، وانتقاء الكلمات العربية التى تعبر

بدقة عن معانيها حين قاموا بترجمتها . ونجد مثلاً على ذلك فى كتاب « صور المستقبل العربى » لإسماعيل صبرى عبد الله وإبراهيم سعد الدين وعلى نصار ومحمود عبد الفضيل السنّى نشره مركز دراسات الوحدة العربية . فمصطلح

Long Term Planning هو التخطيط طويل المدى ، ومصطلح Prophecies تنبؤات ومصطلح Projection إسقاط ، ومصطلح Fore casting تنبؤ ، ومصطلح Intuitive حدسى ، ومصطلح Exploratory استكشافى ومصطلح Normative استهدافى ، ومصطلح Models نماذج . وتتعدد أحياناً الاجتهادات فى ترجمة هذه المصطلحات . ومثل على ذلك ترجمة مصطلح Anticipation بالفرنسية إلى تقديم أو تبين أو سبق أو توقع ويقترح واحد منها كلمة « ابتسار » التى يراها محمد بربش الأفضل للدلالة على المصطلح الفرنسى بالعربية وهى من « البسر » الاستعجال بالشئ قبل أوانه . وقد قام بالعودة إلى معانيه الأخرى فى لسان العرب ، ومنها بَسَرَ

النخلة أى لَفَحَهَا قبل الأوان ، وأوضح أن مما يزيد تمسكه بها « أن علوم المستقبل تريد نوراً فى ظلمات الزمن القادم ، وتبحث عن ضمانات ارتواء فى أودية الغد وسبله » ، ويسر النهر عند ابن منظور إذا حفر فيه بئراً وهو جاف . وتتجه الأنظار إلى مجمع اللغة العربية ومجامعنا بعامة لمناقشة هذه الاجتهادات فى تعريب مصطلحات دراسة المستقبل الأجنبية أو ترجمتها ، واعتماد ما تراه الأنسب منها .

نجد أيضاً أن بعض المشتغلين بدراسة المستقبل من العرب عمدوا إلى استخدام مصطلحات « عربية » فى دراساتهم المستقبلية للدلالة على خطواتها وعناصرها وغير ذلك من أمور تدخل فى عملية الدراسة ، وحددوا مفاهيم هذه المصطلحات بدقة ووضوح . ومن أمثلة ذلك مصطلح « الرؤية » الذى تكتمل به عملية الدراسة ، وقد طرحته فى دراساته وشرحته فى كتابى « رؤى مستقبلية عربية » فى ضوء ما جاء فى المعاجم وما قاله الراغب الأصبهاني فى تفسير غريب القرآن بخاصة ، منتهياً إلى أن الرؤية هى « إدراك بحاسة

وتخيل وتفكر وعقل « وهذه جميعها تدخل في الدراسة المستقبلية . كما استخدمت مصطلح « الاستشراف » للدلالة على الخطوة الأولى في عملية الدراسة التي تبدأ بالنظر في الواقع القائم بنظرة شمولية . وهو من الشرف الذي هو المحسب بالآباء والعلو ، ويتضمن « التطلع والنظر وحديث النفس والتوقع » . واستخدم آخرون هذا المصطلح للدلالة على « دراسة المستقبل » بمجموعها ، كما فعل مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي . واجتهدت في طرح مصطلح « التشوف » للدلالة على الخطوة الثانية في عملية الدراسة التي تقرر النظر في الواقع القائم بتتبع مجرى حركة التاريخ في الماضي وتنتهي بالتهيؤ لإدخال عنصرى الحلم وإرادة الفعل . والتشوف هو الاستجلاء من خلال التطلع والنظر الشامل وفيه معنى الارتفاع بغية الإحاطة بالنظر . وقد استخدمه ابن خلدون حين تحدث عن « تشوف الأمور المستقبلية » . واستخدمت مصطلح « الرؤية المؤمنة » في دراسة المستقبل للدلالة على الرؤية التي تنطلق من الإيمان بالله سبحانه

فسيحكم هذا الإيمان منهج النظر والبحث والدراسة ، يأخذ مكانه قبل المنهج بما يعنيه من تصديق لما جاء به الوحي . والرؤية تكون مؤمنة على صعيد الاعتقاد مصدقة تبطن من التصديق ما تظهر .

يحرص هؤلاء الذين يقاربون المستقبل برؤية مؤمنة على تجنب أى مصطلح قد يوحي بالرجم بالغيب أو بإنكار الغيب أو بالمعرفة القطعية للغيب ، فيتجنبون مثلاً مصطلح « التنبؤ » ويفضلون « النظر والرؤية » كما نجدهم حريصين على الإحاطة بمصطلحات علم التاريخ التي استخدمها أجدادنا والإفادة منها . ويجتهدون في تحديد مفاهيمها الحديثة في ضوء ما جاء في كتب التعريفات والمصطلحات التي ظهرت في دائرتنا الحضارية .

يلاحظ المشتغل بدراسة المستقبل مدى حاجته إلى وفرة المصطلحات ، ليُعبر بها عن « الاستشراف والتشوف والرؤية والصنع » بما يكفل التوضيح الدقيق للمعنى الذي يقصده . وهو واجد في اللسان العربى بغيته بما يحفل به من غنى مفرداته وبما أسماه « محمد

عنبر « جدلية الحرف العربى فى كتابه الذى يحمل هذا الاسم . وعليه أن يحدد مفهوم المصطلح الذى يستخدمه بدقة ، ويميز بينه وبين مصطلح آخر يبدو مرادفاً له . فما هو مثلاً مفهومه « للزمان » ومتى يستخدم « الوقت » و « الحين » و « العصر » و « الدهر » ؟ أو « السنة » أو « العام » ؟ أو « النظر » أو « البصر » أو « البصيرة » أو « الرؤية » أو « الرؤيا » ؟ وإذا كان علم دراسة المستقبل علم نظرى ؛ ومبدأ كل علم نظرى وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار التى توجب التصورات ، التى تدعو إلى الدراسات ، التى تقتضى وقوع الفعل ، وتعطى العادة بكثرة التكرار ؛ كما أورد ابن قيم الجوزية فى « الفوائد » ، فما هو التحديد

الدقيق لمفاهيم الخاطرة والفكرة والتصوير والإرادة والفعل ؟

واضح أن الاشتغال بعلم دراسة المستقبل فى وطننا العربى سوف يولد حركة نشطة فى طرح المصطلحات التى يتطلبها هذا العلم . ومرة أخرى تتجه الأنظار إلى مجامعنا العربية لوضع كشف بهذه المصطلحات .

وبعد . . .

فالحديث ذو شجون عن « علم دراسة المستقبل » الذى هو امتداد لعلم التاريخ . وإن لنا أن نعمل لازدهاره فى وطننا العربى كما عمل أجدادنا لازدهار علم التاريخ ، متطلعين إلى إسهام كبير فيه على الصعيد العالمى .

أحمد صدقى الدجاني

عضو المجمع

المراسل من فلسطين

مقامات الحريرى وإعجاز القرآن فى حوار مسيحى إسلامى فى الأندلس ★

للأستاذ الدكتور محمود على مكى

فكره (١) . فنحن نرى من بين المستعربين من

كانوا يجيدون العربية نظماً ونثراً ، والشواهد

على ذلك أكثر من أن نعددها ، وتكفيها شهادة

ألبارو القرطبى Alvaro de Cordoba فى

سنة ٢٤٠ (٨٥٤) ، وهى التى ينعى فيها

على إخوانه فى الدين أنهم « نسوا حتى لغتهم

اللاتينية ، فلا تكاد تجد بين الألف منهم واحداً

يستطيع أن يكتب إلى صاحب له كتاباً سليماً

من الخطأ . فأما عن الكتابة فى لغة العرب

فإنك واجد فيهم عدداً عظيماً يجيدون فنون

بلاغتها وينظمون من الشعر العربى ما قد يفوق

شعر العرب أنفسهم » (٢) ويصدق هذه

الشهادة اتخاذ الأمير محمد بن عبد الرحمن

كاتباً نصرانياً هو قومس بن أنتنيان (٣) وهو

الذى يصفه ابن حيان القرطبى بأنه « كان قرين

كل من ينتحل البلاغة فى عصره » (٤)

إذا كانت إسبانيا خلال العصور الوسطى

ميداناً لصراع طويل عسكرى وسياسى بين

المسلمين والمسيحيين فإنها لم تخلُ فى الوقت

نفسه من حقب طويلة تحقق خلالها تعايش بين

الملتين تمثل أولاً فى « المستعربين Los

mozaabes » المسيحيين الذين عاشوا فى ظل

الدولة الإسلامية إبان قوة هذه الدولة ، ثم فى

« المدجنين Los mudéjares » المسلمين الذين

درجت حياتهم تحت سيادة المسيحية ، وذلك

منذ تغير ميزان القوى فى الجزيرة ، فأصبحت

للمسيحيين الكفة الراجحة .

وكثيراً ما اتخذ الصراع بين المسلمين

والمسيحيين صيغاً من الحوارين علماء الجانبين

وهو حوار استعان كل فريق فيه بكل الأسلحة

الفكرية الممكنة وأولها معرفة لغة الآخر

والتعمق فى دراسة عقيدته وتعرف مقومات

(*) ألقى البحث فى الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر المنعقدة يوم الأحد ٢٩ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ١٠ من

أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ م .

أما معرفة المسلمين بلغة مساكنيهم من
المسيحيين فهي بدورها حقيقة لا تحتاج إلى أن
نأتى عليها بشواهد ، غير أن الذى يهمنا فى
هذا المقام ليس مجرد معرفة لغة الكلام أو
التعامل اليومى ، وإنما تلك المعرفة التى تسمح
لكل فريق بالتعمق فى الاطلاع على عقيدة
الآخر وإقامة حوار معه يتسم بقدر من
الموضوعية وإن كان يتفاوت فى الحدة وعلو
الصوت .

وقد كان من أول من كتبوا فى الدفاع عن
المسيحية ومناقشة العقيدة الإسلامية القس
إسبراينديو Spera - in - Deo فى كتاب اتخذ
له عنواناً يكشف عن طابعه الجدلى هو
Apologetico (أى دفاع عن المسيحية) .
ولم يبق من هذا الكتاب المؤلف
باللاتينية إلا مقتطفات احتفظ بها بعض
تلاميذ ذلك القس وأهمهم القديس إيولوجيو
San Eulogio وألبارو Alvaro القرطبيان (٥)
وقد كتب كلاهما أيضاً فى مهاجمة الإسلام
كتابات كان من الطبيعى فى مثل هذا الوقت

المبكر ألا تتسم بالموضوعية ، وإنما كانت
لاستشارة المسيحيين ودفعهم إلى تحدى السلطة
الإسلامية مما نتج عنه ما عرف بحركة
الاستشهاد التى اندلعت فى منتصف القرن
التاسع الميلادى ففى أواخر أيام الأمير
عبد الرحمن بن الحكم الأوسط وأوائل عهد ابنه
محمد (ما بين سنتى ٢٣٦ و ٢٤٥ / ٨٥٠ -
٨٥٩) . وقد عالجت سلطات الدولة هذه
الثورة بقدر كبير من الحكمة وضبط النفس ،
فلم تلبث أن انحسرت بعد سنوات قليلة . أما
ذلك « الحوار » الذى تضمنته كتابات رجال
الدين المسيحيين الذين أشرنا إليهم فإنها كانت
تدل على معرفة ضئيلة بتعاليم الإسلام ومبادئه
على الرغم من معاشتهم للمسلمين واتصالهم
الوثيق بلغتهم وثقافتهم (٦) .

والواقع أننا لا نجد فى هذه الكتابات
« حواراً » بمعنى الكلمة ، فهى لا تخرج عن
كونها ضرباً من السباب والتجريح الذى
لا يستند إلى أى حجج عقلية . وعلى كل حال
فقد خمدت هذه الثورة من الاستفزازات

والتحديات وأعقبها فترة طويلة من التعايش السلمي بين المسلمين وجيرانهم من أهل الذمة استمرت حتى نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) .

وخلال القرن التالي (الخامس / الحادي عشر) وفي ظل الجو العلمي السائد في عصر ملوك الطوائف المتسم بالحرية الدينية والفكرية نجد عودة إلى حوار أقرب إلى الموضوعية بين المفكرين المسلمين ونظرائهم من المسيحيين واليهود . فابن حزم القرطبي (المتوفى سنة ٤٥٦ / ١٠٦٣) يناقش العقيدتين المسيحية واليهودية في كتابه « الفصل » (٧) . وفي هذا الحوار الذي لا يخلو من حدة اتسم بها جدل ابن حزم دائما يبدو التقدم الهائل الذي أحرزته الثقافة الأندلسية خلال القرن الأخير ، إذ هو يكشف عن معرفة عميقة بدقائق العقيدتين المسيحية واليهودية واطلاع واسع على كتبهما المقدسة . ومن ناحية أخرى نجد مثل هذه المعرفة لدى يوسف بن إسماعيل (صمويل) ابن النغريلة قريع

ابن حزم في جدله ، وكان يوسف هذا كاتباً لبلقين بن باديس بن حبوس ولي عهد أبيه ملك غرناطة ، وكان بشهادة ابن بسام « قد نظر في الكتب وشدا شيئاً من علم العرب » (٨) ونُقِل عنه ادعاؤه القدرة على نظم القرآن شعراً وموشحات (٩) ومع ما في هذا الادعاء من تبجح وتهويل فإنه يدل على أنه كان يتسلح بثقافة عربية متينة .

وإلى هذا العصر نفسه يرجع حوار آخر إسلامي مسيحي يتمثل في الرسالة التي وجهها راهب إفرنسة إلى ملك سرقسطة على عهد الطوائف المقتدر بن هود يدعوه إلى اعتناق المسيحية ، والرد على هذه الرسالة بقلم الفقيه الأندلسي الذي اشتهرت مناظرته لابن حزم ، وهو أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (المتوفى سنة ٤٧٤ / ١٠٨١) (١٠) . وبالإضافة إلى ما يكشف عنه رد الباجي من عميق المعرفة بالعقيدة المسيحية فإننا نلاحظ أيضاً كيف أصبح أسلوب رسالة الراهب الفرنسي وجواب الباجي يميل كلاهما إلى الهدوء والاعتدال .

ويظهر أن الحوار الإسلامى المسيحى تزايد فى الأندلس منذ استيلاء ملك قشتالة ألفونسو السادس على طليطلة فى سنة ٤٧٨ (١٠٨٥) فقد كان معظم ساكنى العاصمة القوطية القديمة من المسلمين ، وكان الملك القشتالى يتباهى بأنه « ملك الملتين » ، وقد بدأت منذ فتح المدينة وتحويل مساجدها إلى كنائس محاولات رجال الدين المسيحيين لحمل مسلمى المدينة على اعتناق المسيحية . ونتصور أنه كان من بين هؤلاء من يجيدون العربية ، فقد كانت هذه اللغة راسخة الجذور بين المستعربين النصارى فضلا عن سكانها من المسلمين ، كما لا نستبعد أن هؤلاء المستعربين بحكم تعايشهم مع شعب طليطلة المسلم قد عرفوا الكثير عن الإسلام وتعاليمه .

فخلال القرن السادس (الثانى عشر) نرى كيف وجّه أساقفة طليطلة كتاباً إلى أحد علماء المسلمين وفقهائهم فى نقد الإسلام وبيان فضل المسيحية . وقد قام بتحرير هذا الكتاب أحد المستعربين الذين يعرفون العربية معرفة

متوسطة هو عبد الرحمن بن غصن . أما الفقيه الذى انتدب للرد على هذا الكتاب فهو أبو مروان عبد الملك بن مسرة بن عزير اليحصبي القرطبي ، وكان تلميذاً ذا حظوة لدى الفقيه قاضى الجماعة بقرطبة أبى الوليد محمد ابن أحمد بن رشد (الجد) ، وهو ممن جمعوا بين الفقه والحديث وسعة الاطلاع على الأديان والتحل ، وكانت وفاته فى رمضان سنة ٥٥٢ (سبتمبر ١١٥٧) (١١) . وعنوان رسالة ابن مسرة هو « ميزان الصدق ، المفرق بين أهل الباطل والحق » ، وكانت من مرويات تلميذه أبى بكر محمد بن خير الإشبيلي (١٢) وقد اطلع عليها ابن الأبار القضاعى البلسى ونقل تقریظاً شعرياً لها نظمه تلميذ آخر لابن مسرة هو مفرج بن محمد بن عصام الفهرى اللشبونى يبدأ بقوله :

عقيدة إيمانٍ حَدَّثَهَا كرامةٌ

تَجَلَّى ظلامُ الشُّركِ منها بكَوكِبٍ (١٣)

ولم تصل إلينا رسالة أساقفة طليطلة التى

وجهوها إلى قرطبة ، غير أن فقرات منها نقلت
فى كتاب « الإعلام بما فى دين النصارى من
الفساد والأوهام » المنسوب لفقيه شرقى يدعى
« القرطبى » دلالة على أصله الأندلسى . وقد
وصف لنا صاحب هذا الكتاب تلك الرسالة
فقال إنها كتبت فى بطاقة صغيرة عدد
أسطارها نحو ثلاثين ، وهو يسجل فى هذه
الأسطر القليلة تسعة وعشرين موضعاً فيه
لحن وتصحيف ، كما ينقل لنا فقرات من رد
ابن مسرة (١٤) .

ومن الواضح أن طليطلة أصبحت مركزاً
لنشاط تبشيري كبير كان يهدف إلى تنصير
المسلمين عن طريق الحوار ، وهو ما دفع
بالعلماء الأندلسيين إلى اتخاذ مواقف دفاعية
وهجومية فى الوقت نفسه . ولم تكن رسالة
ابن مسرة هى الوحيدة التى كتبها فقيه أندلسى
دفاعاً عن الإسلام ، وإنما شاركه فى ذلك عالم
آخر معاصر له هو أبو جعفر أحمد بن عبد
الصمد ابن أبى عبيدة الخزرجى القرطبى
الذى عاش بين سنتى ٥١٩ و ٥٨٢ (١١٢٥

- ١١٨٧) وكان قد أسر سنة ٥٤٠
(١١٤٥ - ١١٤٦) وحمل إلى طليطلة حيث
ظل سنتين فى الأسر ، وهناك ألف كتابه
« مقامع الصليان ، وروائع رياض الإيمان » يرد
به على بعض من اتصل بينه وبينهم الحوار من
قسيسى العاصمة القشتالية . ثم تخلص من
الأسر ، ورحل إلى المغرب ، فلزم تدريس الفقه
والحديث فى جامع القرويين بفاس حتى وفاته .
وقد ألف ابن أبى عبيدة هذا كتباً أخرى فى
ميدان الجدل مع المسيحيين كما يبدو من
عناوينها ، ومنها كتاب « مقام المدرك ، فى
إفحام المشرك » وإذا كانت رسالة ابن مسرة
التي أشرنا إليها من قبل قد ضاعت فإن هذا
الكتاب قد نجا من عدوان الزمن ، إذ احتفظت
خزائن الكتب فى تونس وإستامبول بعدة نسخ
مخطوطة منه . وكان المستشرق الأسباني
فرناندو دى لاجرانخا أول من استفاد منه ونشر
منه نصوصاً تدل على أهميته فى دراسته
القيمة حول « بعض الكرامات المسيحية
الإسبانية فى كتاب جدلى إسلامى » (١٦) .

وقد أشار فرناندو دى لاجرانخا فى ملاحظة ذكية تضمنتها دراسته السابقة إلى أن تأليف ابن أبى عبيدة الخزرجى لكتابه يأتى فى مرحلة بالغة الأهمية من مراحل العلاقات بين المسيحية والإسلام ، فقبل ذلك بسنتين (١١٤٣/٥٣٨) كان روبرت كيتون قد فرغ من أول ترجمة لاتينية كاملة للقرآن الكريم قام بها بتكليف من (بيتر الجليل) (١٧) وقد كان منتصف القرن الثانى عشر الميلادى هو العصر الذى ازدهرت بطليلة فيه حركة بالغة النشاط لترجمة العلوم العربية وغيرها من كتب التراث الإسلامى المشرقى والأندلسى إلى اللاتينية (١٨) .

ولم يحل الصراع السياسى والعسكرى الدائرين الجانبين من انتقال العلماء بين المدن الإسلامية والمسيحية بهدف مزيد من التعارف وتبادل الآراء وعقد المناظرات . ولعل من أجلى الأمثلة على ذلك ما نجده فى ترجمة عالم غرناطى هو عبد الله بن سهل الضرير المنبوز بـ « الوجه نافخ » الذى يذكر عنه أنه كان من

المشتغلين بالعلوم الدينية واللغوية ، فقد كان متبحراً فى القراءات القرآنية والحديث النبوى والنحو ، وأضاف إلى ذلك معرفة عميقة بالطب والرياضيات ، يقول عنه ابن الخطيب : « ثم شهر بعلم المنطق والعلوم الرياضية وسائر العلوم القديمة ، وعظم بسببها وامتد صيته من أجلها ، وأجمع المسلمون واليهود والنصارى أنه ليس فى زمانه مثله ولا فى كثير ممن تقدمه ، وبين هذه الملل الثلاث من التحاسد ما عُرف . وكانت النصارى تقصده من طليطة تتعلم منه أيام كان يبياسة (Baeza) ، وله مع قسيسيهم مجالس فى التناظر حاز فيها قصب السبق » . وكانت وفاة هذا العالم الموسوعى بمرسية فى سنة ٥٧٦ (١١٨٠ - ١١٨١) (١٩) .

ومع اشتداد الزحف المسيحى على مابقى بأيدي المسلمين من أرض الأندلس بعد موقعة العقاب فى سنة ٦٠٩ (١٢١٢) وسقوط الحواضر الإسلامية الكبرى فى أيدي ملوك قشتالة وأرغون خلال النصف الأول من القرن

السابع (الثالث عشر الميلادى) تزداد حركة الحوار بين الديانتين ، فقد كانت سلطات الكنيسة حريصة على بذل كل جهد ممكن لتنصير الشعب المسلم الذى أصبح يطلق عليه اسم « المدجنين » (mudéjares) ، على حين كان المسلمون متشبثين بعقيدتهم ، وكان فقهاؤهم وعلماءهم يواصلون عملهم فى التصدى لمحاولات التنصير بالسنتهم وأقلامهم .

وقد رأينا فى ترجمة عبد الله بن سهل الغرناطى الذى كان قساوسة طليطلة يتوجهون لمناظرته أنه عاش السنوات الأخيرة من عمره فى مدينة مُرْسِيَّة Murcia ، ولعل هذا كان مؤشرا مبكرا يبشر بالدور الكبير الذى قدر لهذه المدينة أن تضطلع به فى مجال تبادل الأفكار بين المسلمين والمسيحيين خلال النصف الثانى من القرن الثالث عشر ، وذلك مايدعونا إلى تأمل الظروف التاريخية التى عاشتها هذه الحاضرة الأندلسية ، إحدى أهم حلقات التواصل بين الملل والثقافات .

من المعروف أن الاجتياح المسيحى الكبير الذى انتهى إلى الاستيلاء على حواضر الأندلس الكبرى قد تم بقيادة ملكين متعاصرين : جاقمة أو خايمى الأول ملك أرغون الملقب بالقاتح Jaime I , el Conquistador وهو الذى استولى على منطقة شرق الأندلس : بلنسية وشاطبة ودانية والجزائر الشرقية (جزر البليار) ، وفرذلند أو فرناندو الثالث الملقب بالقدیس Fernando III , el Santo وهو مفتتح المنطقة الوسطى والغربية : جيان وقرطبة وإشبيلية ومايصاقبها غربا . وبقيت ما بين المنطقتين مدينة مرسية وإقليمها فى وضع قلق فهى لم تفتح عنوة من قبل جيوش قشتالة ولا أرغون ، ولكن أهلها كانوا يعرفون أنه لا قبيل لهم بمواجهة المد المسيحى ، ولهذا فإنهم بعد تعاقب عدد من الزعماء المتنافسين على حكمها اضطروا إلى عقد صلح مع ملك قشتالة فرناندو الثالث اعترفوا فيه بتبعية لهم له مع دفع مال اتفقوا على تسليمه له على أن يدبروا هم أمور مدينتهم . وهذا هو ما نص عليه المؤرخ

ابن عذارى المراكشى ، إذ يقول فى أخبار
سنة ٦٤٣ (١٢٤٥) : « أما أهل شرق
الأندلس (وهو يعنى مرسية وأعمالها)
فسالموا النصارى بمال معلوم ، وبعضهم تدجّثوا
وأسكنوا معهم الروم » (٢٠) . وهذا يدل على
أنهم تمتعوا بوضع متميز إلى حد ما ، فقد
احتفظوا بلون من الاستقلال أو الحكم الذاتى لم
يستمر إلا قرابة عشرين سنة . فابن عذارى
يذكر فى أخبار سنة ٦٦٢ (١٢٦٤) أن أهل
مرسية الذين ضاقوا بمن حل بأرضهم من
المسيحيين بعثوا ببيعتهم إلى محمد الفقيه بن
محمد بن يوسف النصرى ملك غرناطة
مستنجدين به ، فأرسل إليهم صهره الرئيس أبا
محمد ابن أشقيلولة والياً على المدينة ، ولكن
النصارى زحفوا إليه وضربوا عليه الحصار ،
فلما عجز عن المقاومة خرج هارباً هو ورجاله .
وحينما طال الحصار على مرسية اضطر
أهلها إلى التسليم بعد سنتين فى ٦٦٤
(١٢٦٦) (٢١) .

وكان الصلح الذى انعقد بين أهل مرسية

وفرناندو الثالث ملك قشتالة فى سنة ٦٤٣
(١٢٤٥) قد تم إبرامه على يد ابن هذا الملك
وولى عهده أذفونش (ألفونسو) الذى ولى
الحكم بعد أبيه فى ربيع الأول سنة ٦٥٠ (آخر
مايو ١٢٥٢) واستمر حكمه لقشتالة حتى أول
سنة ٦٨٣ (أبريل ١٢٨٤) ، وقد عرف هذا
الملك بلقب ألفونسو (العاشر) « الحكيم »
Alfonso x , el Sabio ، وذلك بسبب عنايته
الفائقة بالثقافة ورعايته للعلماء من كل جنس
ودين (٢٢) وكان ألفونسو قد نشأ فى بيئة
متشعبة بالثقافة العربية ، فعمل منذ أن كان
ولياً لعهد أبيه على إحياء مدرسة المترجمين
بطليلة ، وحينما عهد له أبوه بإخضاع مرسية
التي كانت من أزهر الحواضر الثقافية فى
الأندلس أنشأ هناك معهداً يضم علماء من الملل
الثلاث : مسلمين ومسيحيين ويهوداً ، وقام
هذا المعهد بترجمة عدد كبير من الكتب العربية
فى مختلف فروع العلوم ، وعهد بإدارة هذا
المعهد لعالم مسلم هو أبو بكر محمد بن
أحمد المرسى المعروف بالرقوطى (نسبة إلى

بلدة رقوط Ricote من أعمال مرسية) . وهو الذى يقول ابن الخطيب فى ترجمته : « كان طرفاً فى المعرفة بالفنون القديمة : المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب ، فيلسوفاً ماهراً ، آية فى المعرفة بالألسن ، يقرىء الأمم بالسنتها فنونهم التى يرغبون فى تعلمها ... عرف طاغية الروم (يعنى ألفونسو الحكيم) حقه لما تغلب على مرسية ، فبنى له مدرسة يقرىء فيها المسلمين والنصارى واليهود . ولم يزل معظماً عنده » . ويبدو أنه مل خدمة الملك المسيحى ، إذ استجاب أخيراً للدعوة التى وجهها إليه ثانى ملوك بنى الأحمر فى غرناطة محمد بن محمد بن يوسف الملقب « بالفقيه » (حكم بين سنتى ٦٧١ و ٧٠١ / ١٢٧٢ - ١٣٠٢) فرحل إلى غرناطة وأسكنه قصرآ آل ملكه بعد ذلك إلى الوزير لسان الدين بن الخطيب ، فاتخذ منه مدرسة كان الطلبة يغشونها فيتعلمون عليه الطب وسائر العلوم (٢٣) ولم يؤثر عن هذا العالم القذ أنه اشترك فى الجدل الدينى ، غير أن ابن

الخطيب يروى عنه نادرة تكشف عن روح الفكاهة عنده ، وذلك فى حديث دار بينه وبين الملك المسيحى الذى كان معجباً به أشد الإعجاب ، فقد عرض عليه أن يعتنق المسيحية ووعدته لقاء ذلك بأن يحظيه ويغدق عليه عطاياه فكان جوابه « أنا الآن أعبد واحداً وقد عجزت عما يجب له ، فكيف حالى لو كنت أعبد ثلاثة ؟ ! » (٢٤) .

ويبدو أن مرسية قد تأثلت شهرتها بصفاتها بيئة علمية ذات طابع عالمى بحكم جمعها بين الثقافات والديانات على اختلافها ، وهذا هو ما حمل فريديريك الثانى النورماندى ملك صقلية (حكم بين سنتى ٥٩٠ و ٦٤٨ / ١١٩٤ - ١٢٥٠) على أن يبعث إليها بعدة أسئلة كلامية وفلسفية مما يختلف فيه الإسلام والمسيحية ، وهذه هى التى تعرف بـ « المسائل الصقلية » . فانتدب للإجابة على هذه المسائل ذباً عن شريعة الإسلام عالم مرسى ولد أيضاً فى رقوط ، هو عبد الحق بن إبراهيم المعروف بابن سبعين (٦١٤ - ٦٦٩ / ١٢١٧ -

(١٢٧١) (٢٥) . وكان ابن سبعين قد تلقى ثقافته الأولى فى بلده مرسية ، وهى ثقافة يبدو من كتاباته ، وبخاصة من إجاباته على « المسائل الصقلية » التى كتبها وهو فى مطلع شبابه ، أنها كانت واسعة ، تضم إلى العلوم الإسلامية معرفة عميقة بالمسيحية واليهودية وآراء طوائفهما المختلفة ، كما تكشف عن معرفة راسخة بالفلسفة والرياضيات والفلك والطب وعلوم الطبائع (٢٦) .

ويذكر ابن الأبار فى ترجمته لمحمد بن على ابن أحلى اللورقى (المتوفى سنة ١٢٤٧/٦٤٥) وكان متأمراً بلورقة Lorca أنه كان عالماً يجتمع إليه فى علم الكلام ويؤخذ عنه ، وله تأليف فيه . وحينما أمكن أهل مرسية منها الروم أبدى ابن أحلى مخالفتهم لهم « وجعل يجادلهم (يعنى المسيحيين) بلسانه ، ويجالدهم بسنانه » (٢٧) . كذلك يذكر ابن الخطيب فى ترجمة محمد بن محمد بن لب الكنانى الملقب المعروف بابن لب (وكان يعيش فى القرن السابع الهجرى) أنه كان

معتنيا بالعلوم القديمة من الرياضيات والطبيعات والإلهيات مطلعاً بمذاهب القدماء ، « وكان له أرب فى التطواف وخصوصاً بأرض النصارى ، يتكلم مع الأساقفة فى الدين ، فيظهر عليهم » (٢٨) .

ونستشف من كثير من تراجم العلماء خلال منتصف القرن السابع الهجرى أن هذه المناظرات بين الجانبين الإسلامى والمسيحى كانت واسعة الانتشار ، وأنها كانت تحظى بتشجيع من الأمراء والحكام . فقد احتفظ لنا ابن الخطيب بنص رسالة طريفة كتبها أحد علماء مرسية ، وهو محمد بن عبد الله بن داود الغافقى (المتوفى بتلمسان سنة ١٢٨٧/٦٨٦) إلى صديقين له بمرسية يقول فيها متحدثاً عن قدومه على إشبيلية بعد وقوعها فى أيدي المسيحيين سنة ١٢٤٨/٦٤٦ ، وكان قدومه بدعوة من قبل ألفونسو الذى كان ولى عهد لأبيه آنذاك ، وعن حفاوة الأمير المسيحى به : « وصلنا إشبيلية ضحوة يوم الثلاثاء خامس ربيع الآخر (فى تاريخ يقع بين سنتي ١٢٤٨ و ١٢٥٢) ...

ولقينا الإفانت (هي لفظة إسبانية infante ويقصد بها ولي العهد) على ميلين ، وفزنا بما ظهر من بشره واعتنائه بقرار الخاطر وقرة العين ، ونزلنا الأخبية. خارج البلد ... ورجبنا عن المدينة لحرها الوهاج وغبارها العجاج ... » (٢٩) ونستنتج من هذا النص مدى الحفاوة التي كان ألفونسو يستقبل بها من كان يدعوهم من علماء المسلمين لكي يشتركوا في المناظرات التي كان يعقدها بينهم وبين أقرانهم من علماء المسيحية .

في مثل هذه البيئة الأندلسية التي حفلت بالمساجلات والجدل لم يكن من الغريب أن نجد من العلماء المسلمين من يتقنون لغة جيرانهم المسيحيين ، ومن هؤلاء من يعرفون العربية معرفة تعمق في أساليبها البلاغية واطلاع على أدبها شعراً ونثراً وهو ما سنرى عليه دليلاً جلياً في النص الذي سنورده ، وهو حوار دار بين أحد القسيسين وأديب مسلم من مرسية هو أبو علي الحسين بن عتيق بن رشيق . وأول من يرجع إليه الفضل في اكتشاف هذا النص هو المستشرق الإسباني الصديق الذي أشرنا إليه

مراراً في ثنايا هذا البحث : فرناندو دي لاجرانخا ، وذلك في مقال بديع له نشره في مجلة « الأندلس » بعنوان « مساجلة دينية في مرسية في عصر ألفونسو الحكيم » (٣٠) ولكن علينا أن نتعرف أولاً شخصية هذا الأديب الذي كان ينتمى إلى أسرة عريقة في العلم والفضل ، ثم شخصية رجل الدين المسيحي الذي دار معه ذلك الجدل .

اسم الأديب المرسى المسلم راوى الحوار وأحد طرفيه هو أبو علي الحسين بن رشيق وقد أورد هذا الحوار في كتاب له لم يصل إلى أيدينا هو « الرسائل والرسائل » . وهناك ترجمة له في كتاب « الإحاطة » ينص فيها ابن الخطيب على اسمه الكامل ، وهو أبو علي الحسين ابن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي ، ويصفه بأنه « مرسى الأصل سبتي الاستيطان ، متم إلى ابن رشيق صاحب الثورة على المعتد » .

وقد تبين لنا أن اسم « رشيق » يتردد في أعلام ينتمون إلى منطقة شرق الأندلس ، ولكننا لا نملك أن نقطع بصلة القرابة بين هؤلاء الأعلام ، وإن كانت حيواتهم في المنطقة نفسها

ترشحهم لذلك . وأول من نعرفه من هذه الأسماء « رشيق » (هكذا بغير نسبة) موصوف بأنه « مولى الناصر » ، وكان عاملاً على الجزائر الشرقية (جزر البليار) للخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر ، ويذكر عنه أنه توفي غريقاً في البحر في سنة ٣٤٣ (٩٥٤) . ويظهر أنه كان من الصقالبة الذين استجلب الخليفة الأندلسي عدداً منهم وأسند إليهم بعض المناصب الكبرى ، وهذا يجعل من المستبعد أن يكون رأس هذه الأسرة التي يذكر في عمود نسبها أنها كانت تنتمي إلى قبيلة تغلب بالولاء (٣١) .

ولجد بعد ذلك كاتباً فقيهاً محدثاً يدعى أبا العباس أحمد بن رشيق (٣٢) ، يذكر عنه « أن أباه كان من موالى بنى شهيد وأنه نشأ بمرسية وانتقل إلى قرطبة ، وبرز في صناعة الرسائل ، ومال إلى الفقه والحديث ، وشارك في سائر العلوم ، وأن العلاقة توثقت بينه وبين أبي الجيش مجاهد بن عبد الله العامري (المتوفى سنة ٤٣٦ / ١٠٤٥) بحكم « الصحبة في النشأة » ، فقدمه على كل من في دولته ، وولاه جزيرة ميورقة ، فكان ينظر

فيها نظر العدل والسياسة » ، ويفهم من هذا النص أنه كان حاكماً على الجزيرة (٣٣) وهو الذي آوى ابن حزم حينما نُعي عليه مذهبه الظاهري ، وبين يديه جرت مناظرته المشهورة لأبي الوليد الباجي ، وكانت له رسائل مجموعة متداولة ، وتوفي بعد سنة ٤٤٠ (١٠٤٩) عن سن عالية .

ثم تأتي بعد ذلك أسرة بنى رشيق المرسيين التي كان رأسها صاحب الثورة على المعتمد ابن عباد . وهو عبد الرحمن بن رشيق الذي لا نعرف على وجه التحديد ما إذا كانت له صلة قرابة بذلك الذي كان حاكماً على جزيرة ميورقة وينص الذين ترجموا للمتأخرين من ذريته على أنهم كانوا تغلبيين بالولاء . وقد كان ابن رشيق هذا على عهد الطوائف عاملاً على حصن بلج Vilches حينما كان يدبر أمر مرسية أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد المعروف بابن طاهر القيسي . وكان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية يطمع في ضم مرسية إلى مملكته ، فأرسل جيشاً أمر عليه ابنه الملقب بالرشيد وأسند قيادته إلى وزيره الأثير لديه أبي بكر محمد بن عمار الشاعر لمحاصرة مرسية ، غير

أنهما فشلا في الاستيلاء عليها ، ثم كرر ابن
عمار المحاولة ، واجتاز في طريقه على حصن
بلج ، فلما سمع ابن رشيق به خرج إليه ورغبه
في النزول عنده ، فأجابه ابن عمار إلى ذلك ،
واحتفل ابن رشيق في إكرامه وخدمته ، فكافأه
ابن عمار بأن وكل إليه قيادة جيشه ، وأمره
بمغادرة مرسية وتشديد الحصار عليها وعاد هو
إلى إشبيلية . واضطلع ابن رشيق بما أسند إليه
حتى تمكن من فتح مرسية وطرده ابن طاهر منها
والدعوة فيها لابن عباد ، وكان ابن عمار ينوي
الغدر بمولاه المعتمد والاستيلاء على مرسية
لنفسه ، غير أن ابن رشيق سبقه إلى الغدر به ،
إذ استمال أهلها وقدم صنائعه وقرابته على
معاقل مرسية وقام بضبط المدينة ، فلما قدم
عليها ابن عمار أغلق أبوابها دونه حتى اضطره
إلى مغادرتها يأساً منها . وحينما نهض أمير
المرابطين يوسف بن تاشفين في سنة ٤٨٣
(١٠٩٠) في جوازه الثاني إلى الأندلس
لمحاصرة حصن لبيط Aledo أسرع ابن رشيق
فخطب بمرسية لابن تاشفين على حين كان يعاون
المسيحيين المعتصمين بالحصن سراً . وصح ذلك
عند أمير المسلمين ، فعقد له مجلساً استفتى

فيه الفقهاء ، فقضوا بتسليمه إلى سلطانه ابن
عباد ، ولكن قرابته وصنائه اعتصموا
بمعاقلهم . واضطر يوسف بن تاشفين إلى رفع
الحصار عن لبيط والعودة غاضباً إلى المغرب
بعد أن أخفقت الجهود للاستيلاء على الحصن
بسبب تفرق كلمة ملوك الطوائف . أما ابن
رشيق فقد أمر ابن عباد بثقافه وسجنه في
لورقة Lorca (٣٤) .

ولم تفدنا المصادر بالظروف التي أحاطت
بتخلصه من سجنه ولا بالسنوات الأخيرة من
حياته ، ولكننا نعرف من الأخبار المتصلة به أن
أسرة ابن رشيق هذا كانت كبيرة ، وأن أفرادها
كانوا منتشرين في الأندلس ولاسيما في المنطقة
الشرقية ، وأنه كان لهم نفوذ كبير في الحياة
السياسية والاجتماعية .

وإذا كان عبد الرحمن بن رشيق قد اضطرب
في غمار السياسة وخاض خطوبها فقد كان من
أفراد أسرته من اشتغلوا بالعلم وانقطعوا له .
نذكر منهم فقيها يدعى أبا عمر أحمد بن رشيق
وينسب إلى بجانة Pechina ، وكان معاصراً
لعبد الرحمن المذكور ، ولكننا لانعرف من
عمود نسبه ما إذا كان أخاً له وإن كان قريباً

له على كل حال وقد احتفظ لنا
ابن بشكوال بترجمة قصيرة له نعرف منها
أنه كان فقيها مشاوراً في المرية وأنه توفي
سنة ٤٤٦ (١٠٥٤) (٣٥) .

ونعرف من ذرية أحمد بن رشيق هذا فقيها
ومحدثاً يدعى أبا محمد عبد الغنى بن مكى
ابن أيوب بن أحمد بن رشيق ، كان من أهل
شاطبة ، Jativa ، وتفقه على أبيه وروى
الحديث عن أبي على الصدفى بمرسية ثم
بشاطبة ، وتولى الشورى ببلده ، وكانت وفاته
سنة ٥٥٥ (١١٦٠) (٣٦) .

وأما عبد الرحمن بن رشيق فنعرف من
ذريته عالماً يدعى أبا بكر عتيق بن الحسين
ابن عبد الله بن محمد ، وهو بياسى نزل مرسية
ودرس على أبيه وعلى عدد من علماء شرق
الأندلس ، وكان متعدد جوانب الثقافة ، فقد
كان محدثاً فقيها نحويًا أدبيًا تاريخيًا
أخذًا بخط وافر من علم الطب والرياضيات
بفضل تلمذته على الطبيب والعُشّاب الإشبيلي
المشهور أحمد بن محمد بن مفرج المعروف بابن

الرومسية (ت ٦٣٧/١٢٤٠) ، وكان
مشتغلاً كذلك بعلم الكلام وأصول الفقه .
وقد ولد فى ثامن جمادى الآخرة سنة ٥٨١
(١٩ سبتمبر ١١٨٥) وتوفى بمرسية غرة ذى
الحجة سنة ٦٦١ (٦ أكتوبر ١٢٦٣) . ويرجع
التفصيل فى ترجمة عتيق بن الحسين هذا إلى
أن ابن عبد الملك المراكشى الذى أوردها كان
تلميذاً لابنه أبى على الحسين صاحب المناظرة
التي ستكون موضوع حديثنا فيما بعد (٣٧) .
ويدل على المكانة العلمية لعتيق هذا أن عدداً
من جلة علماء القرن السابع الهجرى قد تلمذوا
عليه ، ومنهم ابن عبد الملك المراكشى الذى
أشرنا إليه ، ومنهم أبو جعفر أحمد بن إبراهيم
ابن الزبير صاحب « صلة الصلة » (ت
١٣٠٨/٧٠٨) (٣٨) ، ومحمد بن أحمد
الفهرى المعروف بابن الجلاب الإشبيلي نزيل
تونس (سنة ٦٦٤/١٢٦٦) الذى كتب إليه
عتيق بالإجازة (٣٩) .

وقبل أن نتحدث عن أشهر أفراد هذه الأسرة
وهو صاحب المناظرة موضوع الدراسة علينا أن

نشير إلى أن بعض أفراد أسرة بنى رشيق قد رحلوا إلى المشرق واستقروا فى مصر فى تاريخ لانستطيع تحديده ولكن يبدو أنه فى أواخر القرن الخامس . فنحن نجد فى كتاب « الديباج المذهب » لابن فرحون وفى المصادر المصرية ترجمات لبعض أفراد هذه الأسرة تبدأ بفقيه يدعى أبا على الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق الرئعى ، ويلاحظ أن الاسم والنسب يتفقان تماما مع ماللمرسى صاحب المناظرة حتى إننا ظننا فى بادئ الأمر أن هناك خلطا بينهما ، غير أن أبا على هذا الذى ترجم له ابن فرحون ولد بمصر سنة ٥٤٩ (١١٥٤) واتخذ على عادة المشاركة لقباً دينياً هو جمال الدين ، ودرس الحديث على والده الذى يبدو أنه أول من هاجر من هذه الأسرة من الأندلس إلى المشرق ، كما درس على عدد من المحدثين والفقهاء المصريين ، وتوطدت مكانته حتى أصبح شيخ المالكية فى وقته وكان عليه مدار الفتيا فى هذه البلاد حتى وفاته سنة ٦٣٢ (١٢٣٥) . (٤٠)

و يظهر أن بنى رشيق هؤلاء الذين انتقلوا إلى مصر قد استبدلوا بنسبتهم التغلبية القديمة نسباً أعم إلى ربيعة .

وتسلسل العلم فى هذا الفرع المصرى من

الأسرة فقد كان للحسين هذا ابن يدعى محمداً ويلقب بعلم الدين ، ورث عن أبيه مشيخة المالكية وولى قضاء الإسكندرية وكان مولده سنة ٥٩٥ (١١٩٩) ووفاته سنة ٦٨٠ (١٢٨١) (٤١) ثم أعقب هذا ابن له أيضاً يسمى محمداً ويلقب بزين الدين ، قد ولى مثل أبيه قضاء الإسكندرية وكان مولده سنة ٦٦٣ ووفاته سنة ٧٢٥ (١٢٦٥ - ١٣٢٥) (٤٢) .

وقد خطر ببالنا أن هذه الأسرة قد تكون مصرية خالصة لاعلاقة لها ببنى رشيق الأندلسيين ، غير أن الاتفاق فى الأسماء وفى النسبة (إذ لاتعارض فى الحقيقة بين انتساب الأندلسيين إلى تغلب والمصريين إلى ربيعة) وكون المصريين من شيوخ المالكية وهو المذهب السائد فى الأندلس - كل ذلك يحملنا على أن نفترض أن هؤلاء المصريين ليسوا إلا فرعاً من الأسرة الأندلسية هاجروا منذ قديم إلى مصر وأصبحوا من أهلها . ثم إننا وجدنا فى أبيات لأبى على الحسين بن عتيق المرسى فى إجازة لأحد تلاميذه مايشهد بصحة ما فرضناه ، إذ يقول فيها :

وَجَدَى رَشِيقٌ شَاعَ فِي الْغَرْبِ ذِكْرُهُ

وفى الشرق أيضاً فادرٍ إن كنت لاتدرى (٤٣)

ونصل أخيرا إلى أشهر من أخرجته هذا البيت من العلماء ، وهو صاحب المناظرة التي سوف تفصل الحديث عنها ، وهو أبو علي الحسين بن عتيق الذي استطعنا أن نجتمع عنه مادة موفورة إلى حد ما .

أبو علي هذا هو ابن آخر من تحدثنا عنهم من بنى رشيق الأندلسيين ، وهو مثل سائر أفراد أسرته مرسى الأصل ، إذ يظهر أنه ولد في مرسية في تاريخ لم يسجله ابن الخطيب في ترجمته له في «الإحاطة» ، ولكننا نجد في ترجمة أحد تلاميذه وهو يوسف بن إبراهيم الفهرى الغرناطى الساحلى (عاش بين ستى ٦٦٧ و ٧٥٢ / ١٢٦٩ - ١٣٥١) نصا يقول فيه : « كتب إلى شيخنا محمد (كذا وهو تحريف عن حسين) بن عتيق بن رشيق في الاستدعاء الذي أجازنى ولمن سمي فيه :

أجزت لهم - أبقاهم الله - كل ما

رويت من الأشياخ في سالف الدهر

ولى مولد من بعد عشرين حجة

ثمان على الست المئين ابتدا عمرى (٤٤)

ومعنى هذا أنه ولد سنة ٦٢٨ (١٢٣١) .

وقد قضى صباه ومطلع شبابه في مسقط رأسه

مرسية ، وفيها درس على أبيه الذي تحدثنا عن مكانته العلمية الرفيعة وعلى بعض شيوخ المدينة . نذكر منهم محمد بن إبراهيم بن عبد الملك الأزدي القيباطى (المتوفى سنة ٦٤٣ / ١٢٤٥) (٤٥)

ويقول ابن الخطيب في ترجمته (٤٦) إنه « كان نسيج وحده وفريد دهره إتقاناً ومعرفة ومشاركة في كثير من الفنون اللسانية والتعاليمية ، متبحراً في التاريخ ، ريان (فى الأصل : ريانا) من الأدب ، شاعرا مقلعا ، عجيب الاستنباط ، قادرا على الاختراع والأوضاع » . وحينما اشتد الزحف المسيحي على بلدة مرسية رحل إلى المرية Almeria فخدم أميرها على بن يوسف بن نصر من قرابة سلطان غرناطة وأخاه الأصغر محمدا من بعده ، ثم هاجر إلى سبتة واستقر بها حتى عد من أهلها ، واشتغل بالكتابة لأمير هذه المدينة المغربية أبى القاسم محمد بن أحمد العزفى (٤٧) ويظهر أن التنافس بينه وبين زميله الكاتب والشاعر السبتي أبى الحكم مالك بن المرحّل (٦٠٤ - ١٢٠٧ / ١٢٠٧ - ١٣٠٠) قد أدى إلى الاشتباك بينهما

فى مهاجيات ومهاترات بالغة العنف ، وقد حفظ لنا ابن الخطيب خبر هذا النزاع الذى نظم فيه ابن رشيق قصيدة فى هجاء ابن المرحل متسمة بأفحش الأقذاع . وكان ابن رشيق يتردد على الأندلس ، فقد نزل بالمرية من جديد وأصيب بأسر عياله ، فتوسل إلى عامل المرية بقصيدة يرجوه فيها التدخل لاستنقاذ أسرته من الأسر ، ثم توجه إلى غرناطة ومدح السلطان بها وهو محمد بن محمد الفقيه ثانى ملوك دولة بنى الأحمر . ويبدو أن مسعاه نجح فى النهاية ، فخلصت عائلته من الأسر . ثم نراه بعد ذلك وقد عاد إلى سبتة ، وحينما ولى ملك بنى مرين ثانى سلاطينهم أبو يعقوب يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق (حكم بين سنتى ٦٨٦ و٧٠٦/١٢٨٧-١٣٠٧) استدعاه للكتابة عنه . وأما عن سنة وفاته فإن ابن الخطيب لم يعرفها ، وإنما اكتفى بالقول إنه كان حيا سنة ٦٧٤ (١٢٧٥-١٢٧٦) . والوحيد الذى أورد سنة وفاته هو صاحب « بلغة الأمنية » ، فقد ذكر أنه توفى بتازة فى التاسع من المحرم سنة ٦٩٦ (٧ نوفمبر ١٢٩٦) ، وكان قد توجه فى وفد أهل سبتة الذى ذهب للقاء السلطان

أبى سعيد ابن يوسف (٤) ومرض جل ذلك الوفد بالحمى ، ومات منهم جملة كان ابن رشيق من بينهم .

وقد تلمذ لابن رشيق عدد كبير ممن شهروا بالعلم من الأندلس والمغرب ، نذكر منهم الفقيه الموثق عبد الله بن على ... بن سلمون الكنانى الغرناطى (ت ٧٤١/١٣٤٠) (٤٨) وأبا جعفر أحمد بن الحسن بن الزيات الكلاعى من أهل بلش مالقة Vélez - Málaga (ت ٧٢٨/١٣٢٨) (٤٩) ، وعبد المهيم بن محمد الحضرمى السبتى كاتب السلطان أبى الحسن المرينى (ت ٧٤٩/١٣٤٨) (٥٠) .

أما عن أعماله فابن الخطيب يقول إن له أوضاعا غريبة واختراعات عجيبة ، يذكر منها سفرة للشطرنج دائرية الشكل (٥١) ، ويذكر من مؤلفاته كتابا كبيرا فى التاريخ ، وتلخيصا لهذا الكتاب يسمى « ميزان العمل » يصفه بأنه « من أطرف الموضوعات » ، وهو كتاب اختلط على بعض المؤلفين المتأخرين اسم صاحبه ، فظنوه لابن رشيق القيروانى صاحب كتاب « العمدة » (٥٢) . وقد نقل عن هذا الكتاب المؤرخ المغربى ابن أبى زرع فى موضعين : ذكر

فى أولهما التاريخ الصحيح لبيعة مهدي
الموحدين محمد بن تومرت غرة سنة ٥١٦
(مارس ١١٢٢) وتاريخ وفاته فى ١٣
رمضان سنة ٥٢٤ (منتصف أغسطس
١١٣٠) (٥٣) ، وفى الموضع الثانى تاريخ بيعة
عمر المرتضى فى غرة ربيع الأول ٦٤٦ (٢٤
يونيه ١٢٤٨) . غير أن ابن أبى زرع نبه على
خطأ هذا التاريخ (٥٤)

ويسبب هذه الأخطاء ويسبب إمعان الكتاب
فى الاختصار نقد ابن خلدون كتاب « ميزان
العمل » نقداً عنيفاً ، إذ قال وهو يتحدث عن
تدهور الكتابة التاريخية : « ثم جاء آخرون
بإفراط الاختصار ، وذهبوا إلى الاكتفاء
بأسماء الملوك والاقتصار ، مقطوعة عن
الأنساب والأخبار ، موضوعة عليها أيامهم
بحروف الغبار ، كما فعل ابن رشيق فى
« ميزان العمل » ، ومن اقتفى هذا الأثر من
الهمل ، وليس يعتبر لهؤلاء مقال ، ولا يعد لهم
ثبوت ولا انتقال ، لما أذهبوا من الفوائد ،
وأخلوا بالمذاهب المعروفة للمؤرخين
والعوائد » (٥٥) .

وينسب أحمد بابا التنبكتى لابن رشيق
كتاباً آخر اختصر فيه « ترتيب المدارك » فى
تراجم المالكية للقاضى عياض السبتي (٥٦)

وأخيراً هناك كتاب آخر لابن رشيق لم يذكره
أحد ممن ترجموا له وهو « الرسائل والوسائل »
الذى نقل منه صاحب « المعيار المغرب »
نص المناظرة .

هذا عن شخصية ابن رشيق راوى المناظرة
وأحد طرفيها ، فماذا عن شخصية مساجله
القسيس المسيحى ؟

لم يورد ابن رشيق اسم هذا القس ، ولكنه
رسم له وللطائفة التى كان ينتمى إليها صورة
تستوقف النظر وتقدم لنا معلومات جديدة عن
العلاقات بين الثقافتين الإسلامية والمسيحية
فى منتصف القرن السابع الهجرى فى تلك
البيئة المفتوحة : مدينة مرسية فى أواخر أيامها
الإسلامية .

أما طائفة هذا القس فهى كما يصفها ابن
رشيق جماعة من القسيسين والرهبان شأنهم
الانقطاع للعبادة ، والنظر فى العلوم ، وهم
مشغوفون بمطالعة كتب المسلمين وترجمتها
بلسانهم ، ونستشف من هذه العبارات أنهم
كانوا على مستوى رفيع من معرفة العربية ،
وهو وصف ينطبق على طائفة الرهبان
الدومينيكان Orden de los
Domincicos الذين كانوا أحرص الطوائف

المسيحية على تعلم اللغات الأجنبية والاطلاع على ثقافات الأمم الأخرى ، لأن ذلك كان سلاحهم فى مهام التبشير التى استغرقت شطرا كبيرا من جهودهم ومن أجل ذلك كان هدفهم من ترجمة العلوم العربية لم يكن مجرد الاستفادة كما كان شأن المترجمين السابقين بمدرسة طليطلة ، بل أصبحت الترجمة الآن « برسم النقد » كما ينص ابن رشيقي ، إذ كان التعمق فى معرفة ثقافة الإسلام بالنسبة لهم مدخلا لنشاط جدلى يرمى إلى تنصير من « تدجنوا » من المسلمين ، أى أصبحوا خاضعين لسلطة مسيحية . وكان ذلك تنفيذا لسياسة ملوكهم الذين كانوا يغدقون عليهم الأموال من أجل الوصول إلى هذا الهدف .

وأما القس المناظر لابن رشيقي فهو على حد وصفه « قسيس من بلاد مراكش » . وقد يبدو هذا الوصف غريبا لأول وهلة ، ولكن وجه الغرابة يزول إذا ذكرنا أن خلفاء الموحدين كانوا يستعينون فى جيوشهم بفرق من المرتزقة المسيحيين الذين كان بعضهم فى الأصل أسرى حرب ولكنهم انتهوا بعد ذلك إلى الدخول فى خدمة دولة الموحدين . وكان هؤلاء يقيمون فى معسكرات وثكنات فى ضواحي بعض المدن

المغربية ، وسمح لهم الخلفاء بممارسة شعائرتهم الدينية ، فكانت لهم مصلياتهم وقساوستهم الذين كانوا يضطلعون برعايتهم الروحية . ويذكر فرناندو دى لاجرانخا أنه ابتداء من سنة ٦٢٢ (١٢٢٥) على الأقل كانت هناك أسقفية فى مدينة مراكش ، ولهذا فمن الأرجح أن يكون هذا القسيس مناظر ابن رشيقي قد اكتسب معرفته بالعربية وبالإسلام خلال مقامه بمراكش فى تلك الأسقفية (٥٧) .

وقد حاول المستشرق الإسباني الاهتداء إلى شخصية هذا القس ، فتبين له أنه كان فى تلك السنوات رجل من رجال الدين يدعى « غرسيه بطره Garsia Petri » ويوصف فى إحدى وثائق العصر بأنه « قسيس مراكشى Marrochitano archidiacono » ، وكان ألفونسو الحكيم - الذى كان ولى عهد أبيه آنذاك - قد عهد إليه بمهام سياسية لا علاقة لها بمنصبه الدينى ، وقد حفظت عنه تحركات فى نواحي قشتالة خلال سنتى ٦٢٣ و ٦٢٤ (١٢٥٥ - ١٢٥٦) . وربما يكون قد حل بمرسية فى إحدى المهام التى وكلت إليه ، ولو أنه ليس هناك مايسند هذا الفرض .

وخطر ببال فرناندو دى لاجرانخا بعد ذلك أن هذا القس قد يكون رامون مارتى Ramon Marti الذى تتفق ملامح شخصيته مع الصفات التى أضفاها ابن رشيق على مناظره . وكان مارتى (أو مرتين) قسا قطلاتيا انتدب منذ سنة ٦٤٧ - ٦٤٨ (١٢٥٠) للتبشير بالمسيحية بين المسلمين . وذلك لأنه فى هذه السنة عقد مؤتمر كنسى فى طليطلة بإشارة من فرناندو الثالث « القديس » . وفى هذا المؤتمر تم اختيار ثمانية رهبان من منطقة قطلونية Catalunya ، وكلفوا بدراسة العربية فى المعهد الذى كانت طائفة الدومينيكان قد أقامته فى مرسية . ونحن نعرف أن مارتى ألف كتابا جدليا تعرض فيه للقرآن الكريم ، وهو كتاب لم يصل إلينا ، ولكن الذى وصل هو المعجم العربى اللاتينى الذى ينسب إليه (٥٨) . وهو الذى يعرف باسم Vocabulista in Arabico وهو يعد أول معجم يزاوج بين العربية ولغة أوربية (٥٩) . غير أن هذه النسبة لم يسلم بها جميع من درسوا هذا الكتاب . وكانت حجة سيمونيت فى نسبته له أن هناك حوارا ملحقا بمخطوطة المعجم يدور بين أحد المسلمين ومسيحى يدعى رَمُنْدُ مَرْتين

Raimundo Martin حول مسألة إعجاز القرآن ، وهو الموضوع الذى يعالجه من وجهة نظر إسلامية حوار ابن رشيق مع مساجله المسيحى . وقد انتهى جرانخا إلى أنه على الرغم من هذه الاتفاقات فإنها ليست كافية لكى نخلص إلى أن صاحب الحوار الذى نحن بصده هو ذلك القس الدومينيكى رامون مرتين (٦٠) .

١ - لعل أول ما يستحق البحث فى أمر هذه المناظرة (٦١) هو تحديد التاريخ الذى جرت فيه . وإذا كان لنا أن نشق بصديق الحسين ابن رشيق فى قوله إنه كان إذ ذاك غلاما مراهقا « ما بقل وجهه » (أى لم يكن قد التحى بعد) فإننا نقدر أنه كان فى وقتها فى الخامسة أو السادسة عشرة من عمره . وإذا كان مولده فى سنة ٦٢٨ (١٢٣١) كما ذكرنا فى ترجمة حياته فإن تاريخ المناظرة لابد أن يكون فى نحو سنة ٦٤٣ أو ٦٤٤ (١٢٤٧ - ١٢٤٨) ، وهذا يوافق ما يذكره فى مطلع الرسالة من أنه كتبها بمدينة مرسية « أيام مخنة أهلها بالدجن » أى حينما سلمت صلحا ، فقدمت إليها جموع من المسيحيين يزاحمون أهلها فى سكناها . وهو يقول إنه كان آنذاك يجلس بين يدي والده

لكتب الوثائق وعقود الأحكام ، ويتفق هذا مع ما يذكره مترجمو أبيه أبي بكر عتيق من أنه كان يشتغل بالتوثيق .

٢ - المناظرة تواكب تماما الجو الذي كان يسود مرسية في منتصف القرن السابع والذي سبق أن وصفناه بأنه كان يحفل بمجالس الجدل بين علماء المسلمين والمسيحيين . وإذا كنا قد رأينا في عرضنا لصورة هذه البيئة علماء مسلمين يتقنون لغة جيرانهم ويعرفون دقائق تعاليم المسيحية وشرائعها فإننا نرى في هذا النص كيف كان مجادلهم من المسيحيين متقنين للغة العربية ، قارئين للقرآن الكريم مطلعين على الأدب العربي اطلاع من يصمد لمواجهة حول نص من أصعب نصوصه وأشقها على غير العربي ، ولجلد حول موضوع شائك هو إعجاز الأسلوب القرآني .

٣ - أسلوب الحوار - كما نرى من النص - لم يعد يتخذ ذلك الطابع العنيف الذي رأيناه في المجادلات السابقة ، فابن رشيقي يصف قريعه بأنه « معتدل في المناظرة ، متأدب في الكلام عن الشارع (صلوات الله عليه) » ، وهو حريص على أن ينفي كل ما يمكن أن يفهم من كلامه من أنه طعن على القرآن الكريم

أو استخفاف بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) .

٤ - موضوع الجدل بين القسيس المسيحي وابن رشيقي يختلف عما كان يثور بين أصحاب الملتين من قبل ، فهو لا يتعلق بجوهر العقيدة أو مبادئها وتعاليمها ، وإنما حول قضية ذات شقين : ديني وبلاغي ، وهي قضية إعجاز القرآن ، ولعل هذه هي أول مرة نلتقي فيها بجدل من هذا النوع . والقضية التي طرحها القسيس في تلمظ ومهارة هي : هل القرآن الكريم معجز ببلاغته ؟ فإذا كان الأمر كذلك فإنه يجوز أن يقال إن كل نص بليغ يعجز أصحاب البيان عن الإتيان بمثله يمكن أن يشارك القرآن في هذه الصفة ، وهو يضرب على ذلك مثلا بما ذكره الحريري في المقامة السادسة والأربعين وهي « المقامة الحلبية » من تحذيه للأدباء وادعائه أن ليس في وسع أحد أن يزيد بيتا واحدا على بيتين أوردهما في هذه المقامة (٦٢) .

أما هذه المقامة فعلى الرغم من نسبتها إلى حلب فإن الحريري جعل مسرحها مدينة حمص التي يصف أهلها بالرقاعة والحقاقة . وهناك يلتقي راوي المقامات الحارث بن همام بشيخ

مؤدب صبيان يكشف - كالعادة - بعد ذلك أنه صاحبه أبو زيد السروجي ، ويعرض الشيخ على ضيفه مهارات صبيانانه الأدبية واللغوية فيطلب منهم واحدا واحدا أن ينشدوا شعرا يقترح له ألوانا من الغرائب اللغوية ، فهو يسأل الأول أن ينشد أبياتا كلماتها خالية من الإعجام ، ويطلب إلى الثاني شعرا مشقلا بجناسات غريبة ، وإلى الثالث أبيانا لو كتبت بغير نقط لبدت مؤلفة من أزواج متماثلة من الألفاظ ، وإلى آخر أبياتا تضم الألفاظ التي تحتمل السين فيها أن تنطق صادًا ... وهكذا . وفي ثنايا هذه الاختبارات يطلب إلى أحد الصبيان أن ينشد « البيتين المطرفين المشتبهى الطرفين اللذين أسكتا كل ناقت ، وأما أن يعززا بثالث » ، وهو يعنى أن كلا منهما يبدأ وينتهى بلفظين متماثلين ولكن بمعنيين مختلفين ، وهما :

سم سمة تحسسن آثارها

واشكر لمن أعطى ولو سمسمه

والمكر مهما اسطعت لا تأته

لتقتنى السؤدد والمكرمه

وقد كان الحريري - غفر الله له - يعتقد أنه

أتى في هذين البيتين بالمعجز الذي لا يستطيع

أديب أن يأتي بمثله . وأصبحت دعواه هذه عناء للأدباء من بعده ، إذ تعاقبت محاولاتهم أن ينظموا أبياتا على نفس الوتيرة كما سوف نرى .

ويقول القسيس في جدله لابن رشيق :
« وقد مضت بعد الأعصار وانقضت الأجيال ، فلم يأت أحد لهما بثالث كما قال ، لا في عصره ، ولا بعد عصره ، على كثرة درس الناس لها { أى للمقامات } وتداولها في مجالس المذاكرة » . ويبدو ذلك غريبا من رجل يبدو أنه كان واسع الاطلاع على الأدب العربي متابعيا لاهتمام الأدباء في الشرق والغرب بمقامات الحريري ، إذ لم تبلغه أنباء المعارضات الكثيرة التي قام بها كثير من الأدباء لبيتيه المشهورين .

وعلى كل حال فلم يكن أمام ابن رشيق إلا أن يحارب غريمه بنفس سلاحه ، فكذ قريحته لكي يأتي بببيت من الطراز نفسه . والحقيقة أن مسألة القسيس وجواب ابن رشيق الذي يقول إنه أفحم مناظره حتى « كأنما ألجمه حجرا » كان كلاهما بالغ السذاجة ، على أنه كان مدركا لذلك بدليل قوله : « ورأيت فيه من الانكسار لذلك مالم أره عند سماع الحجج

العقلية والمآخذ الأصولية » ، فقد كان القسيس يظن أنه قد غلب مناظره إذا أقر له بعجز الشعراء عن محاكاة الحريري في « بهلوانياته » البديعية . فمن الواضح أن بيتي الحريري ومعهما البيت الذي عارضهما به ابن رشيق في غاية التكلف ، وهي مجرد نظم لايمت إلى الجمال الفني الحقيقي بصلة ، غير أن أذواق الأدباء والمتأدبين في هذا العصر كانت قد تغيرت ، فأصبح مثل هذا التلاعب اللفظي هو معيار التفوق والسبق .

هـ - ومن هنا يبدو لنا ضربا من السخف أن يتحدث عن « إعجاز » أتى به الحريري ، وأسخف منه أن يذكر هنا في معرض الكلام عن الإعجاز في البلاغة القرآنية . وقد كان الأصوليون وعلماء الكلام الأندلسيون قد عالجوا قضية إعجاز القرآن من قبل ، وإن كان طرحها مختلفا عما نراه في هذه المناظرة ، فقد تحدث أبو الوليد الباجي عنها في الرسالة التي وضعها جوابا على راهب إفرنسة ، إذ يقول :

« ثم أكرمه { يعنى الرسول محمدا عليه الصلاة والسلام } الله تعالى بالمعجز الذي فضله الله به على جميع النبيين والمرسلين ، وهو القرآن الذي هدى به الإنس والجن أجمعين .

قال الله تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (سورة الإسراء آية ٨٨) . فتحدى به العرب والعجم وجميع الأمم ، والعرب في ذلك الوقت أهل فصاحة وبيان ، متناه في ذلك الشأن ، فلم يستطع أحد منهم أن يأتى بسورة من مثله » (٦٣) .

كذلك عالج هذه القضية معاصر الباجي وغريمه في الجدل ابن حزم الظاهري ، وإن كان ابن حزم يتخذ موقفا آخر في تفسير الإعجاز القرآني ، فهو يقول :

« وقد ظن قوم أن عجز العرب ومن تلاهم من سائر البلغاء عن معارضة القرآن إنما هو لكون القرآن في أعلى طبقات البلاغة . وهذا خطأ شديد . ولو كان ذلك - وقد أبى الله عز وجل أن يكون - لما كان حينئذ معجزة ، لأن هذه صفة كل ماسبق في وقت ما ، فلا يؤمن أن يأتى في غيره ما يقاربه بل ما يفوقه ، ولكن الإعجاز في ذلك إنما هو أن الله عز وجل حال بين العباد وبين أن يأتوا بمثله ، ورفع عنهم القوة في ذلك جملة (٦٤) » .

ورأى ابن حزم هذا هو المعروف باسم القول بـ « بالصرفة » أى أن الله صرف البشر عن الإتيان بمثل القرآن . وقد أخذ بهذا رأى عدد من العلماء المتقدمين من أهل الكلام والبلاغيين . وقد أورد أبو بكر الباقلاني (المتوفى سنة ٤٠٣/١٠١٢) حجاج هؤلاء ، وأفرد لتقنيدها صفحات من كتابه « إعجاز القرآن » (٦٥) .

ونرى مما عرضناه أن منطلق رجل الدين المسيحي فى مناقشة هذه القضية يقوم على إنكار التفوق البلاغى للقرآن الكريم ، وذلك لأن البشر فى نظره قادرون على أن يأتوا بما تعجز بلاغته ، وهذا هو الحريرى تحدى الأدباء بأن يأتوا بمثل بيته فعجزوا عن ذلك ، فشأنه فى التحدى وشأن القرآن سواء . ومنطلق القسيس فى هذا الرأى يشبه منطلق ابن حزم فى رأيه بالصرفة وإن كان هدف كل منهما مختلفا عن هدف الآخر كل الاختلاف . فهل كان القسيس مطلعاً على ما كتبه ابن حزم ؟ لسنا نستبعد ذلك فقد كان كما نرى من مناظرته واسع الاطلاع على الثقافة العربية ، وأولى به أن يكون ذا إلمام بكتاب مثل « الفصل » يدخل فى دائرة الحوار الدينى

والمذهبي ، ولاسيما إذا كان من كتب التراث الأندلسى .

٥ - وقد فطن الأدباء فى المشرق والمغرب منذ قديم إلى تحدى الحريرى ، ولا شك فى أنه كان يكمن فى الوعى الساذج لكثير منهم أن العجز عن مساجلة بيتى الأديب البصرى قد يشتبه على بعض الناس مع العجز عن محاكاة الأسلوب القرآنى ، فيكون فى ذلك تشكيك فى إعجاز القرآن البلاغى . ولهذا فقد نهضوا لقبول تحدى منشئ المقامات وعنوا أنفسهم أشد العناية فى معارضة بيتيه حتى ينفوا صفة الإعجاز عنهما . أما فى المغرب فقد ساق ابن عبد الملك المراكشى فى ترجمته للأديب الإشبيلى سلام بن عبد الله بن سلام الباهلى (ت ٥٤٤/١١٤٩) - وهو أيضا من معارضى المقامات - ثلاثة أبيات من طراز البيتين ، ثم استطرد إلى الحديث عن محاولات أخرى أورد منها عشرة أبيات لأبى زيد التيملى ، وبيتين لأبى إسحاق الكافى ، وستة أبيات لأبى أمية إسماعيل بن سعد السعوى بن عفير ، وبيتا لابن مبارك التونسى ، وبيتين لابن عبد الملك نفسه (٦٦) . على أن ابن عبد الملك نقد معظم هذه المحاولات نقدا عنيفا ، إذ قال فى ثنايا

عرضه : « وقد تعاطى جماعة من الشعراء
تذليل بيتى الحريرى المذكورين بما كان سكوتهم
عنه أصون لافتضاحهم وأستر ، وإخلادهم إلى
حضيض العجز عن مساماته أوج إجادته أولى
بهم وأجدر (٦٧) .

ومع ذلك فلم يكف الأدباء عن هذه
المعارضات العقيمة ، حتى إن المقرئ بعد أن
يورد أربعة أبيات من هذا الطراز للعالم النحوى
محمد بن الصائغ يعلق عليها بقوله : « رأيت
فى المغرب فى هذا المعنى ما ينيف على سبعين
بيتا كلها مساجلة لبيتى الحريرى » (٦٨) .

٦ - ونأتى فى النهاية إلى قضية ما زالت
موضع نقاش بين مؤرخى الأدب الإشباني
ودارسى الأدب المقارن ، وهى مدى تأثير المقامة
العربية فى نشأة لون من ألوان الفن القصصى
الإشباني ، وهو ما يسمى بقصص الشطارة
المعروفة باسم La novela picaresca .
وقد رجح هذا التأثير علماء مثل رامون منندث
بيلايو فى كتابه « أصول الرواية » (٦٩) ،
وأنخل جونسالث بالنشيا فى « تاريخ الفكر
الأندلسى » (٧٠) ومن الثابت أن المقامات
العربية كان لها تأثير كبير فى الأدب العبرى

الأندلسى ، إذ قام كتاب اليهود فى القرنين
الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين بترجمة
مقامات الحريرى إلى العبرية ، كما عارضوها
بمقامات قائلها فى بنيتها وشخصياتها
وأسلوبها المثقل بزخارف البديع (٧١) أما
تأثيرها فى الأدب الإشباني فهو موضوع
يحتاج إلى مزيد من الدراسة ، ولو أنه يبدو
مرجحا إلى حد بعيد (٧٢) .

وقد كان المعترضون على هذا التأثير
المحتمل يحتجون دائما بصعوبة لغة المقامات
بحيث لم يكن فى وسع المسيحيين من أهل
الأندلس فهمها واستيعابها (٧٣) . على أننا
نرى من نص المناظرة بين ابن رشيق والقسيس
المسيحى أن المقامات لم تكن مجهولة فى عالم
الثقافة الإشبانية المسيحية ، بل كان من بين
رجال الكنيسة من يحفظونها ويخوضون الجدل
بالعربية حول بلاغتها وقيمتها الفنية . ولعل
هذا النص يساهم فى ترجيح رأى القائل
بالتأثير العربى فى ذلك الفن القصصى
الإشباني الذى تفردت به إسبانيا وازدهر فيها
منذ القرن السادس عشر الميلادى .

الضميمة الأولى

نص المناظرة بين ابن رشيق والقس المسيحي في مدينة مرسية

معهما إلى مجتمع أولئك الرهبان ، بدار كان لهم فيها كنيسة يعظمونها . فلما فرغنا من قصدنا استدعاني قسيس منهم من بلاد مراكش ، فصيح اللسان ، مدرك للكلام ، معتدل في المناظرة ، وأخذ يستدرجني للمكالمة ، ويقول :

أنت طالب وتبیه ، وقد سمعت بوالدك وبك ، وحدثني المسلمون عنكما بخير وعلم ، وأنا أريد أن أكلمك فيما لك فيه منفعة ولي . وأنت لست بمن تخاف أن يخدع بالباطل ، ولا بمن يخفى عليه الحق ويعاند فيه إذا ظهر له ، فاجلس معنا نأخذ في مسألة من المذاكرة .

فأعجبني كلامه وتصرفه في الكلام العربي ، فجلست معهم ، وقعد إلى منهم أربعة ، وهو أحدهم ، وكأنهم تركوه للمكالمة ، فأخذ معي في أمر معجزة أخذ متأدب مع الشارع - صلوات الله عليه وسلامه - ، وذلك منه خوف أن ينفرني ، ومكيدة يستميلني بها لسماع كلامه . وكنت - بحمد الله - قد أحكمت شيئا من أصول الدين مع والذي رحمه الله تعالى .

وذكر أبو علي الحسين بن رشيق في كتاب « الرسائل والوسائل » قال (٧٣) : كتب (٧٤) بمدينة مرسية - جبرها { الله } أيام محنة أهلها بالذبح الذي عصم الله تعالى من غوائله ، وخلص من حبائله - ، وكان قد ورد عليها من قبل طاغية الروم (٧٥) جماعة من قسيسيهم (٧٦) ورهبانهم شأنهم الانقطاع في العبادة بزعمهم ، ونظر العلوم ، مشربون للنظر في علوم المسلمين وترجمتها بلسانهم برسم النقد ، خيَّب الله تعالى سعيهم ! ، ولهم حرص على مناظرة المسلمين ، وقصد ذميم في استمالة الضعفاء ، يأكلون على ذلك مال طاغيتهم ، ويستمدون به الجاه من أهل ملتهم ، قطع الله دابرهم !

وكنت في ذلك الوقت أجلس بين يدي والذي (٧٧) - رحمه الله تعالى - لكتب الوثائق وعقود الأحكام ، وأنا إذ ذاك لما بقل وجهي . فوجبت لمسلم على نصراني يمين في حق حكم عليه بها . وأمرت أنا وشاهد آخر بالحضور عليها ليتقاضاها المسلم منه على ما يجب ، بحيث يعظم النصراني من دينه (٧٨) ، فتوجهنا

وقال لى : أنتم تقولون إن من أعظم معجزات نبيكم القرآن العظيم الذى بأيديكم .

قلت له : نعم .

قال : وأنا لا أتكلم معك فى غيره . وأنتم تقولون إن نبيكم تحدى به العرب قاطبة فى أحفل ماكانوا من الفصاحة ، فعجزوا ، وإن هذه النكتة هى أوضح نكت الإعجاز وأجلاها وأبقاها على الدهر ، بحيث يقف عليها المتأخر كما وقف عليها المتقدم ، ويستوى فى التوصل إليها الخاص والعام .

قلت له : نعم .

قال : وأنتم تقرأون فيه : « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار » (٧٩) ، وذلك فى آية التحدى ومعرض التعجيز ، وتقولون إن نفى المستقبل الذى فى قوله « ولن تفعلوا » وهو النص على أن ماكان من العجز عنه فى الوقت باقٍ فيما بعد ذلك إلى باقى الدهر .

قلت : نعم .

قال : ثم لم يبق معارض واحد فى الوقت ، ثم مضت السنون والأحقاب ، وانقرض لسان العرب الصحيح ، واستولى عليه الفساد أقمت

الإعجاز وصح ذلك النفى المتقدم وجوداً صدق الخبرُ الخبرَ وأيتم أنه لم يبق للمعارضة مظنة تقدير ، وأن المتأخر فى هذا حصل على ثلج اليقين من المتقدم .

فقلت له : أما هذا فلا أقول فيه ، إلا أن الأمر استمر على ما كان عليه أولاً ، ولايزيد المتقدم على المتأخر ولا المتأخر على المتقدم . والحق إذا ظهر من وجه واحد فى وقت ما لايزيده كثرة الوجوه صحة ، ولا تدفع عنه شبهة ، ولكن هذا واقع فى الوجود ، كما قلت ، فما تريد أن تبني على هذا ؟

فقال - تعالى الله عن قوله ونزه الوحي الكريم عن تخييلاته : اسمع الآن ما أقوله ، ولا تفهم عنى أنى أريد به أن أحدا عارض القرآن ، أو أتى فى ذلك بشئ يوقع فى النفس احتمالاً . لا والله ! لا أقول ذلك ، ولا أدعى ما لم يقل به أحد من أهل ملتكم أو غيرها (٨٠) ، ولكنى أقول شيئاً آخر افهمه عنى وثبت فيه ، فإنه موضع نظر ، فى نفسى منه شئ ، ولم أجد من أهل ملتكم أحداً يزيله عنها ، على كثرة سؤالى عنه لكل من توسمت فيه المعرفة منكم ، وذلك أن الكتاب المسمى بـ « المقامات » قد أجمع أهل ملتكم على أن أهل الأدب عجزوا

عن معارضته ، وكل من تعرض لذلك لم يأت بشئ يقاربه ولا يقع موقعه .

ثم إن مؤلفه مع ذلك تحدى أهل اللسان قاطبة بشيء منها ، رأى أنه لا يؤتى بمثله ، وزاد إلى ذلك بأن صرح بنفى الإتيان بمثله في المستقبل تصريحاً لا يمكن إنكاره ، وذلك قوله في المقامة السادسة والأربعين : « أنشد البيتين المطرفين (٨١) ، المشتبهى الطرفين ، اللذين أسكتا كل نافت ، وأمنا أن يُعززا بثالث » فأنشده :

سِمَ سِمَةً تحسن (٨٢) آثارها

واشكر لمن أعطى ولو سِمِسِمَهُ

والمكرُّ مَهْمَا اسطعت لا تأته

لتقتنى السؤْدُدَ والمكرَّمَهُ (٨٣)

وقد مضت بعد الأعصار ، وانقرضت الأجيال ، فلم يأت أحد لهما بثالث كما قال ، لا في عصره ولا بعد عصره ، على كثرة درس الناس لها وتداولها في مجالس المذاكرة ومحافل الأمراء واشتهارها في الأمصار ، فعلى ما تقرر أولاً [و] وجدناه عند جمهوركم في حق القرآن مسلماً ينبغي أن يكون ما أتى

به الحريرى أيضاً في هذا الموضع معجزة ، وإن لم يُردَّ هو ذلك ولا قصد هذا المقصد الذي نحن بسبيله ، لكنه قد وقع ذلك في الوجود اتفاقاً ، ووقع وقوعاً لا مرية فيه . وأنتم مع ذلك لا تقولون إنه نبى ، ولا يمكنكم قول ذلك ، ولا أنا أريده ، ولكن أريد أن هذا أمر قد وقع لمن حصل التسليم منكم فيه أنه غير نبى . فما الفرق بينه وبين ما كنا بسبيله أولاً ؟ اللهم إلا أن نستعين على ذلك بقرينة أخرى ، أو بقرائن من غير القرآن ، فتكون حينئذ قد جعلت القرآن غير مستقل بإثبات نبوة نبيكم . وليس هذا قول أئمتكم .

وأخذ يقرر أشياء من هذا القبيل يتحذر فيها من تنفيرى ، فيتأدب مع القرآن عند ذكره ، ويعظم النبى (صلى الله عليه وسلم) متى عرض له ذكرها ، ويقول :

النظر في هذا أحقُّ عليك منه على .

فأدركنى والله انبعاث عظيم للزيادة على البيتين لم أر أكد على منسه في الوقت ، ولا ألجم لذلك المخزى منها ، فأخذت أبدى له الفرق بين المسألتين بطرائف (٨٤) البراهين الأصولية والأقوال العلمية ، وخاطرى مشغل

بالتفرغ للزيادة عليهما ، وهو يقول فى كل
ما أقول له :

- قد سمعت هذا وناظرنى به فلان .

فقلت له : كذا .

{ فقال } : وسمعت هذا الآخر ، وقد ذكر

هذا الآخر فلان فى كتاب كذا ، واعترضنى فيه
كذا كذا كذا .

إلى أن يسر الله فى زيادة بيت واحد ،

فقلت له :

- ومع هذا فقد زاد الناس على البيتين ولم

يغفلوا عنهما .

فقال لى :

- وأين هذا ؟ فوالله ما رأيت أحداً ادعى

هذا ولا ذكره يوماً قط !

فقلت له : أنا أذكر بيتاً ثالثاً لهما
ولا أذكر الآن قائله ، ولم أر أن أنسبه لنفسى
فى الوقت ، لأننى قدرت أنه إن فعلت ذلك
لا يقع منه موقعاً مؤثراً . ثم أنشدته :

والمَهْرُ مَهْرُ الحُورِ وَهُوَ التَّقَى

بَادِرُ { به } البَكْرَةُ والمَهْرُمةُ

فلما سمعه وأعدته عليه حتى فهمه فكأنما
ألقمته حجراً ، ورأيت فيه من الانكسار لذلك
مالم أراه عند سماع الحجج العقلية والمآخذ
الأصولية . فأخذ فى الثناء على ، وأخذ
أصحابه يسألونه عن تفهيم ما قلته له ،
فأفهمهم إياه ، وقيدوا البيت . ولم أنفصل إلا
وهم كالمسلمين فى انقطاع شبهتهم ، قطع الله
دايرهم ! ..

* *

* * *

الضميمة الثانية

نص الحريري في المقامة السادسة والأربعين حول البيتين اللذين تحدى بهما الأتباء (٨٦)

سَمْعُكَ ، ولا هُزِمَ جَمْعُكَ ، وأنشد من غير
تَلَبُّثٍ ، ولا تَرَبُّثٍ :

سِمَ سِمَةٍ تحسن آثارها
واشكر لِمَن أعطى ولو سِمِيسِمَةً
والمكرُ مَهْمَا اسطعْتَ لا تَأْتِهِ
لتقتنى السُّؤْدُودَ والمكرُمَةَ
فقال له : أجدت يازُغُلُولَ ، يا أبا
الغُلُولِ ! » .

» ... ثم أهاب { الشيخ مؤدب الصبيان
الذي ينكشف في نهاية المقامة أنه أبو زيد
السروجي } بفتى فتان ، يسفر عن أزهار
بستان ، فقال له : أنشد البيتين المطرفين ،
المشتبهى الطرفين ، اللذين أسكتا كل نافث ،
وأما أن يُعَزَّزًا بثالث ، فقال له : اسمع لا وقِّر

محمود علي مكي

عضو المجمع

* *

* * *

حواشي المقال

(١) يعود الفضل الأول في التنبيه على أهمية موضوع الجدل الديني المسيحي الإسلامي إلى المستشرق الإسباني الجليل ميكيل دي إيبالزا في مقاله « ملاحظات حول تاريخ حركة الجدل الإسلامية ضد العقيدة المسيحية في الغرب الإسلامي » :

Mikel de Epalza : Notes pour une histoire des polémiques dans l'Occident musulman, Arabica, vol. XVIII, fasc.1, fevrier, 1971, pp. 99-106

وانظر كذلك بحث محمد المتونى : مناقشات أصول الديانات في المغرب الوسيط والحديث ، مجلة البحث العلمي الصادرة في المغرب ، الرباط ، السنة الخامسة ، رقم ١٣ ، ١٩٦٨ ، ص ٢٣-٣٢

(٢) انظر رامون منندث بيدال : أصول اللغة الإسبانية :

Ramón Menéndez Pidal : Orígenes del espanol, Madrid, 1950, pp. 417-418

(٣) أبو مروان حيان بن خلف القرطبي : المقتبس من أبناء الأندلس ، تحقيق محمود علي مكي ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ١٣٨

(٤) نفس المصدر ص ١٤٢

(٥) عن هذه الشخصيات المسيحية وكتاباتهم عن الإسلام انظر :

Francisco Simonet : Los Mozárabes de España, Madrid, 1897-1903, pp. 340 ss ;

Isidro de las Cagigas : Los Mozárabes, Madrid, 1947, I, pp. 193-221 ;

Reinhardt Dozy : Histoire des musulmans d'Espagne, I, pp. 392-427, 438-445;

E. Lévi-Provençal : Histoire de L'Espagne musulmane, I, pp. 291-303;

(٦) أبدى المستشرق الهولندي راينهاردت دوزي دهشته من كون رجال الدين المسيحيين قد صوّروا العقيدة الإسلامية تصويراً مشوهاً إلى أبعد حد منع أن معرفتهم بالإسلام كان ينبغي أن تصبح أوثق وأصح بحكم ذلك التعايش الحميم مع المسلمين ، فهو يذكر أن القديس إيولوخيو في حديثه عن رسول الإسلام محمد (صلى الله عليه وسلم) بدلا من أن يرجع إلى الكتب العربية أو حتى إلى أبناء ملته الذين عرفوا الكثير عن الإسلام إذا به يستمد معارفه عن مخطوط قديم وقع في يده بمحض الصدفة في أحد أديرة بنبلونة Pamplona (في أقصى شمالي إسبانيا) ، هذا مع أنه كان من أوسع رجال الدين المسيحي ثقافة ومن أقدرهم على التعامل مع كتب المسلمين بشكل مباشر ، فقد كان يجيد العربية كما كان يجيدها تلميذه ألبارو القرطبي ، وكان بوسعه أن يقرأ ماكتب بها .
انظر :

R. Dozy : Historia de los musulmanes de España, trad. esp. por Federico de Castro, ed. Buenos Aires, 1946, I, pp. 394-395.

(٧) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، القاهرة ١٣٢١ هـ . ١٩٠٤ م ، ١/٤٨-٦٥ ، ٢/٩٠-٩١ (في مناقشة فرق المسيحية) و « رسالة الرد على ابن النخيلة اليهودي » ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٤٥-٨١ (في مناقشة طوائف اليهود) .

(٨) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٩ - القسم الأول ص ٧٦٧

(٩) انظر تقديم الدكتور إحسان عباس لرسالة الرد على ابن النخيلة ص ١٣

(١٠) قام بدراسة هاتين الرسالتين ونشر رد الفقيه الباجي عدد من الباحثين نذكر منهم :

D. M. Dunlop : A Christian Mission to Muslim Spain in the 11th Century, Al-Andalus, vol. XVIII, 1952, pp. 259-310;

Jacinto Bosch Vilá : A propósito de una misión cristiana a la Corte de al-Muqtadir Ibn Húd, Tamuda (Tetuán), 1954, Sem. 1, p. 97;

Allan Cutler : Who was the "Monk of France" and when did he write ?, Al-Andalus, vol. XXIII, 1963, pp. 249-269;

Abdelmagid Turki : La lettre du "Moine de France" a Al-Muqtadir billáh, roi de Saragosse, et la réponse d'Al-Báyî, le faqih andalou, Al-Andalus, vol. XXXI, pp. 73-153.

(١١) انظر ترجمة عبد الملك بن مسرة في الصلة لابن بشكوال القاهرة ١٩٥٥ ، رقم ٧٧٨ ص ٣٤٨ ، والديباج المذهب لابن فرحون ص ١٥٧

(١٢) انظر فهرسة ابن خير ، تحقيق فرانسسكو كوديرا وخوليان ريبيرا ، سرقسطة ١٨٩٣ ، ص ٤١٨

(١٣) انظر ترجمة مفرج هذا في التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق فرانسسكو كوديرا ، مدريد ١٨٨٦ ، رقم ١١٤٩ ص ٣٩٩

(١٤) الإعلام ، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ، القاهرة ١٩٨٠ ص ٤٩ ، وقد ورد اسم ابن مسرة في المطبوع محرفا إلى « ابن ميسرة » .

(١٥) في ترجمة ابن أبي عبيدة الخزرجي انظر التكملة لابن الأبار ، القسم الأول ، تحقيق الفريد بل وابن أبي شنب ، الجزائر ١٩٢٠ ، رقم ٢٢٣ ص ١٠٤ ، الديباج المذهب لابن فرحون ،

القاهرة ١٣٥١ (١٩٣٣) ص ٥٠-٥١ ، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي (على هامش الديباج) ص ٥٩ ، وأوفى ترجمة له في كتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي ، السفر الأول ، تحقيق الدكتور محمد بنشريف - بيروت ، بدون تاريخ ، رقم ٣٠٨ ص ٢٣٩-٢٤١

(16) Fernando de la Granja : Milagros españoles en una obra polémica musulmana, Al-Andalus, vol. XXXIII, 1968, pp. 311-365.

(١٧) حول هذه الترجمة وشخصية الملك المسيحي الذي أمر بها هناك دراسة بقلم الباحث ج. كريتشيك بعنوان «بيتر الجليل والإسلام» :

J. Kritzek : Peter the Venerable and Islam, Princeton, 1964

(١٨) انظر فرناندو دي لاجرانجا في دراسته المشار إليها ص ٣٢٣-٣٢٤ وحول حركة المترجمين بطليطلة انظر أنخل جونثالث بالثيا : تاريخ الفكر الأندلسي (ترجمة الدكتور حسين مؤنس) ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٥٣٦-٥٤٠

(١٩) انظر ترجمته في معجم أصحاب أبي على الصدفى لابن الأبار ، تحقيق فرانسيسكو كوديرا ، مدريد ١٨٨٥ ، رقم ٢٠٨ ص ٢٢٨-٢٢٩ ، والإحاطة لابن الخطيب ، نشر محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٧٥ ، ٤٠٤/٣

(٢٠) ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، القسم الموحدى ، بيروت ١٩٨٥ ، ص ٣٦٧

(٢١) البيان المغرب ص ٤٣٢ . وحول هذه السنوات المضطربة من حياة مرسية انظر كتاب جاسبار رميرو : تاريخ مرسية الإسلامية :

M. Gaspar Remiro : Historia de Murcia musulmana, Zaragoza, 1905, pp. 291-313

(٢٢) حول جهود ألفونسو الحكيم الثقافية انظر تاريخ الفكر الأندلسي لبالنثيا ص ٥٧٣-٥٧٦ وكذلك أجوادو بلييه : مجمل تاريخ إسبانيا .

Aguado Bleye : Manual de historia de España, Madrid, 1947, pp. 935-936

(٢٣) الإحاطة لابن الخطيب ٦٧/٣-٦٨

(٢٤) نفس المصدر السابق .

(٢٥) حول ابن سبعين انظر ترجمته في الإحاطة ٣٤/٤ والكتاب الذي أفردته لدراسة حياته ومذهبه الدكتور أبو الوفا الغنيمي التفتازاني : ابن سبعين وفلسفته الصوفية ، بيروت ١٩٧٣

(٢٦) عن « المسائل الصقلية » انظر كتاب التفتازاني المذكور ص ١٠٨-١١٧ والملاحظات القيمة التي أوردها الدكتور حسن حنفي في مقاله « روح الأندلس وتهيئة الغرب الحديث : قراءة في المسائل الصقلية لابن سبعين ، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة العدد ٥٣ - مارس ١٩٩٢ ص ٧٢-٥٣

(٢٧) انظر الحلة السيرة لابن الأبار القضاعي البلسي ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ ، ٣١٤/٢

(٢٨) الإحاطة ٨٠/٣

(٢٩) الإحاطة ٤٣١/٢-٤٣٢

(30) Fernando de la Granja : Una polémica peligrosa en Murcia en tiempos de Alfonso el Sabio, Al-Andalus, vol. XXX, 1966, pp. 47-72

(٣١) في ترجمة رشيق هذا انظر التكملة لابن الأبار ، القسم الأول ، تحقيق الفريد بل وابن أبي شنب ، الجزائر ١٩١٥ ، رقم ١٦ ص ١٣ ؛ والذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي ، السفر الأول ، رقم ١٥٤ ص ١١٦

(٣٢) ترجمته فى جذوة المقتبس للحميدى ، رقم ٢٠٧ ص ١١٤-١١٦ ؛ الحلة السيرة لابن الأبار ١٢٨/٢-١٢٩ ، معجم الأدباء لياقوت الحموى ٣٣/٣-٣٤

(٣٣) غير أن الدكتور عصام سيسالم فى دراسته القيمة حول تاريخ الجزائر الشرقية يدرجه فى قائمة قضاة الجزيرة لا ولايتها ، انظر « جزر الأندلس المنسية » ، ط . بيروت ١٩٨٠ ص ٥٠٤

(٣٤) فى هذه الأحداث انظر كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بنى زيرى الذى نشره ليفى بروفنسال بعنوان « مذكرات الأمير عبدالله [بن بلقين] آخر ملوك بنى زيرى بغرناطة ، نشر دارالمعارف ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٧٩-٨١ ، ١١٠-١١٢ ، ١٤٤ ؛ وقلائد العقيان للفتح بن خاقان ، ط . تونس ١٩٦٦ ص ١٠٢ ؛ والذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام القسم الثالث ٢٥/١-٢٦ ؛ والحلة السيرة لابن الأبار ١١٦/٢-١٢٥ ، ١٣٥ ، ١٤٠-١٤٨ ، ١٧٢-١٧٥ ؛ والمغرب فى حلى المغرب لابن سعيد ٣٨٩/١-٣٩٠ ، والمعجب لعبد الواحد المراكشى ص ١٨١-١٨٢ ، ١٩٢ ؛ والحلل الموشية ، تحقيق عبد القادر زمامة وسهيل زكار ، الدار البيضاء ١٩٧٩ ص ٦٩-٧٠

(٣٥) الصلة لابن بشكوال ، رقم ١١٤ ص ٥٧ وهناك فتوى له نقلها صاحب المعيار المغرب (٤٠٣/٩) وعلق عليها ابن سهل .

(٣٦) معجم أصحاب أبى على الصدفى ، رقم ٣٤٩ ص ٢٦٨ ؛ والتكملة (كوديرا) رقم ١٨١٩ ص ٦٥٤ ، وقد ترجم له ابن عبد الملك أيضا ولكنه ذكر أنه توفى قبل سنة ٥٢٠ - الذيل والتكملة ، السفر السادس ، رقم ٧٤٢ ص ٢٨٢-٢٨٣

(٣٧) انظر ترجمة عتيق المذكور فى الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، رقم ٢٣٢ ص ١١٩-١٢٠ ، وانظر كذلك السفر الأول ص ٥١١

(٣٨) الذيل والتكملة ، السفر الأول ص ٤٠

(٣٩) الذيل والتكملة ، السفر السادس ص ٥٣

(٤٠) الديباج المذهب ص ١٠٥ ؛ وحسن المحاضرة لجلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٧ - ٤٥٥/١

(٤١) الديباج ص ٣٢٨ ؛ وحسن المحاضرة ٤٥٨/١

(٤٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي ، ط . حيدر اباد الدكن ، سنة ١٣٥٠ (١٩٣٢) - ١٧٤/٤

(٤٣) الإحاطة ٤٠٦/٤

(٤٤) نفس المصدر والصفحة .

(٤٥) الذيل والتكملة ، السفر السادس ، رقم ٢٤٤ ص ٩٧

(٤٦) الإحاطة ٤٧٢/١ - ٤٧٦

(٤٧) في ترجمة ابن رشيقي الواردة في كتاب « بلغة الأمنية » أنه ولي أيضا قضاء سبتة ، غير أننا نعتقد أنه لم يجاوز خطة الكتابة . انظر « بلغة الأمنية ومقصد اللبيب ، فيمن كان بسبتة من مدرس وأستاذ وطبيب » لمؤلف مجهول ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الرباط ١٩٨٤ ، ص ٢٢

(٤٨) الإحاطة ٤٠١/٣

(٤٩) الإحاطة ٢٨٩/١

(٥٠) الإحاطة ١٣/٤

(٥١) راجع عن هذه السفرة الدائرية التي أصبحت تدعى « الشطرنج الرومي » الملاحظة الطريفة التي أوردها فرناندو دي لاجرانخا في مقاله الذي سبق أن أشرنا إليه في مجلة الأندلس ص ٥٢ ،
حاشية ١١

(٥٢) انظر مناقشة هذه القضية وتصحيح نسبة الكتاب في مقال فرناندو دي لاجرانخا
ص ٥٣-٥٥

(٥٣) على بن أبي زرع الفاسي : الأئيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، نشر دار المنصور ، الرباط ١٩٧٣ ، ص ١٨١

(٥٤) نفس المصدر ص ٢٥٨ ونقل ابن القاضى الحبر وتصويب ابن أبى زرع له . انظر أحمد بن محمد بن أبى العافية المكناسى المعروف بابن القاضى : جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، نشر دار المنصور ، الرباط ١٩٧٣ ، ص ٤٩٢ . ويلاحظ أن اسم المؤلف ورد فى الترجمة التى أفردها له وفى المواضع الأخرى بصيغة «حسن» محرفا عن «حسين» (انظر الجذوة رقم ١٤٢ ص ١٨٠ وكذلك ص ٥٤٨) .

(٥٥) مقدمة ابن خلدون ، نشر المكتبة التجارية ، دون تاريخ ، ص ٥

(٥٦) نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، على هامش الديباج المذهب لابن فرحون ص ٩ ؛ وحول كتب ابن رشيقة الثلاثة : التاريخ وميزان العمل ومختصر ترتيب المدارك انظر كذلك عبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، تطوان ١٩٥٠ ، ص ٢٩٠ و ١٩٦ و ٣٠٩ على الترتيب .

(٥٧) فى مقاله السابق ذكره ٥٩-٦٠

(٥٨) صاحب هذه النسبة هو المستشرق الإسبانى فرانسيسكو سيمونيت فى مقدمة «معجم الألفاظ الأيبيرية واللاتينية المستخدمة بين المستعربين» :

Francisco Simonet : Glosario de voces ibéricas y latinas usadas entre los mozárabes, Madrid, 1888, pp. CLXIV-CLXV

(٥٩) قام بنشر هذا المعجم المستشرق الإيطالى تشليستينو سكياباريللى Celestino Schiaparelli فى فلورنسا Firenze سنة ١٨٧١

(٦٠) فى مقاله المشار إليه ص ٦٠-٦٢

(٦١) أوردنا نص المناظرة كما جاءت فى «المعيار المغرب» فى الضميمة الأولى من هذه الدراسة .

(٦٢) نقلنا فى الضميمة الثانية من المقامة السادسة والأربعين النص الذى يتضمن تحدى الحريرى للأدباء .

(٦٣) انظر النص فى مقال عبد المجيد التركى الذى أسلفنا الإشارة إليه :

Abdelmagid al-Turki : La lettre du "moine de France", pp. 108-109

(٦٤) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ١٠٦/١

(٦٥) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاوى : إعجاز القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٢٩-٣٠

(٦٦) الذيل والتكملة بقية السفر الرابع ص ٤٩ - ٥٣

(٦٧) نفس المصدر ص ٤٩

(٦٨) نفع الطيب ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ ، ٢٣/٤ ، وقد أشار فرناندوى لاجرانخا إلى هذا النص فى مقاله (ص ٦٤) ولكنه فهم منه أن المقرئ رأى هذه الشواهد فى كتاب «المغرب» (بضم الميم) لابن سعيد ، غير أن المقصود هنا هو بلاد المغرب (بفتح الميم) .

(69) Ramon Menéndez Pelayo : Origenes de la novela, Madrid, 1961, pp. 66-69

(٧٠) ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، ص ١٨٠-١٨١ ، ٥٩٢

(٧١) انظر خوسيه ماريا ملياس فاليكروسا : الشعر الدينى العبرى الإشبانى :

José Maria Millas Vallicrosa : La poesia sagrada hebraicoespañola, Barcelona, 1948, pp. 125-134

وكذلك الملاحظات القيمة التى سجلها حول هذا الموضوع الدكتور أحمد مختار العبادى فى مقاله «مقامة العيد لأبى محمد عبد الله الأزدي» فى صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلد الثانى ١٩٥٤ ص ١٦٤-١٦٦

(٧٢) انظر ملاحظاتنا حول هذا التأثير المحتمل في بحثنا في كتاب «أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية» (فصل الأدب) ، نشر الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة ، القاهرة ١٩٨٧ ص ٨٠-٨٤.

(٧٢م) هذا الاعتراض هو الذى أورد خلاصته الباحث الأمريكى جيمس ت . مونرو فى دراسته الممتازة عن بديع الزمان الهمذانى ومقاماته ، حيث يقول : «لقد اقترح البعض أن يكون للمقامات العربية دور فى نشأة الفن القصصى المعروف بالبيكارسك (قصص الشطارة) فى الأدب الإسباني . غير أن الاعتراض الأكبر على هذا الغرض هو أنه لم يكشف بعد عن الوسائل التى أمكن بها نقل هذا الأدب [العربى] إلى الأوساط الإسبانية» . انظر .

James T. Monroe : The art of Badi az-Zaman al-Hamadhānī as Picaresque Narrative, American University of Beirut, Beirut, 1983, p 15.

(٧٣) ورد النص فى كتاب «المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب» للفقير أحمد بن يحيى الونشريسي (المتوفى سنة ٩١٤/١٥٠٨) ، بيروت ١٩٨١ ، الجزء الحادى عشر ص ١٥٥-١٥٨

(٧٤) كذا فى الأصل ، ولا بأس بهذه القراءة ، ولو أن اللفظ يمكن أن يكون «كنت» أيضا . وهو وجه أصح ، لأن هذه الرسالة لم تكتب فى مرسية ، بل فى موضع آخر فى الأندلس أو المغرب كان فى حكم الإسلام ولم تلحقه سلطة المسيحية ، وفى تاريخ متأخر عن زمن المناظرة ، وهو مايفهم من العبارة التالية .

(٧٥) المقصود بطاغية الروم حسبما انتهى إليه استنتاجنا هو فردلند أو فرناندو (الثالث) الملقب بالقدیس Fernando III, el Santo (حكم بين سنتى ٦١٤ و ١٢١٧/٦٥٠-١٢٥٢) وهو الذى انتزع قرطبة وجيان وإشبيلية من أيدي المسلمين . أما مرسية فهى التى سألها أهلها معترفين بسلطته وإن ظلوا يدبرون أمر مدينتهم ، وذلك فى نحو سنة ٦٤٠ (١٢٤٣) . وهذا هو المقصود بقول

ابن رشيق فى الرسالة « أيام محنة أهلها بالدجن » . وكانت مصالحة أهل مرسية لفرناندو الثالث على يد ابنه وولى عهده ألفونسو (العاشر) الملقب بالحكيم .

(٧٦) فى الأصل : قسيسهم .

(٧٧) والده هو أبو بكر عتيق بن الحسين بن عبد الله بن محمد الذى ولد على ما يبدو فى بياصة Baeza ونزل مرسية وبها توفى . وامتدت حياته بين سنتى ٥٨١ و ٦٦١ (١١٨٥-١٢٦٣) . انظر ترجمتنا له فى ص ١٧٤ من هذا البحث والحاشية رقم ٣٧ . وترجم ابن رشيق على والده يدل على أن هذه الرسالة كتبت بعد وفاته أى سنة ٦٦١ (١٢٦٣) .

(٧٨) جرى العرف فى الفقه الإسلامى أن اليمين يجب أن تؤدى حيث يعظم الخالف سواء أكان مسلماً أم ذمياً ، فالمسلم يؤديها فى المسجد والمسيحى فى الكنيسة . انظر المعيار العرب ٣٠٩/١٠ .

(٧٩) تمام آتى التحدى هما : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » (سورة البقرة ، الآيتان ٢٣ ، ٢٤) .

(٨٠) ربما كان فى هذا دليل على أن القسيس صاحب المناظرة يبعد أن يكون رامون مارتى (أومرتين) الذى ينسب إليه أنه عارض القرآن الكريم . انظر بحثنا هذا ص ٥٨-٦٠ والحواشى

(٨١) فى الأصل : « البيتين والمطربين » محرفاً عما أثبتنا .

(٨٢) فى الأصل : يحسن .

(٨٣) فى الأصل : ... استطعت ... لتنتقى ، تحريفاً عما أثبتنا .

(٨٤) كذا فى الأصل ، وقد تكون « بطرائق » .

(٨٥) فى الأصل تنقص « به » وبغيرها يختل الوزن ولا يتم المعنى ، ومعنى البيت أن من يرغب فى الزواج عليه أن يبادر بتقديم المهر سواء أكانت المرأة التى يريد البناء بها بكرةً شابة أم عجوزاً

هرمة . هذا وتلاحظ تشابها كبيرا بين بيت ابن رشيق هذا والبيت الذى نظمه فى معارضة الحريرى الأديب الإشبيلى سلام بن عبد الله بن سلام الباهلى (توفى سنة ٥٤٤/١١٤٩) :

والمَهْرَمَةُ لَا تُغْلِيهِ أَوْ تَرَى شَدِيدَةَ الْبَعْدِ عَنِ الْمَهْرَمَةِ

(ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع ص ٤٩) . وقد انتقد ابن عبد الملك هذا البيت فوصفه بالتكلف ، كما أنه نبه إلى اختلال شرط اشتباه الطرفين فيه باشتمال مفتتحه على واو العطف وخلو خاتمته منها (ص ٥٠) وهو عيب يخلو منه بيت ابن رشيق المذكور . كذلك أورد ابن عبد الملك فى نفس الصفحة بيتا آخر لأبى زيد التميمى استخدم فيه المهرمة فى طرفى البيت هو :

والمَهْرَمَةُ الْعَيْنُ لَا تُغْلِيهِ فَإِنَّهُ مَهْمًا غَلًا مَهْرَمَةً

(٨٦) مقامات الحريرى بشرح أبى العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسى الشريشى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٧٦ ، الجزء الخامس ص ٢٣٦-٢٣٧

* *

* * *

تعريب العلوم - القضية ★

للاستاذ / أحمد شفيق الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة الرئيس

أيها الزملاء الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدار مؤتمرا لهذا العام يحتمل محورين :

تعريب العلوم - القضية

تعريب العلوم - الوسيلة

رداً على رأي مؤيدٍ لمحررٍ معروف في إحدى
الصحف اللبنانية البارزة (١) ، وبالتالي حداني
إلى اختيار المحور الأول مداراً لحديثي اليوم في
مؤتمرا هذا . فقضية تعريب العلوم التي
نتحاور بصدها في مراحل التعليم العالي لمّا
تُحسم بعدُ في مراحل التعليم الدنيا ، على نطق
تضيّق أو تتّسع ، في كثير من أرجاء الوطن
العربي .

أيها العلماء الأجلاء

موضوع تعريب العلوم - وبالتالي تعريب
العلوم في مختلف مراحل الدراسة الابتدائية
والثانوية والعالية - عولج بمحوريه ، قضية
ووسيلة ، في العديد من الندوات والمؤتمرات
التي كان لي ، كما كان للكثيرين منكم ،

وكان يُفترض أن أختار ثانيهما كون لي
خبرة عملية ، تعليمية ومهنية ، في هذا المحور
على مدى العقود الأربعة الماضية . لكن الجدل
الذي أثير مؤخراً حول تعليم العلوم والرياضيات
بلغة أجنبية في المرحلة الابتدائية ، في الأوساط
التربوية والإعلامية في موطن مقامي الطيّب :
« لبنان » ، حفزني إلى المشاركة في ذلك الجدل

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر المنعقدة بسوم الأحد ٢٩ من شوال سنة ١٤١٤هـ الموافق

١٠ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤م

(١) انظر الملحق الأول (أ و ب) في آخر هذا البحث .

شرفٌ وواجبٌ حضورها في الرباط وتونس والقاهرة وعمّان ، والمشاركة بمداولاتها . وهكذا فإن الحديث في هذا الموضوع بكلا محوريه لا بدّ أن يأتي في الكثير منه ، أو في بعضه على الأقل ، على إعادة لما سلف أن قلناه أو قلّتموه أو سيقوله سوى من الزملاء في مؤتمرنا الجامع هذا ، أو سيقوله آخرون في مؤتمرات وندواتٍ تالية لاحقاً .

لكن هذا الموضوع هو من الأهمية بمكان ، حتى إن مللَ الإعادة منه لا ينبغي أن يمنعنا من تكرار الحديث فيه - أو لعله كما يقولون :

ما كلُّ معادٍ مُملٍّ ، ولا كلُّ مُعيدٍ مخِلٍّ .

يقول ابن جني : « إن اللغة أصواتٌ يعبر بها كلُّ قوم عن أغراضهم » . هذا القول صحيح ، لكنه بحاجة إلى توسيع . فليست اللغة أداة للتعبير فقط ، ولا هي وسيلة الفكر ووعاؤه فحسب ، إنها بعضُ الفكر وأداته ، بل لعلها كما يقول بعضهم هي الفكر بذاته .

وإذا كانت مقولة هربارت^(١) وأتباعه من فلاسفة التربية وعلم النفس التربوي في أن المعلومات التي يكتسبها الإنسان ، في سنواته الأولى الأربع بخاصة ، تؤلف كتلة الاستيعاب

التي تكون قد تنشأت قبل دخوله المدرسة ، وأن تعلم أي معلومة لاحقاً لا بد أن تتمثله كتلة الاستيعاب تلك ، تفهماً وقبولاً ، فتتنامي بها ؛ إذا كانت هذه المقولة صحيحة! ، وأنا أشارك القائلين بذلك ، فإن مقولة « إن اللغة هي الفكر وأداته » صحيحة أيضاً .

وهذا يفسّر كون أن يتعلم الإنسان الأساسيات العلمية والرياضية وسواها بلغته الأم أمراً بديهياً عند جميع الناس في كلِّ أنحاء العالم إلا - للأسف - ، عندنا في مختلف أرجاء العالم العربي .

الدكتور إسحق الفرحان عضو مجمع اللغة العربية الأردني يروي أنه كان بصحبة وزير التربية الأردني يحضران حفلاً للسفارة الكورية في عمّان ، فسأل وزير التربية السفير الكوري : بأي لغة تدرسون الطب والهندسة والعلوم في بلادكم ؟ فلم يجبه السفير . ولما كررتُ أنا السؤال ، يقول الدكتور ، نظر إلى السفير قائلاً : « وهل هذا سؤالٌ يُسألُ ، بالكورية ، طبعاً » .

السفير الكوري ربما كان جافى الرد ، ولكنه كان مُحِقّاً في اعتبار أنه من السخف أن يُعلم

(١) الفيلسوف الألماني جوهان فردريك هربارت ١٧٧٦ - ١٨٤١

الناسُ موادَّ العلوم أو يتعلَّموها في بلادهم
بغير لغتهم القومية .

هذا في بلاد الناس ، أمَّا في بلادنا
فموضوع تعليم العلوم بغير العربية لا يزال
مجال أخذ وردٍّ ، ونقاشاً يصل أحياناً إلى حد
المُشاقَّة - حتى لنرى أنه كلما قاربت حركات
التعريب النجاح أو كادت ، سرعان ما تنشط
حركات التغريب في الانقضاض عليها
وعرقلتها أو حتى إجهاضها . والأمثلة على
ذلك في مشرق العالم العربى ومغربه غيرُ
خافية عن اطلاع حضراتكم . فلكنَّ ذلك
يذكِّرنا بالحروب المعلنة وغير المعلنة التى كانت
تُشنُّ على اللغة العربية من قِبَل سياسات
التجهيل والاستعمار والانتداب .

لقد كان المتدبِّرون والمستعمرون يرون في
اللغة العربية ، لغة الدين والتراث والتاريخ
المشترك ، عاملاً توحيداً فى الوطن العربى
يَقْضُ مضاجعهم ، فبذلوا ما فى وسعهم لمحاربة
هذا العنصر بشتى الطرق - مستغلِّين خلاتنا
الجاهلية وانتماؤنا القَبَلِيَّة والعرقية
والطائفية ، والمذهبية ، ونحن مسوقون ندرى
ولا ندرى .

ولا ننكر أنهم حققوا الكثير من مبتغاهم
حين أفتوا ، ونفذوا فتواهم كَرها ، بعدم
صلاحية اللغة العربية لأن تكون لغة العلم
والحضاريات التَّقانية المعاصرة ؛ وقرنوا هذه ،
مع المكانة الاجتماعية وإمكانيات الرفاه ،
باللغة الأجنبية . واستطاعوا بفعل الإشراف
النفسانى وطول الممارسة أن يؤصِّلوا فينا مركب
النقص لتقبُّل هذا الواقع الشاذ كأمر طبيعى ،
بقوة الاستمرار .

وهم طبعاً ما تفنَّوا إلا ما أمكَّته مبادئ
السياسات المتعارفة فى إخضاع الشعوب عن
طريق قهرهم وإذلالهم بإذلال تراثهم وتقاليدهم
وإضعاف لغاتهم القومية وحجبها عن دورها
الطبيعى الاجتماعى والحضارى .

نحن اليوم - حمداً لله - تخلصنا من
الاستعمار ، لكنَّ بلوانا به باقيةٌ - ليس فقط
بالغرس السرطانى الوبيل الذى أنشبه فى
كياننا قبل رحيله، وغذاه ونمَّاه فيما بعدُ فقط ،
بل أيضاً بترسُّبات تلك السياسات المسمومة
الشرسة التى مافتتت فاعلة فى ثنايانا كامنة
أو ظاهرةً ، عن قصد أو عن غير قصد .

هذه الترسُّبات ، فى يقينى ، هى المسؤولة
عن حركات الرَّدَّة التى تعرفون ، والتى يحقُّ
فيها أن تقاوم باليد واللسان والقلب .

حُجِّجُ المرتدِّين عن التعريب ، كما هي حجج معارضيه ، تتلخص دوماً في ناحيتين :

أولاهما : أن اللغة العربية تُقيّد التطورَ العلمى والحضارى وتقف حِجرَ عَثرةٍ فى سبيلهما ،

وثانيتها : أن إتقان لغةٍ أجنبية ، هو فى عالمنا المعاصر ، ضرورى لإبقاء التواصل الحضارى مع العالم حولنا بتقنياته وإنجازاته . وهذه الناحية لاختلاف واقعيّ فيها ، إنما هى فى حقيقة الأمر قضيةٌ حقٌّ أُريدَ بها باطل . وسأعود إلى هذه الناحية لاحقاً فى حديثى ، لأتناول الناحية الأولى قبلاً .

علماء اللغات متفقون على أن اللغة ، أى لغةٍ ، بوصفها مؤسسة بشرية لخدمة الفكر ، لا يمكن أن تكون عاجزة عن ذلك - إذا كان هذا الفكر ناشطاً ومبدعاً . والبراهين على مقولتهم هذه بيّنة بارزة حوالينا كما فى أقاصى المعمورة وأواسطها .

وإذا كان هذا يصح فى أى لغة ، فإنه بالأحرى يصحُّ فى لغة الأدب والتراث الخالدين - فى اللغة العربية ، المتميّزة بين اللغات بخصائصها الذاتية وقابليتها المرنة

للنمو والتطور ، الفذة بلاغةً وفصاحةً وقدرةً على التعبير - بما أهلها لأن ينزل بها ذكر الله الحكيم . كما أهلها بجدارة لتكون لغة العلم والحضارة الإنسانية فى العصور الوسطى . فبواسطتها تعرّف العالم الغربى ، عن طريق نقلتها إلى اللاتينية ، علوم الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والكيمياء وغيرها .

اللغة العربية لا ينقصها خصائص اللغة العلمية ولا مقوماتها . والذين يتهمون العربية بالعجز عن مجاراة التطورات الحضارية العلمية إنما يعترفون بعجزهم هم ، وبعجزنا نحن أو غاليبتنا فى دنيا العرب .

أيام صدقت النية وشمخت المعنويات ، عامرةً بالثقة والإيمان ، لم يجبن السلف أمام تيارات الحضارة اليونانية والفارسية والهندية فأخذوا وأعطوا وعربوا وترجموا وألفوا وأبدعوا ؛ وانطاعت لهم العربية فكان لهم جامعاتهم فى بغداد وفاس وقرطبة والقاهرة ودمشق وتونس .

ويروى المؤرخ الفرنسى « بريفو » فى كتابه « تكوين البشرية فى القرن التاسع » كيف أن العديد من المسيحيين أخذوا العلم عن علماء

سلام ، وأن الكثير من بهرثهم الحضارة
نربية والإسلامية والعلم العربى أقبلوا على
نربية يتعلمونها ويستخدمونها فى مكاتباتهم
محادثاتهم مؤثرين إياها على اللاتينية . وقد
نب أسقف قرطبة شاكيا من ذلك يقول : إن
لغة العربية فتنتنا بعذوبة ألفاظها وبلاغة
شائها حتى لا نكاد نجد فينا من يقرأ الكتب
قدسة باللاتينية . وشبابنا الأذكيا جميعا
يعرفون غير لغة العرب وآدابهم - وكلما
أوا كتبها ودرسوا آدابها ازدادوا إعجابا بها .
إذا حدثتهم عن كتاب من الكتب اللاتينية
سخرؤا منه ، وقالوا إن الفائدة منه لاتساوى
تعب فى قراءته . وهكذا نسى المسيحيون
نتهم وجهلوا كتابتها وبلاغتها وحذقوا اللسان
عربى حتى ليكتبونه نثرا ونظما بأسلوب أنيق
فوقون فيه العرب أحيانا . ويرؤى الأستاذ
ريفو عن رئيس دير كلونى أنه كان يشاهد
ثناء إقامته فى الأندلس إقبال الطلبة من
رنسا وألمانيا وإنكلترا على مراكز العلم
لعربية فيبدي أسفه لتلك الظاهرة (١) .

والأدلة على المكانة العلمية للغة العربية
حيث لا تُعوزنا - فهناك مئات الألفاظ فى
الفلك والكيمياء والطب والجغرافيا
والرياضيات التى أخذتها اللغات العلمية عنها ،
وهناك أيضا ما حفظته لنا خزانة قرطبة ذات
الستمائة ألف مجلد فى مختلف العلوم والفنون
والآداب - من بينها مؤلفات ظلت تدرس فى
جامعات أوروبا طوال عدة قرون . وليس عن
عبث قول المستشرق الفرنسى ماسينيون : « إن
المنهاج العلمى قد انطلق أول ما انطلق باللغة
العربية ، ومن خلال العربية فى الحضارة
الأوروبية » (٢) .

ثم دارت على العرب والعربية الدوائر ،
فركد العلم وخمد البحث العلمى فى دنيانا
طوال عصر الانحطاط المديد فركدت اللغة
العربية وخمدت .

العجز الذى يعزونه إلى اللغة العربية إذن
ليس فى العربية بل فى أهلها اليوم ، فى بيئة
الجمود والاتكالية الغيبية والكسل العقلى
والانهزامية والقصور ، التى سادت نتيجة

(١) د . محمد السوسى - محاضرة فى المجلس العلمى للمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، تونس ،

ديسمبر ١٩٨٤

(٢) د . مناف مهدى محمد - اللسان العربى ، العدد ٣٠

لسياسات القهر والتجهيل طوال عهود الظلمة والانحطاط ، قُبيل السيطرة العثمانية وخلالها ، ثم استمرت بعدها ، بدرجات وأشكال متباينة متفاوتة في مختلف أرجاء الوطن العربى ، بفضل المخططات الغربية الخبيثة السلسلة الاندساس حيناً والشُرسة أحياناً . ولم تتجُ حركة تعريب العلوم وتعريب التعليم إجمالاً ، منذ فواتحها ، من بعض هذه المخططات .

فمع بدايات عصر النهضة العربية الحديثة أوائل القرن الماضى انطلقت العربية تأخذ طريقها مُجدداً إلى دنيا العلوم والحضارة الحديثة . وكان طبيعياً أن تتخذ مدارس محمد على القاهرية منذ تأسيسها عام ١٨٢٥ ، فى الطبِّ والهندسة والزراعة والعسكريات ، اللغة العربية وسيلةً لها فى تعليم المناهج على كلِّ المستويات - مُدعَمة بمدرسة الألسن وجهود المبعوثين فى مختلف فروع العلم .

وكذلك كانت الحال فى الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية فى بيروت لاحقاً) أواسطَ القرن الماضى أيضاً ، حيث كانت

مؤلفات المستشرقين الأمريكان ، من أمثال كرنيلوس فاندريك ويوحنا ورتبات وجورج بوست ، بمعاونة أساتذتهم العرب من أمثال بطرس البستاني واليازجيين ناصيف وإبراهيم ويوسف الأسير وأحمد فارس الشدياق ، تغطى برامج الدراسة فى علوم الطبِّ والفيزياء (الفلسفة الطبيعية حينئذ) والكيمياء والصيدلة والرياضيات والفلك وسواها بلغة عربية سليمة ومستوى علمى جيد^(١) . ولم يكن يخطر ببال رواد النهضة الحديثة ، عرباً أو أجانب من المخلصين ، التدريسُ بغير العربية - تطبيقاً لمنطق علمى براغماتى بسيط مازال هو المنطق العلمى الصحيح اليوم كما سيكون غداً .

ورافق ذاك الانتعاشُ للغة العربية إصداراتُ جديدةٌ للمعاجم العربية التراثية الشهيرة كمختار الصحاح (١٨٧٠) والقاموس المحيط (١٨٧٢) ، الذى كان جُدد على يد المعلم بطرس البستاني ونُشر مطوّلاً ومختصراً (١٨٧٠) ، ولسان العرب وأساس البلاغة (١٨٨٢) وتاج العروس (١٨٨٩) وغيرها .

(١) والذين يؤرخون للنهضة العلمية فى هذا العصر يذكرون بالخير جهود محمود قبانو ومكتب العلوم العربية الذى أنشأه أحمد باى أواسط القرن التاسع عشر فى تونس قبل أن يحتلها الفرنسيون عام ١٨٨١

وقد كان يُرجى للغة العربية في هذا العهد أن تبلغ أعلى درجات الرقي لو أُتيح لها أن تكون وتستمر لسان حال النهضة العلمية العصرية . لكن سياسات الغرب الاستعمارية ماكانت تخطط لمثل هذا الانتعاش في مسيرة اللغة العربية - وقد أخذت تستوعب أسباب الحضارة ومتطلباتها العلمية بنجاح في القاهرة وبيروت . فما أن ثبت الاجتياح البريطاني أقدامه في مصر حتى عرقل هذه المسيرة - أولا بتحويل التدريس في مدرسة الطب إلى اللغة الإنكليزية عام ١٨٨٧ (بعد سبعة عقود من الإنجازات ، ليس أقلها مصطلحيا قاموس الشذور الذهبية الذي ترجم قاموس القواميس الطبية الفرنسي لقابر - الشامل في مجلداته الثمانية كامل مصطلحات العلوم الطبية المعروفة حينئذ ، ولا أقلها طبيا اكتشاف أحد مدرسيها^(١) جرثومة البلهارسيا) . ثم أكمل البريطانيون إجهاض المسيرة تلك ثانيا ، بقرار عام ١٨٨٩ بأن تكون لغة التعليم في مختلف المعاهد المصرية اللغة الإنكليزية . فأغلقت مدرسة الألسن ، ونفى رفاعة الطهطاوي ومؤيدوه إلى السودان ،

(١) الطبيب الألماني تيودور بلهارس عام ١٨٥١

ووجهت البعثات إلى إنكلترا (بدل فرنسا وإيطاليا) .

وما هو إلا عام أو بضعة ، حتى هذا الأمريكيون في الكلية السورية الإنجيلية حذو البريطانيون ، فتحوّل التدريس فيها ، للأسف ، من العربية إلى الإنكليزية بدءاً من العام ١٨٩٠ (بعد حوالي ربع قرن من تدريس الطب والصيدلة والعلوم الطبيعية الأخرى فيها باللغة العربية بمستوى راقٍ مرموق) .

وهكذا حرمت اللغة العربية من فرصتها الذهبية وغرست بذور الشك والريبة في نفوس أبناء العربية بلغتهم - بأهم مقومات أصالتهم وحضارتهم . وفي يقين الكثيرين ، ويقيني ، أنه لو استمرت جهود معاهد العلوم الطبية والهندسية والزراعية وسواها في القاهرة ، لتتضافر مع جهود العاملين في الكلية السورية الإنجيلية بمختلف فروعها ، معززة بجهود الميامين من رجال المعهد الطبي في دمشق الذين حولوا ، بنجاح مشهود ، لغة التدريس في ذلك المعهد من التركية إلى العربية عام ١٩١٩ ، أقول : لو تم لهذه الجهود أن تتضافر لكان حال العربية اليوم غير ما هو عليه اليوم ، ولكنا تجاوزنا منذ أجيال تلك الحلقة المفرغة التي مازلنا فيها نحوم وندور .

خيار تعليم العلوم بلغة أجنبية ما كان خيرة عربية ، لا في مشرق العالم العربي ولا في مغربه . بل إن رافضى هذا الخيار ، ما فتئوا يعارضونه منذ تنفيذه . وانتفاضة الدكتور كرنيليوس فاندريك ، أحد أركان مدرسة الطب في الكلية السورية الإنجيلية ، بالاستقالة ، ومتابعته تدريس فريق الطلاب الذي انسحب معه إثر تطبيق قرار التحول ، أبلغ دليل على ذلك ، حتى لدى المخلصين من الأجانب .

كذلك نذكر حملة فريق من طلاب الكلية نفسها ومتخرجيها الغيورين عام ١٩٢٠ بهدف إرجاع لغة التدريس في الكلية (الجامعة الأمريكية في بيروت حينئذ) إلى العربية ، وتأييد العديد من الصحف وقادة الرأي البارزين في المشرق العربي لتلك الحملة (*) . فإثر نشوة الحماس العاطفي والثقافي والقومي التي واكبت تحويل لغة التدريس من التركية إلى العربية في المعهد الطبي بدمشق إثر انهيار الحكم العثماني ، قامت حملة الطلاب ومؤيديهم لتستمر قرابة ثلاث سنوات مردهة مطلب التعريب ، معتبرين أن الكلية (الجامعة)

اغتصبت حقوق الشعوب العربية بإحلال اللغة الإنكليزية محل العربية كلغة تدريس ، مما أدى إلى تخلف اللغة العربية ، فقلت فيها المؤلفات في الطب والصيدلة والعلوم الطبيعية بعد أن زهت في العقد الثامن من القرن الماضي .

وقد شغل موضوع التعريب في تلك الحقبة الكثير من صفحات المجلات المعروفة كالهلال والمقتطف والمشرق والنشرة الأسبوعية ومجلة الكلية وغيرها . وأدرج فيما يلي موجز مقال لكاتب معروف في إحدى هذه المجلات حول موضوع « تدريس العلوم بالعربية » يبين أهداف حملة التعريب تلك ومبرراتها . يقول الكاتب :

١ - إن في العود إلى التعليم باللغة العربية وهي لغة البلاد عود إلى الخطة الطبيعية والقاعدة العامة .

٢ - هذا العود ضرورة يدعو إليها التطور القومي والسياسي الذي بلغته هذه البلاد ، وتقتضيه النهضة الأدبية والعلمية العامة في مصر وسوريا والعراق .

(*) من بينهم خليل مطران ومصطفى الرافعي ومحمد كرد علي وجبران خليل جبران وعيسى المعلوف وأنطون الجميل وأمين واصف وغيرهم .

٣ - إنه واجبٌ وطنيٌ أيضاً ؛ لأن تعميم التعليم باللغة العربية يمكنُ روابط القومية بين أبنائها .

٤ - في العودة إلى التعليم باللغة العربية ثراءٌ تزداد به اللغة العربية غنىً ونموً .

٥ - التعريبُ يُسهِّلُ تناول العلم ، ويوسعُ مجال التعليم والتأليف أمام أبناء هذه البلاد ، فيستفيد التلميذُ والأستاذ والمؤلفُ والطابعُ والناشرُ .

٦ - إن العقبات التي كان يُقالُ باعتراضها سبيل التعليم باللغة العربية ممكنُ التغلب عليها ؛ فقد تيسرَ ذلك للأتراك مع أن لغتهم أحدثُ عهداً بالعلوم من اللغة العربية ودونها في غزارة المادة (١) .

ورداً على هذه الحملات ألقى الدكتور وليم فاندريك ، من أساتذة الجامعة ، مؤيداً من عمدتها ، خطاباً في مُنتدى الكلية قال فيه : « إن تغيير لغة التدريس إلى اللغة العربية صعبٌ ؛ ولكنه ممكن » . وقد عدَّدَ الدكتور فاندريك في خطابه الأضرارَ التي يجلبها على الطلبة التعليم بالإنكليزية ، فكان منها « إنك

قلماً تجد طالباً في الجامعة يتكلَّم العربية دون أن يمزج معظم كلامه بالألفاظ الإنكليزية » . ثم أتى حضرته على ذكر الصعوبات التي ارتأى أنه ينبغي التغلبُ عليها قبل تحقيق تغيير التدريس إلى العربية ، فكان أهمُّها التالية :

١ - صعوبة ترجمة الألفاظ والمصطلحات العلمية إلى اللغة العربية .

٢ - قلة الكتب والمؤلفات في اللغة العربية بحيثُ يتعذَّرُ على الطالب المطالعة والتوسع والوقوف على الاختبارات الحديثة .

٣ - صعوبة اللغة العربية على الأمريكيين وعدم إمكانهم إتقانها بوقتٍ قصير ، وقلة وجود الوطنيين الأكفاء ليقوموا بأعباء وظائفهم .

هذا يا سادتي موقف جامعة اللغة القومية لِعُمدها وغالبية أساتذتها هي اللغة الأجنبية . تعريبُ العلوم وتعريبُ تعليم العلوم ضروريٌ وممكن في أعلى مستوياته . والصعوبات التي يحدِّدها الناطق بلسان تلك الجامعة ما عاد معظمها يؤلَّف عائقاً بالقدر الذي كان يصحُّ فيه ، في حينه ، قبل سبعين عاماً .

(١) انظر هذا المقال في الملحق الثاني في هذا البحث .

فماذا يأتري يقول ، فى تحدى هذه الصعوبات ، عمداً وعمدُ جامعاتنا السبعين اليوم ، ومعظمها يدرس مواد العلوم المختلفة ، وحتى مواد العلوم الإنسانية فى بعضها ، بغير العربية ؟ فى حين تنص دساتير معظم هذه الجامعات على أن لغة التدريس هى العربية إلا فى حالات معينة استثناءً ؛ وفى حين تؤكد كل مؤتمرات خبراء التعليم والجامع ومؤتمرات الوزراء المسؤولين عن التعليم العالى والبحث العلمى فى الوطن العربى ضرورة الخروج من الحلقة المفرغة والبدا بتنفيد التعريب فى مختلف ميادين العلوم وعلى كل المستويات .

اللغة العربية باعتراف العالم أجمع ، هى اللغة الرسمية الدولية السادسة - إن كان فى مجلس الأمن أو فى المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم أو فى هيئة الأمم المتحدة ومختلف وكالاتها . لكنها للأسف فى وطنها - فى غالبية معاهد التعليم العالى بخاصة ، فى أقطارنا العربية ، هى اللغة الرسمية اسماً والدونُ فعلاً ، فى أهم مجال حياتى حضارى لدينا .

كيف لا والطالب عندنا يرى المواد الرئيسية فى مختلف العلوم وفروع الرياضيات تدرس باللغة الأجنبية ، وأنه يتقدم للامتحانات

الحاسمة فى مصيره باللغة الأجنبية ، وأن مستقبله العلمى والمهنى والاجتماعى مرتبط باللغة الأجنبية . الواقع أن هذا الموقف لا يقتصر على الطالب وحده ، فهو إلى حد تأصل فى لاوعى الأهل - ولا نبرئ أنفسنا - وأحياناً حتى فى لاوعى الأساتذة وإدارات التعليم فى الكثير من القطاعات .

أليس مؤسفاً ومذلاً أن الأكثر من عشرين بلداً من بلاد العرب ، مفردةً ومجتمعةً ، تتعاجز عن تجاوز صعوبات موهومة فى معظمها - فى حين نجح فى تجاوزها قرابة المئتين بلداً فى عالمنا اليوم - عدد سكان الكثير منها لا يتجاوز بضعة ملايين ؟

يقولون إن التعليم باللغة العربية سيكون على حساب العلم والمستوى العلمى - والبعض يصدقونهم .

قالوا هكذا عن تعليم العلوم باللغة العربية فى المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية . ثم طُبّق تعريب هذه المواد فى مختلف هذه المراحل فى غالبية أقطار الوطن العربى ، ولم ينخفض مستوى تعليم العلوم بسبب ذلك ، لا فى مصر وسوريا والعراق ولا فى تونس

والجزائر . الثابت أنه في محاولة تعريب العلوم في الجامعات الأردنية التي رعاها مجمع اللغة العربية الأردني ، أظهرت امتحانات الطلبة أن نسبة الرُسوب ، بين طلبة السنة الجامعية الأولى ، الذين درسوا كتاب علم الأحياء (البيولوجية) بالإنكليزية ، انخفضت من ٢٦٪ إلى ٤٪ بين طلبة السنة الجامعية الأولى التالية الذين درسوا الكتاب نفسه بالعربية - مغطّين مادة أوسع وبصورةٍ أعمق وأدق . وأن تحصيل الطلبة العلمي في مادة الكهرومغناطيسية ارتفع بين دارسي المادة بالعربية إلى ٨٧٪ ، بينما لم يكن يتجاوز ٥٠٪ عندما كانت المادة تُدرّس باللغة الإنكليزية (١) .

وأذكر أنه في حركة تعريب العلوم في المرحلة الإعدادية التي طبقتها مدارس جمعية المقاصد الإسلامية في لبنان أثبتت الاختبارات أن الطلاب الذين تحوّلوا إلى الإنكليزية في المرحلة الثانوية كانوا أكثر إلماما بشكل ملحوظ بالمفاهيم العلمية والرياضية من سواهم (٢) ، كما أن مشكلة التعبير باللغة الأجنبية ومتابعة

الدروس بتلك المواد فيها ، في أيامهم الأولى ، لم تؤثر على مستوى أولئك الطلبة واستيعابهم . حتى إن الإدارة لحظت أن الأسبوع الذي خُصّص لتمهيد ذلك بدراسة نصوص في اللغة الأجنبية من العلوم والرياضيات لم تكن الحاجة له ملحّة (٣) .

وقالوا إن تدريس العلوم والرياضيات في المرحلة الثانوية باللغة العربية يُعيقُ الدارس لاحقا عن متابعة الدراسة بلغة أجنبية .

وقد ثبت بطلان ذلك منذ بضعة عقود في دراسة حول خلفية الطلاب المتميزين في السنتين الأوليين في الجامعة الأمريكية على مدى نصف قرن ، فقد كشفت الدراسة تفوقا عاما ملحوظا للطلاب من بلد عربي ما كانت مدارس الثانوية في غالبيتها تعتمد اللغة الإنكليزية كلغة التدريس في مواد العلوم والرياضيات . واللافت أن مستوى أولئك الطلبة في اللغة الإنكليزية كان أفضل عموما من مستوى القادمين من مدارس تعتمد

(١) د . عبد الكريم خليفة - اللغة العربية والتعريب ، ص ١٤٧ - ١٧٠ تجربة مجمع اللغة العربية الأردني في تعريب التعليم العلمي الجامعي .

(٢) محاضرة مدير مركز إعداد المعلمين لجمعية المقاصد الخيرية في بيروت الأستاذ كامل شاهين .

(٣) المصدر نفسه .

الإنكليزية أو الفرنسية في تدريس تلك المواد (١) .

كذلك ثبت بطلان هذه المقولة في إنجازات الأطباء السوريين الذين يتابعون دراساتهم في الخارج ، وفي المؤتمرات التي يعقدها هؤلاء الأطباء (المقيمون منهم والمغتربون) في دمشق دورياً كل عام .

إن الدراسة العلمية باللغة القومية ، ما كانت أبداً عقبةً أمام متابعة التخصص الجامعي - وإلا كيف نفسر إنجازات الطلاب الألمان أو الطليان أو الصينيين أو المجريين أو سواهم ممن يتابعون دراساتهم في أمريكا أو فرنسا أو بريطانيا ! ؛ حتى الذين يجهلون اللغة - لغة التخصص ، فإن إعدادهم لذلك لا يستغرق عادة أكثر من سنة .

ويقولون في معارضة تعريب العلوم إن تدريس العلوم بلغة أجنبية ضروري لرفع مستوى أولئك الطلبة (٢) فيها . ويحتجون بأن التعريب يحرم الطالب من التواصل المستمر مع مصادر تخصصه . وهذا مردود . فالتعريب

لا يعنى بحال من الأحوال إهمال اللغة الأجنبية ؛ بل على العكس ، التعريب ، وبخاصة تعريب العلوم ، يفترض استمرارية التواصل باللغات الأجنبية على الطلاب ، كما على الأساتذة . فمهما قلنا في ثراء العربية وطاقاتها وإمكاناتها الهائلة ، فلا أحد يجهل أو يُغفل البون الشاسع بين ما وصلت إليه علوم الحضارة الحديثة وتقاناتها ، وما حققنا نحن أو عربنا حتى اليوم من هذه العلوم . إن تعزيز اللغات الأجنبية في مراحل التعليم المختلفة ، الثانوية والعالية ، وإتقان العالم العربي لغة أجنبية واحدة ، على الأقل ، من اللغات العالمية بمستوى رفيع ضرورة يقتضيها ويفرضها تعريب العلوم . إن إتقان العالم لغة عالمية أخرى إلى جانب لغته ، حتى في بلدان العالم المتطورة ، يكاد يكون هو القاعدة . فلا أعتقد أنك تجد عالماً فرنسياً أو ألمانياً أو روسياً أو يابانياً في الفيزياء مثلاً ، يجهل الإنكليزية . إن كل عالم من هؤلاء يدرس اختصاصه بلغته ، لكن اللغة الأجنبية هي سبيله إلى التواصل

(١) كاتب هذه السطور ينتمى إلى هذه الفئة من الطلاب .

(٢) وأعجب العجب أن لا مانع لديهم أن يطلب من خريجي جامعات غير إنكليزية (فرنسية أو ألمانية أو إيطالية أو روسية الخ) التعليم بالإنكليزية لرفع مستوى الطلاب في تلك اللغة .

مع نظائره من العلماء ، وإلى متابعة دوريات العلم فى البلدان المتطورة فى مجال اختصاصه .

وخيراً فعلت اللجنة العليا للتعريب فى جامعة الخرطوم ، حسبما أخبرنا رئيسها الدكتور عبد العزيز إبراهيم ، حين عززت التحول من التدريس باللغة الإنكليزية إلى العربية بتقوية ملكة الطلاب فى كلتا اللغتين بواقع ساعتين فى الأسبوع لكل لغة على مدار العام الدراسى ، وعلى مدى الأربعة الأعوام الأولى فى كل تخصص (١) .

القائلون بالتعريب ليسوا ضد تعزيز تعليم اللغة الأجنبية - إنما هم يعترضون بشدة على إحلال اللغة الأجنبية محل العربية كلغة لتعليم العلوم . فكما يفترض التعريب أن يمارس المهندس أو الطبيب أو الزراعى أو حتى الجيولوجى مهنته على الناس ، وللناس باللغة القومية ، رابطته بهم ووسيلة تفاهمه معهم ، فإن نجاح مسيرة التعريب واستمراريتها يتطلب أن يكون هذا المهندس أو الطبيب أو الخبير الزراعى ضليعا بلغة أجنبية يتواصل فيها وبها مع العلماء أو مع منجزاتهم لمتابعة الركب العلمى فى تخصصه والوقوف على آخر

ماتوصل إليه زملاؤه العلماء فى العالم من حوله ، فلا تحصل فجوة علمية حضارية بين ما درسه هو كطالب وبين ما يتم بعد تخرجه كمارس .

إن الحاجة إلى إتقان لغة أجنبية عالمية معاصرة هى اليوم مطلب تربوى أساسى لكل مثقف عربى أو غير عربى ، عالم أو غير عالم . لكن هذا لا يفترض ولا يتطلب اعتماد اللغة الأجنبية تلك كلغة لمختلف دراساتهم الأساسية . اللغة الإنكليزية ، مثلاً ، كما ألمحت سالفاً ، هى اليوم حاجة ضرورية يومية للعالم الفرنسى والألمانى والروسى واليابانى والكورى وأى عالم من أى قومية كان ، فلماذا يا ترى لم تُطرح مسألة اعتماد اللغة الإنكليزية فى تدريس مواد العلوم فى أى من هذه البلاد ؟

ما أثبتته الدراسات التربوية واللسانية فى بلدان العالم المتقدم يؤكد أن التحسين فى مستوى اللغة الأجنبية يرتبط وثيقاً بكفاءة المعلمين وصلاحيّة المناهج والوسائل التعليمية والمدرسية التى تتناول ذلك ، لا بتعليم العلوم أو تعليم الرياضيات بها .

(١) حديث حول مسيرة التعريب فى جامعة الخرطوم - للدكتور عبد العزيز الطيب إبراهيم فى ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العربى وسبل إشاعة المصطلح الموحد» عمان (أيلول ١٩٩٣) .

ويحتجُ معارضو تعريب العلوم أيضاً بعدم توافر الكتب والدوريات والمصطلحات العلمية وبضرورة توافر هذه المستلزمات قبل بدايات التعريب . وخبرة الأقبام كلهم ، وخبرتنا في بدايات عصر النهضة ، تؤكد أن هذه كلها تأتي بالطريقة المثلى مزامنةً ومواكبةً التعريب لا قبله . إذ لا يمكن توافر الكتب والدوريات والمراجع العلمية العربية مادام تعليم العلوم يجرى بلغة أجنبية . اسألوا أعضاء مجلس كلية طب جامعة القاهرة أين أضحت كتب تعليم الطب التي وُضعت بالعربية إثر العدوان الثلاثي على مصر للسنوات الأولى والثانية والثالثة ، فلم يُستعمل منها إلا كتب السنة الأولى لفترة لم تطل . اسألوا مجمع اللغة العربية الأردني ، وقد بذل جهوداً رصينة جبارة في ترجمة وإعداد كتب علمية لم تجد من يُدرّسها - رغم عرضها على مختلف جامعاتنا في الوطن العربي ، اسألوا المركز الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية بالإسكندرية ، وقد أعدّ كتباً قيمة في الطب بإشراف نخبة من العلماء العرب ، فلم يتحمس ناشرٌ لإصدارها - وكلهم يتسائل معذراً : « أنشرها لمن ؟ » .

مشكلة الكتب والدوريات والمراجع ، والمصطلحات العلمية أيضاً ، مشكلة واحدة مترابطة ؛ وهي في الواقع مشكلة كل لغة وليست خاصة باللغة العربية . وإلا ماذا كان يقول الكوري والألباني والبُلغاري واليوغسلافي والإيراني والتركي والخمسون ثقافة التي كانت تؤلف الاتحاد السوفيتي - وكلهم طبقوا توطين العلوم واستنباتها بلغاتهم القومية بإمكانات لغوية ومادية وبشرية تتقزم أمام الإمكانيات اللغوية والمادية والبشرية العربية .

تعريب العلوم صعب ، لكنه ممكن - ممكن إذا توافر له العزم والنوايا الصادقة والثقة بالنفس والهمم المؤمنة القعساء . هكذا تم تعريب العلوم من فيزياء وكيمياء ونبات وحيوان وطب وصيدلة في مدرسة الطب في (أبو زعبل) ثم في قصر العيني بكتب ، يقول مقرر لجنة المعجم الطبي الموحد (١) ، تشهد بالمستوى العلمي الراقى الذي كان عليه ذلك التعليم ، والذي لم يكن ليقل عن مثيله في أي بلد من بلدان الغرب حينئذ .

أو كما توافرت في الكلية السورية الإنجيلية حيث حققت كتب كرنيليوس فاندريك

(١) الدكتور محمد هيثم الحياط ، في محاضرة بعنوان « تعريب العلوم الطبية » ، الموسم الثقافي الثاني - منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ١٩٨٤

فى الكيمياء والطب والفيزياء وعلم الأمراض ،
وكتبُ يوحنا ورتيبات فى التشريح
والفسيولوجية ، وكتب جورج بُّوست فى النبات
والجراحة والأقرباذين ، نجاحاً مرموقاً سبق
أن المَح إليه .

وطبعاً لا ننسى لَفَتَ المحتجِّين والمشككين
إلى الإنجاز الرائع الحى المستمر الذى حققه
ويحققه روادُ التعريب من أساتذة المعهد الطبى
فى دمشق من أمثال مُرشِدِ خاطر وأحمد حمدي
الحَيَّاط وصالح الدين الكواكبي وحسنى سَبَّح
وخلفهم الأماجد ، فى تحدى صعوبات تعريب
العلوم وتجاوزها .

وإذا أردنا العبرة من خارج الوطن العربى ،
فلنعتبر بما حققه اليابانيون ، وهم مزامنون لنا
فى الصحو الحضارية ، منذ انطلقت بعثاتهم
إلى الغرب أواخر القرن الماضى (ولم تكن
أمريكا تستقطب طالبى العلم حينئذ) فنقلوا
العلم إلى اليابانية ، وحققوا بتوطينه واستنباته
فى بيئتهم ، ما تعرفون من جبروت الحضارة
اليابانية ، مع المحافظة على اللغة والتراث
والكرامة .

وعذراً إن أنا استشهدت بالجامعة العبرية
(وسائر الجامعات العبرية اليوم) التى راحت ،
منذ بدأت ، تدرُس مختلف مواد العلوم مُعَبَّرَةً .
عذراً لو قارنت إنجازات الجامعة العبرية فى
القدس بمثيلتها ، أعرق جامعاتنا فى القاهرة ،
التي قامت رسمياً (بتسلم الدولة زمامها من
مؤسسيها) فى الوقت نفسه تقريباً . وكم كنت
أقنئ لو يطمئننى أحد إلى أن إنجازات خريجى
أعرق جامعاتنا هذه ، التى اتخذت (طوعاً
أو كرهاً) اللغة الإنكليزية لغةً لتدريس
مختلف مواد العلوم منذ تأسيسها ، تُقارَن
إيجابياً فى أى مجالٍ علمى أو تقنى أو طبى
بإنجازات خريجى مزامنتها التى تدرس كل
مواد العلوم والتقانات باللغة العبرية .

أيها الزملاء

مؤيدو تعريب العلوم لا ينكرون أن ما لدينا
من مصطلحات ومن كتب ودوريات ومراجعٍ
علميةٍ قليلٌ ومحدود ، كما لا ينكرون أن
المكتبة العربية بمجملها تشكو من نقص فى
نتاج الفكر العالمى ، لا فى العلوم فقط ، بل
فى شتى مجالات الثقافة . لكنهم يتساءلون ،
أليس تقاعسنا عن عملية التعريب ومواكبة
التطور العالمى المستمر ، وإغناء لغتنا بالترجمة

والتأليف ، أليس هذا التقاعس هو المسؤول عن هذا النقص ؟

الذين يطلبون توافر الكتب والمراجع والمصطلحات قبل التعريب يضعون العربية أمام الحصان ، ويقينى أنهم أدرى الناس بذلك .

لماذا إذن التقاعس عن تعريب العلوم ؟ بل لماذا التقاعس أمام تدريس العلوم معربة ؟ فالسؤالان فى الواقع مترابطان .

الأسباب الخفية لمعارضة حركة التعريب فى بعض العالم العربى تعود إلى عوامل سياسية - انتمائية - عرقية أو طائفية الجذور ، لا مجال لإثارتها فى منتدى لغوى علمى ، لذا نتعرض فقط للأسباب الظاهرة العامة .

يُجمع العارفون ممن عايشوا محاولات التعريب أن السبب الأهم وراء فشل أو عرقلة إمكانية نجاح حركات تعريب العلوم كان ولا يزال موقف الهيئات التدريسية فى الجامعات العربية .

إن معظم جامعاتنا ومعاهدنا تعتمد فى إعداد هيئاتها التعليمية على خريجي الجامعات الأجنبية ، ممن تَبَتَّعَهُمُ الدولة

أو الجامعات ، أو الذين استطاعوا أو يستطيعون ذلك بوسائلهم الخاصة . وهؤلاء بحكم القانون الطبيعى فى اختيار المسار الأسهل لا يرحبون بالتعريب ، إن لم يعارضوه علناً ؛ لأن التدريس بالعربية سيتطلب منهم جهداً مضاعفاً يتهيبونه . فالتعبير السليم باللغة العربية غير متيسر لكثرتهم الكاثرة أولاً ، ثم إن التدريس بالعربية يقتضيهم جهداً إضافياً فى الإعداد والتفتيش عن المصطلحات أو وضعها ، وهم بهذا الجهد ضنينون !

والى مثل هؤلاء يشير الدكتور محمود السُّمرة نائب رئيس مجمع اللغة العربية الأردنى فى قوله : « ولو أنهم اقتداءً بالأشواش ، رجال المعهد الطبى فى دمشق ، آمنوا أن التدريس بالعربية يعنى محافظة الأمة على شخصيتها وتراثها ، وأن أفراد الأمة لا يمكن أن يبدعوا إلا من خلال لغتهم ، وأن الطالب لا يمكن أن يستوعب المادة استيعاباً دقيقاً ، فى الوقت الأقل ، إلا من خلال لغته ، لهان عندهم أى جهد يمكن أن يقدموه من أجل التعريب (١) .

ولا نستهيّن بسلبية موقف القلة من أولئك الذين شُدُّوا بحضارة الغرب وتقنياته ، فتحول

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى - العدد المزدوج ١٥ ، ١٦ (١٩٨٢) ،

انتماؤهم فكريا ، وربما عقائديا ، نحو الغرب .
فإذا عُرِضَت فكرة تعريب العلوم هزوا رؤوسهم
ونأوا بجانبهم غير مُكْتَرِثِينَ حينا ، وأحيانا
ساخرين . هؤلاء تغرَّبوا فَنَسُوا مِشِيَّتَهُمْ ، وكنا
نريدهم يتغربون ، لا كالغراب بل كالنحل
يعودون إلى خلاياهم حاملين عسلا بما جَنَوْا من
رحيق تلك الثقافات .

يا سادتي هنالك ناحية ، ربما حَرْجَة وجدلية ،
لكنها أساسية في موضوع العلوم تعريبا
أو تغريبا ، يثيرها السؤال التالي :

هل إن مدرسي مختلف العلوم عندنا في
غالبيتهم ، وفي العالم العربي إجمالا ،
يجيدون ، هم وطلابهم ، اللغة الأجنبية التي
بها يُدرَّسون ويُدْرَسون ؟

أنا ، من خبرتي الشخصية ومطالعاتي ،
أستطيع الإجابة عن هذا السؤال ، بالنسبة إلى
اللغة الإنكليزية ، مع شيء من الجرأة والاعتذار ،
بالنفي - على الأقل بالنسبة إلى الطلاب .

لقد اطلعت خلال حياتي التعليمية وتجوالي
في بعض البلدان العربية على كتب طلاب
(في مراحل التعليم المختلفة) ممن يدرسون
مواد تلك الكتب بالإنكليزية - من العلوم

والرياضيات البسيطة حتى الطب والهندسة ،
فوجدتها ، عند المجتهدين بخاصة ، تعجُّ⁴
بالمترادفات القاموسية العربية (غير الدقيقة
أحيانا) بحيث تكاد تغطي أسطر الكتاب
المطبوعة . والطالب المسكين لامناص له من
ذلك إن اعتزم استيعاب مفاهيم تلك الأسطر .
فالمفردة الواحدة إن جهل معناها ضاع مفهوم
النص بكامله . هذا ، وليس خافيا أنه حتى لو
عرّف الطالب كل المقابلات العربية لكل
مفردات النص ، فإن عملية التعلم تظل
تكتنفها الصعوبات - بالمقارنة مع عملية
التعلم فيما لو كان الطالب يقرأ نصا بالعربية .
وهذه الصعوبات تنعكس بالتالي نقصا في
قدرة الطالب على استيعاب مادة النص ؛ فلا
يتيسر له التعبير عنها تعبيراً صحيحاً -
لا بالإنكليزية ولا حتى بالعربية .

وقد اطلعتُ على نتائج دراسات أُجريت في
جامعات بعض من الدول العربية ، حيث
الإنكليزية هي لغة التدريس ، تشير إلى أن
خريجي الثانويات الذين يتقدمون إليها
لا يستطيعون ، على الأغلب ، متابعة دراساتهم
لأي موضوع بالإنكليزية ؛ وأن تحصيلهم
في اختبارات الكفاءة اللغوية لا يؤهلهم لدخول

(MIT) في الشرق الأوسط . فلاستكمال الصورة ، دعوني أخص لكم حديثاً كان شافهنى به صاحبه ، ثم قرأته في نص محاضرة له ألقاها في مجمع اللغة العربية الأردني بمناسبة موسمه الثقافي الثاني .

يقول سيادته :

« لقد دفعنى عملى الذى أضطلع به حالياً
إلى الاطلاع عن كُثْب على تعليم الطب فى
الجامعات المصرية (وسواها) فرأيت أستاذاً
يستعمل لغة لا يعرفها ليثقل العلم إلى طالب
لا يعرف هذه اللغة أيضاً .

ويتابع حضرته :

« وأوراق الامتحانات التي اطلعتُ عليها
في بعض جامعاتنا التي تدرّس بلغة أجنبية
وينجح كاتبوها ، لو أنها كُتبت وصحّحت
في البلد الأصلي لهذه اللغة الأجنبية ،
لكان إعطاؤها واحدا على عشرة صدقة
من الصدقات (٢) .

(٢) الدكتور محمد هيثم الخياط ، نائب مدير المكتب الإقليمي لشرق البحر المتوسط في منظمة الصحة العالمية - « تعريب العلوم الطبية » ، الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني ١٩٨٤

والى مثل هذا أشار المرحوم الدكتور محمد أحمد سليمان فى سياق حديثه حول عودة كلية طب جامعة القاهرة عن التدريس بالعربية إلى التدريس باللغة الإنكليزية بقوله « وعادت الكتب الإنكليزية ، وعاد الأساتذة يُلَوِّونُ ألسنتهم برطانة أعجمية لا يفهم الطلاب أغلبها . والأدهى من ذلك أن كثيراً من المدرسين الجدد لا يفهمون كثيراً منها أيضاً ، ولكنهم يُلَقِّونَهَا على الطلاب كأنهم أجهزة تسجيل (١) .

ولا أزيد أكثر من أنى الحق ببحتى هذا صورة عن مقدمة بالإنكليزية لقاموس إنكليزى - عربى فى علم الأجنَّة لعالم ألف وعلم بالإنكليزية فى كليتى طب عريقتين على مدى ثلث قرن وأكثر . إن مستوى اللغة فى هذه المقدمة (وهى ليست كتابة مرتجلة طبعا) لا يمكن أن يكون مؤهلاً ، لا لمدرس ولا لطالب ، للتواصل والتفاهم بهذه اللغة . ولا أعتقد أن الدكتور الخياط أو الدكتور سليمان أراد التعبير عن أكثر من ذلك .

إنى لا أزمع أن مستوى الطلاب فى اللغة العربية ، فى مجالات التعليم العالى بخاصة (ولا أتعرض لمستوى الأساتذة) هو فى المستوى المؤهل لدراسة العلوم

على اختلاقتها بالعربية . ولكنى مقتنع ولا أظنكم تخالفون ، أن مستواهم فيها يظل أعلى قدراً وأكثر تأهيلاً لاستيعاب ما يدرسون بها ، منه باللغة الأجنبية .

تعريب العلوم ضرورة علمية ، وهو أيضاً ضرورة حضارية تنموية للإنسان العربى وتفكيره تقتضى عضُونة العلم وتأصيله باللغة العربية فى الوطن العربى . وإلا كيف يصل العلم إلى الفلاح والنجار والبنَّاء والخباز والحداد والصانع والسمكرى وسائق السيارة وغيرهم من أفراد المجتمع . كيف يصل العلم إلى هؤلاء إذا كانت كليات الزراعة والصناعة والهندسة والكيمياء والعلوم المختلفة تخرج لهم من لا يستطيعون إيصالَ ما يتعلمونه إليهم .

والتعريب كذلك ضرورة قومية - يقتضيها ترابطنا أفقياً كأمةٍ أو على الأقل كشعوب على مدى الوطن العربى ، ويقتضيها ترابطنا عمودياً مع تاريخنا وجذورنا وتراثنا وعروبتنا . لقد نجح الاستعماريون ، والمنتدبون من قبَل أنفسهم ، فى تقسيم الوطن العربى سياسياً وإدارياً واقتصادياً وحتى ثقافياً ، ولكنهم رغم محاولاتهم المتعددة لم ينجحوا فى تمزيق اللغة العربية ؛ فظلت ذلك الرابطَ الحضارى القومى الروحى ؛ والتعريب هو تمتين لهذا الرابط .

(١) الدكتور محمد أحمد سليمان ، مداخلته فى الموسم الثقافى الثانى لمجمع اللغة العربى الأردنى ١٩٨٤

والتعريب حتى يتجاوز كل ذلك ، لأنه قضية كرامة - كرامة لغة وكرامة أمة .

اسمعوا ، أرجوكم ، حديث بن يهودا إن لم يكن قد أتاكم .

عند تولّى البريطانيين مسؤولية الانتداب على فلسطين عام ١٩٢٠ أصدرت حكومة الانتداب عملة تُقش عليها اسم فلسطين بالإنكليزية والعربية ولم تظهر اللغة العبرية عليها . فما كان من بن يهودا ، أحد بناء إسرائيل ، إلا أن كتب إلى المندوب السامي بحدّة (وكان إنكليزيا يهوديا) يقول : إنها لإهانة قومية أن تكون العبرية في منزلة دون منزلة الإنكليزية والعربية . ولم يمض طويل وقت حتى كان له ، ولهم ، ما أريد ، وظهرت العملة المجددة منقوشة باللغات الثلاث بشكل دائري - لتأخذ العبرية منزلة مكافئة .

ولكن ماذا كتبوا ؟ لم يكتبوا « فلسطين » كما في الإنكليزية والعربية ، بل سَطَرُها ، طَوَّبوها بالعبرية : ريش إيزرايل « أرض إسرائيل » ؛ فهل لأهل « وامعتصماه » أن يعتبروا ؟

إذا كنا نؤمن أن التعريب ضرورة علمية وضرورة حضارية وضرورة قومية وقضية كرامة - الآن الآن وليس غدا ، فماذا ننتظر والوسائل

غير مجهولة والسبيل بين . سلكه السلف أيام المأمون وبيت الحكمة فعربوا وأبدعوا ؛ طبقه باراسيلزوس - ثيوفراستس بومباست - حين أحرق الكتب اللاتينية ، ومن ضمنها ترجمات القانون لابن سينا ، في ميدان حاشد في مدينة بال وحوله جمهرة من الطلبة يهتفون (في ٢٤ من حزيران ١٥٢٧) . ثم راح هو ومحازبوه يحاضرون ويؤلفون بالألمانية ؛ وحذا الأوروبيون حذوه في التعليم والتأليف بلغاتهم القومية وأبدعوا ، وكتب بها شكسبير للإمبراطورية البريطانية فشمخت وتعززت ؛ ثم زالت الإمبراطورية ، لكن ظلت إمبراطورية اللغة وإمبراطورية شكسبير !

ولو نحيل النظر حولنا ونعتبر

لرأينا العلوم تفرست في إيران ،

والتتريك طال العلوم في تركيا - ولو تسألون كيف وبماذا ؟

إثر حملة تولاهما ما سُموا فيما بعد « الطلاب المجاهدين » وأيدتها الصحافة والرأي العام ؛ فما كان من رئيس الشورى العسكرية أسعد باشا إلا أن استدعى ثلاثة من كبار هيئة التدريس الأجانب وسألهم : أيها أجدى وأعود بالنفع على الأمة - التدريس بلغة أجنبية أم بلغتنا القومية ؟ فكان جوابهم : التدريس بالتركية طبعاً أجدى ؛ فكان التتريك

واللافتُ ، كما يُخبرنا المرحوم الدكتور
حُسنَى سَبَح ، أن تترك الطبَّ كان في الحقيقة
شِبْهَ تعريبٍ ، إذ أن حوالي ٩٠٪ من
مُصطلحاتهم كان ألفاظاً عربيّة (١) .

والذين اغتصبوا أرضنا ، ياسادتي ، ألم
يُعبّرِنوا العلومَ على اختلافها ، والأبحاثَ
بمُختلفِ تقاناتها ، بلغةٍ مَوَات ؟ - باللغة التي
أقاموها من العدم ، بعد دُثُورٍ دامَ عشرين قرناً .
فجعلوا منها لا لغةَ التدريس في شتى العلوم
والتقانات فقط ولا أداةً حضاريّة تُقامُ بها
الندواتُ العلميّة في علوم الذرة وتقانة
الإلكترونيات فحسب ، بل جعلوا منها أيضاً
وسيلةً ترابطٍ جامعةً أسهمت في خلق الكيان

الصهيوني وتوحيد شراذم المهاجرين إليه ،
المتعدّدي المشارب واللّغى !

وماذا بعدُ ! يحضّرني قولُ الليروني في
كتاب الصيدنة ، لعلّه غيرُ بعيد المتّات عن
لُبِّ موضوعنا . يقولُ أبو الرّيحان :

« لو كان في نواحيننا مثلُ ديسقوريدس -
مَنْ يَصْرِفُ جُهْدَهُ على تَعَرُّفِ ما في جِبَالِنَا
وَبَوَادِينَا ، لَكَانَتْ تُصَيَّرُ حَشَائِشُنَا كُلُّهَا
أدويةً » .

وأنا أستعيرُ التّشبيهَ لأقول : لو كان في
نواحيننا أمثالُ المأمون وباراسيلزوس وشكسبير
وأُسعد باشا وبن يهودا ، لما كَانَتْ قَضِيّةٌ ، بلْ
قضايا ، تعريبِ العلوم اليوم ، من شواغلنا .
شكراً لكم !

أحمد شفيق الخطيب

عضو المجمع المراسل

من فلسطين

(١) حديث للدكتور حُسنَى سَبَح في مجمع اللغة العربية الأردني أوردته مجلة اللسان العربي العدد 27 (عام
١٩٨٦) .

الملحق الأول (١) و(ب)

الملحق الأول (١)

نهاريات

تعلموا من المأمون !

بالفعل ، القصة بدأت تشغل البال .

كلّما دقّ الكوز بالجرّة ، يهدر بعض
الأصوات مهدداً متوعداً : اوعا عروبة لبنان .
وعلى الطالع والنازل ، ومن دون سبب
جوهري ، ينقزون الناس : الويل لكم إذا دق
أحد بعروبة لبنان .

ما بها عروبة لبنان ؟

بل ماذا يقصدون بعروبة لبنان ؟

والى عروبة أى بلد من بلدان العرب يريدون
انتساب هذا اللبنا ؟

وعلى أى أساس وفي أية مجالات ؟

تعالوا نتصارح ونتفاهم : من هم الداعون
إلى العروبة والتعريب ، ومن هم المطلوب
تعريبهم ، ومن الخوف على عروبة هذا البلد ؟

هل المطلوب تعريب اللغة اللبنانية ،
واللبنانيون هم الذين صقلوا اللغة العربية ،
وأبدعوا باللغة العربية، وبشروا باللغة العربية،
وأطلقوا اللغة العربية إلى القارات الخمس ؟
أو المطلوب تعريب الأزياء ، وتعريب
الأسماء ، وتعريب المأكّل والعادات ؟

عروبة لبنان

فهمنا . أهى العروبة تصرّيح وتظاهرة
وخطاب وبيان ؟

أم أنها تجارة يلجأ إليها من يضره
الإفلاس ، وقناع يرتديه من تحسوم حوله
الشبهات ؟

أمس وقبله سمعنا نواباً ومستنوبين
يقيمون الدنيا ويقعدونها لأن بعض

المصطلحات والتعابير والأسماء يتعلمها
تلاميذ المرحلة الابتدائية باللغة الأجنبية بلغتها
الأم .

ياغيرة العروبة ، هذه مؤامرة على عروبة
لبنان .

المقصود ، إذن ، تعريب الكتاب
الأجنبى ، تعريب الرياضيات والعلوم ، ومنع
الأجيال الطالعة من معرفة اللغات الأجنبية .
يتلقنون مناهج التكنولوجيا المتطورة
والمعقدة ، ومعها الذكاء الاصطناعى ،
وفوقهما الهندسة الوراثية ... باللغة
العربية !

ببساطة مطلوب ، وفق هذه الرغبة الغبية ،
تخريج أجيال جاهلة ومتخلفة ، لا أمل لها فى
التطور والمشاركة فى إبداعات العصر ،
ولا مكان لها تحت الشمس .

هكذا ، ومتى ساد الجهل ، تتحقق عروبة
لبنان ، ويطمنن خاطرها ويصلها حقها ؟

يخرب بيتكم الله .

مصريون على تشويه العروبة وتصويرها أنها
لا يصلها حقها ولا تكتمل إلا بالجهل
والتجهيل .

ماذا يضير العروبة إذا كان الشاب اللبناني
متمكناً من ثلاث أو أربع أو خمس لغات
أجنبية ؟

وأين الغضاضة والخطر على عروبة لبنان ،
إذا كان الشاب اللبناني يتقن الفرنسية
والإنكليزية والألمانية واليابانية والصينية
وغيرها ؟

عندما أسس الخليفة المأمون « بيت الحكمة »
للبحوث العلمية ، أوصى الكندى أن يستعين
بعلماء من جهات الأرض الأربع ، وحرّصه أن
يتعلم العلماء العرب لغة هؤلاء العلماء ،
ليظلوا مواكبين حضارات الشعوب .

بمثل هذه الحكمة تكون اللفتة على العروبة
ولغتها .

... اللغة العربية بألف خير من لبنان .
فنحن أهلها وأهل العروبة .

« زُبان »

الملحق الأول (ب)

فالقضية في الواقع تربوية علمية نفسية
صرف ، ولايجوز تسييسها . فليس من مُرَبٍّ^١
مخلص مهما كانت جنسيته أو لغته ،
لو سألناه :

أيهما أفضل للولد ، تدريسُ العلوم بلغته
القومية أو بلغة أجنبية ؟ إلا ويجيب
مؤيدا الخيار الأول . فعلماء التربية في كل
زمان ومكان نادوا بالقول، وأثبتوا بالاختبار ،
أن الطالب (الناشئ خاصة) يستوعب المفاهيم
العلمية والرياضية وسواها عموماً بلغته
القومية أكثر بكثير وأيسر بكثير وأعمق بكثير
مما يستوعبه منها بلغة أجنبية . ولا أظن
الأستاذ زيان من غير هذا الرأي .

وهكذا ، لن نجد في أنحاء العالم قاطبة
بلدا يُدرّسُ مواد العلوم والرياضيات بغير لغته
القومية إلا في عالمنا العربي المسكين المهْدُد في
كل شيء . بل إنني لأعرف بلداً تُدرّسُ فيه

مع زيان نكرّر المقولة « تعلموا من
المأمون »

الأستاذ زيان في نهاريات « النهار » العدد
١٨٧٥٥ (الأربعاء ٩ شباط ١٩٩٤) يربط
قضية تعليم العلوم بالعربية - لا بلغة
أجنبية - في المراحل الابتدائية والمتوسطة
(حتى الثانوية) - بقصة « كلما دق الكوز
بالجرة » و « عروية لبنان » .

الواقع أن « عروية لبنان » و « فضل لبنان
على العربية ونهضتها الحديثة » و « موقع
لبنان المميز في العالم العربي » أمور في حكم
المسلمات . والإشارة إليها في سياق تعليم
العلوم في المرحلة الابتدائية باللغة الأجنبية
وما أثير حوله ، هي إخراج الموضوع من حيز
النقاش والبحث العلمي والتربوي إلى حديث
وسياسة هما حديث وسياسة « دق الكوز
بالجرة » .

مواد العلوم والرياضيات ، حتى فى معاهده العليا بغير اللغة القومية ، إلا معظم بلادنا العربية فى جامعاتها السبعين .

فُرض تعليم العلوم والرياضيات ، وأحياناً الاجتماعيات باللغة الأجنبية قهراً على الشعوب العربية أيام الاحتلال والاستعمار والانتداب فى شتى أرجاء الوطن العربى من مشرقه إلى مغربه . وللأسف زال الاستعمار والانتداب والاحتلال واستمر الوضع فى كثير من المعاهد الابتدائية والمتوسطة وفى معظم معاهد التعليم العالى على ذلك ، ربما بقوة الاستمرار أو لأسباب تخفى علينا جميعاً . فما أن تنتعش حركات تعريب التعليم فى هذه المجالات وتكاد تعمّ فى قطر حتى نجدها تنتكس ، كما الحال فى تونس والجزائر مغرباً ، وفى مصر والأردن مشرقاً .

خُيِّرتُ شخصياً دراسة العلوم والرياضيات وتدريسها باللغتين العربية

ثم اللغة الإنكليزية ، وأذكر خلال تدريسى هذه المواد باللغة الأجنبية حينما كان يصعب على طلابى استيعاب المفهوم الفيزيائى أو الكيميائى أو الأحيائى باللغة الأجنبية أننى أجدهم سرعان ما يتجاوزون هذه الصعوبة حين أعيد لهم شرح المفهوم باللغة العربية .

فى ترحالى وتجوالى بين البلاد العربية شاهدت كتباً فى العلوم والرياضيات لكثير من الفتيان ممن يدرسون هذه المواد بلغة أجنبية - الإنكليزية خاصة - فى المرحلتين الابتدائية والمتوسطة (وبعض هؤلاء الفتيان من أبناء أصدقائى أو من ذوى قُرباى ، أولاد إخوتى وأخوانى) ، وكنت أقرف جزعاً وأشفق تأسيماً لما أرى فى تلك الكتب من اختلاط الكلام العربى المضاف ، بنظام وبغير نظام ، فيكاد يغطى النص الأجنبى .

كلنا باعتبارنا مربيين نعلم يقيناً أن اللغة القومية - اللغة الأم - هي وسيلة الولد السهلة المأخوذ والطبيعية التفاعل إلى العلم والثقافة . وفيها تتكون وتنشأ وتنمى حصيلة العلمية وكتلة التعلم لديه . أنبأ ومستقبلاً . ومن الظلم ، وأكاد أقول الإجرام ، إثقال كاهله ولرهاق فكره وإرباك ذاكرته بتضارب المفاهيم والمصطلحات باللغة الغريبة .

وتطبيقاً لهذا المبدأ التربوي الوثيق نجد أن مدارس الدولة في الولايات المتحدة الأمريكية (وقرار من المحكمة العليا فيها) تدرس أبناء الجاليات من الأقليات بلغتهم الأصلية في المرحلة الابتدائية دون أن يستثنى منها مواد العلوم والرياضيات (وهو مدار القضية التي تعالجها هنا) - علماً أن اللغة المستقبلية الرسمية والعامة لأبناء هذه الجاليات جميعاً هي حتماً الإنكليزية . بمعنى أن القضية ليست جديّة بل هي قضية حقّ أساسي للولد كإنسان، والمهم أن تعالج القضية من هذا المنطلق !

إنه من الأمور المضللة ربط قضية تعلم اللغات الأجنبية بقضية تعليم العلوم والرياضيات بها . فنحن مع تعليم اللغات الأجنبية وانتقال واحدة منها على الأقل بمستوى رفيع يضمن تواصل المتعلم لاحقاً بالعالم الخارجي علمياً وثقافياً واجتماعياً . لكن ذلك لا يعني أننا نؤخر مبدأ تدريس هذه المواد في مراحل التعليم الأولى خاصة ، بلغة أجنبية .

إن اللغة الإنكليزية اليوم تحتاج العالم، وهي تحتل المرتبة الأولى بين اللغات التي تدرس كلفة ثانية في شتى بلاد العالم ، ولكننا لا نعترف بلداً واحداً (في غير العالم العربي) أقدم - أو حتى فكر أو عمل - على تدريس مواد العلوم والرياضيات بغير لغته القومية ، من فرنسا إلى الصين واليابان والبرازيل وكوريا وألبانيا وإسرائيل ، ولعله في بلاد الماوا أيضاً .

إن إتقان اللغة الأجنبية يتم بأساليب معروفة ، من أهمها رفع مستوى من يقومون بتدريسها (وهذه ناحية أتحدى أن تجدها بالمستوى المطلوب في معظم مدارسنا في شتى أرجاء الوطن العربي) ، وكذلك بتحسين وسائل تعليمها وزيادة حصص تدريس تلك اللغة وإسماعها الطلاب بالنطق الصحيح والسليم .

إن أهمية اللغة الأجنبية للطلاب ولدراساتهم اللاحقة مستقبلاً أمر لا خلاف فيه ولا عليه ، لكن التركيز الذي يخلطه ويربطه بتعليم العلوم أمر آخر - لعلني أقول فيه « إنه قضية حق يراد بها باطل » .

إن النتائج التي سجلها الدارسون والمراقبون في البلاد والمؤسسات^(١) حيث تحول تعليم العلوم والرياضيات إلى اللغة العربية (من الأجنبية) أظهرت تحسناً ملموساً لا في مستوى استيعاب مواد العلوم والرياضيات فقط ، بل في مستوى اللغة الأجنبية أيضاً. لأن ذلك التحول رافقه تحسين في مستوى تدريس اللغة الأجنبية .

وألقت الأستاذ زيان ومن يشاركونه الرأي إلى خطر مركّب النقص القاتل الذي ينغرس في نفسية الطالب الناشئ إذا ما أشرب بقصد أو غير قصد ، أن لغته القومية ناقصة وعاجزة عن أن تكون لغة يستوعب بها هو ورعيه مواد العلوم والرياضيات . إن كرامة الولد وشخصيته القومية حينئذ ناقصتان مهترتان ذيلتان .

إنني أرى في تدريس العلوم والرياضيات في المراحل الابتدائية والمتوسطة اليوم (وفي المراحل الثانوية والعالية مستقبلاً) إذلالاً للغة وللشخصية وللكرامة القومية والوطنية .

وللعبرة فقط أورد الحادثة التالية :

أوائل العشرينيات من هذا القرن افتتحت الجمعية اليهودية الألمانية « معهد التخفكو » - التكنولوجية - في حيفا ، وأنشأته بأموال وجهود من أعضائها وخبرائها الألمان . وارتأت الجمعية جعل الألمانية لغة التدريس في المعهد لأن العبرية

(١) من هذه المؤسسات مدارس جمعية المقاصد في بيروت والمدارس القومية في تونس والجامعة الأردنية .

ليست متطورة إلى القدر الذي يسمح
باستعمالها في مجال تعليم العلوم
والتكنولوجية ، فقامت الدنيا هناك بموجات
الاحتجاج وإضراب المعلمين والتلاميذ وبمساندة
الصحافة والرأي العام ، معتبرين ذلك إهانة
قومية ، فاضطرت الجمعية إلى التراجع ،
فكانت الدروس تترجم من الألمانية لتُلقَى على
الطلاب بالعبرية ، وتم للمعتزين بلغتهم الواهنة
ما أرادوا . ومنذ أعوام فقط ، عقدت في هذا
المعهد ندوة دولية في شؤون الذرة والنويات ،
وكانت العبرية لغة الندوة الوحيدة .

يا أستاذ زيان

المأمون أوصى العلماء العرب بتعلم لغة
العلماء الأجانب - وهذا ممتاز ، بل هذا بعض
ما نستهدفه ،

لكنك نسيت ، أو لعلك تناسيت ، أن المأمون
نفسه أمر ونفذ وتابع تعريب الدواوين ومختلف
نواحي الشؤون الاجتماعية والعلمية والفلسفية
والرياضية والطبية ، ولعلك تذكر أن العالم
الذي كان يقدم إلى « بيت الحكمة » كتاباً
قيماً من تأليفه أو ترجمته كان يتلقى مقدار
وزنه ذهباً !

ياسيدي نحن نكرر معك مقولتك ونعتز

بها : تعلموا من المأمون !

ولك تحياتي

أبو هاني

الملحق الثانى

تدريس العلوم بالعربية فى الجامعة الامريكية

لسليمان بك أبى عز الدين

إن الاعتماد على لغة البلاد فى تلقين العلوم لكل أمة لها وحدة جنسية ولغة صالحة للتعليم أمر طبيعى وقاعدة عامة . فتلقينا العلوم بلغة أجنبية فيه شذوذ عن هذه القاعدة لا مبرر له بل هو مُضِرُّ بنا علمياً ومضعف للغتنا وقوميتنا .

فالعلم أسهل تناولاً على الطالب وأرسخ فى ذهنه إذا درسه بلغته التى رضعها مع اللبن مما لو درسه بلغة أجنبية، وتفوق الكثيرين من مخرجى الجامعة فى عهدها الأول عهد التدريس باللغة العربية يؤيد ذلك .

أما العدول عن التدريس بلغتنا فإنه يضيق نطاق التأليف بها فيحرمها مؤلفات نفيسة تزداد بوجودها قيمة كما إنه يحول دون اقتباسها كثيراً من الاصطلاحات العلمية والفنية التى تساعد على نموها . فبالاقتباس نمت جميع اللغات الحية واللغة العربية نالت قسطاً وافراً من ذلك فى أثناء الفتح الإسلامى وامتزاج الأمة العربية بغيرها من الأمم ، وعندما نُقلت إليها علوم اليونان وغيرهم فى عهد العباسيين .

أما الضرر القومى من التعليم بلغة أجنبية فظاهر كل الظهور فى جميع أنحاء سوريا حيث ترى القوم مختلفى المشارب والنزعات وقد تضععت أركان قوميتهم الأصلية دون أن يكتسبوا قومية الأمة التى تلقوا العلوم بلغتها ، وهذا من أهم أسباب ضعف مجموعتنا رغماً عما هو مشهور عن قوة أفرادنا .

أما المصاعب التي يقال إنها اعترضت في سبيل التعليم باللغة العربية في ما مضى فهي :

١ - عدم وجود الكتب العربية اللازمة للتدريس .

٢ - عدم وجود مطولات ومجلات علمية تمكن طلاب العلم من التوسع فيها وتتبع سير العلوم في تقدمها المتواصل .

٣ - افتقار اللغة العربية للاصطلاحات العلمية الحديثة .

٤ - عدم وجود أساتذة أكفاء يقومون بتدريس العلوم باللغة العربية .

وقد قيل أخيراً بوجود عقبة خامسة وهو أن التدريس باللغة العربية يحرم كثيرين من الطلبة الأروام والأرمن تلقى العلوم في الجامعة .

فهذه الاعتراضات مردود عليها رداً إجمالياً بتمكّن الأتراك من تدريس العلوم بلغتهم ، واللغة العربية ، كما لا يخفى ،

أغزر مادة من اللغة التركية وأرقى منها بدرجات وليس أهل العلم بينهم بأكثر عدداً وأرسخ قدماً في العلوم من الناطقين باللغة العربية .

وفي ما يلي ردٌ تفصيلي على كل اعتراض على حدة :

١ - إن وجود كتب التدريس في العربية يتوقف على وجود التدريس بهذه اللغة ؛ لأنها إذا وجدت ولم تستعمل للتدريس لا تصلح لأى غرض آخر فيذهب ما ينفق عليها من الوقت والمال سُدًى فقرروا التدريس باللغة العربية تنشأ الكتب اللازمة لها . فالمقدرة على التأليف موجودة ورواج الكتب مكفول لأن نطاق المعارف في بلادنا أخذ في الاتساع ومدارس دمشق والعراق لغتها العربية كما أن الحكومة المصرية قد شرعت في تحول التدريس إلى اللغة العربية .

٢ - أما قلة عدد المطولات والمجلات العلمية فنأشئ عن حصر التعليم بلغات أجنبية وهذا يجعل أهل العلم أكثر طلباً للتبحر في العلوم في كتب اللغة التي تلقوا دروسهم بها ، على أنه رغماً عن هذا قد أدت النهضة العلمية الحديثة إلى تأليف بعض المطولات وإنشاء مجلات علمية وفنية باللغة العربية كالمقتطف والمجلة الطبية المصرية والمجلة التجارية ومجلة المضمار التي تبحث في مواضيع الرياضة الجسدية .

٣ - إذ صبح الزعم أن اللغة العربية مفتقرة إلى الاصطلاحات العلمية الحديثة فهي تستوى في ذلك بغيرها من اللغات ، فسائر اللغات الحديثة اقتبست ما افتقرت إليه من اللغات القديمة كال يونانية واللاتينية . واللغة العربية في كل عصر كانت تقتبس من غيرها . كما أن غيرها اقتبس منها . فإليها نُقلت قبلاً علوم الأقدمين وفنونهم وفلسفتهم .

ومنها نُقلت إلى اللغات الأوروبية وبها كان التدريس في جميع الأقطار العربية حينما كانت بضاعة العلم رائجة في العراق وسوريا ومصر والأندلس ، وبقيت كذلك حتى أواخر القرن الماضي في مصر وسوريا ، وأهم أسباب العدول عن التدريس بها في القطر المصري سياسية لا فنية . وها الحكومة المصرية تنوى الرجوع إلى التدريس بها ودمشق والعراق معتمدتان عليها . فكل ما تقدم يسقط حجة القائلين بعدم صلاحيتها للتعليم لاقتقارها إلى الاصطلاحات العلمية .

٤ - إن وجود عدد غير يسير من الأساتذة الوطنيين في الجامعة الأمريكية وفي المكتب الطبي الإفرنسي في بيروت وفي مدارس الحكومة في دمشق وبغداد مما يدحض قول القائلين بعدم كفاية أساتذتنا لتدريس العلوم . والكفاية تتوقف على الاستعداد الفطري والاقتباس بالدرس والممارسة ، ولا أظن أن أحداً ينكر على السوريين حسن استعدادهم الفطري لاسيما وأمر الدرس والممارسة ميسر لمن شاء ومدارس أوروبا

وأميركا مفتوحة أبوابها لمن طلب التوسع والتخصص . والخطة الحكيمة التي اتخذتها الجامعة الأميركية بإيفاد أساتذتها إلى جامعات الولايات المتحدة مما يساعد على استيفاء شروط الكفاية . ونحن نسلم إنه لو كان المطلوب تحويل التعليم من الإنكليزية إلى العربية دفعة واحدة لشعرنا بالافتقار إلى أكفيا لتدريس بعض العلوم . أما وحرصنا التحويل التدريجي والشروع فيه من الصفوف الابتدائية والتدرج منها إلى الأعلى فالأعلى سنة فسنة ، فيتسع الوقت لاستعداد الأساتذة الأميركيين والشرقيين لتلقين العلوم التي يدرسونها بلغة هذه البلاد .

٥ - شاءت الأمة الأميركية السخية

نشر العلم والمبادئ الحرة في هذه البلاد فأنشأت هذه الجامعة للنفع المجرد . فالتشبت بعمل يضر السوريين مراعاةً لغيرهم لا يتفق مع الغاية التي أنشئت من أجلها لاسيما وأن بعض الطلبة الأروام والأرمن يفدون إلى هذه الجامعة من بلاد عربية كمصر وحلب

وغيرهما ، فهؤلاء يعتبرون كأبناء الأقطار العربية ، أما غير هؤلاء من الأروام والأرمن فسواء عليهم كانوا في سوريا أو في سواها لأنهم حيثما ذهبوا إلى خارج وطنهم سيكونون غرباء فيمكنهم والحالة هذه أن يطلبوا العلم في غير المدارس السورية أو أن يختاروا درس لغة البلاد وتلقى العلوم بها فيستزلوا منا منزلة الإخوان ويحلوا بيننا على الرحب والسعة .

ولا يخفى إنه إذا كان التعليم باللغة العربية سيحرم عدداً يسيراً من الأروام والأرمن دخول هذه الجامعة ، فإن بقاء التعليم باللغة الإنكليزية سيحرم عدداً أكبر منه من أبناء الأقطار العربية المختلفة طلب العلم فيها ، ويترك في نفوسهم ونفوس مواطنيهم أسوأ تأثير .

فالإلى عمدة الجامعة الموقرة نبسط الرجاء بأن ترمق هذا الاقتراح بعين الرضا وتنتخب لجنة خاصة لوضع خطة لتنفيذه واتخاذ التدابير اللازمة التي تكفل تذليل كل عقبة تعترض في سبيله .

مجلة الكلية ج ٨ ، عام ١٩٢٣

الملحق الثالث

PREFACE

When the Arabian Empire Extended from India in the East to the Atlantic in the West , the Caliphs of Baghdad , their capital , ruled supreme . Their grandeur , however , was lacking in what older , achieved . So Egyptian , Greek, Roman , and Persian knowledge was made accessible to the Arabs. Works of past philosophers, astronomers, biologists , physicians, etc. A new nomenclature has to be created, and terms from all languages were adapted and arabicized; which were more than necessary for that age, and during the thousand years to follow; but when modern science arose the Arabic language lagged far behind other European tongues .

In the last ten years as, the national spirit has revived , the U.A.R. is making an active and progressive encouragement for either publishing most of the academic text- books or translating many classical ones, all in Arabic, in order to match with the great

advances achieved. Much more is expected in the years to come .

Shortly after the appearance of my seven text- books of Anatomy and Physiology in Arabic, I was begged by several of my colleagues to compile a vocabulary of Anatomical terms which I did with great pleasure .

Again after the text-book of Embryology in English and its successor the text-book of Embryology, in Arabic has appeared, the same necessity called for a glossary for the Embryological terms which I am happily offering it to all my colleagues and beloved students as a present and a token for their kind appreciation and their good feelings, which they granted the author .

Prof . Dr .

M.D,

Prof . of Anatomy , Medical Faculty ,

شخصيات مرموقة

أولاً: الاستقبال :

فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم
الأربعاء ٢٥ من رجب سنة ١٤١٥ هـ الموافق
٢٨ من ديسمبر سنة ١٩٩٤ م أقام المجمع
جلسة علنية لاستقبال ثلاثة أعضاء جدد هم :

١ - الأستاذ الدكتور أحمد على سالم
الصباغ .

٢ - الأستاذ الدكتور حسن محمود عبد
اللطيف الشافعى .

٣ - الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب .

وبعد أن افتتح الدكتور الرئيس الجلسة ألقى
الأستاذ الدكتور عبد الرازق عبد الفتاح
إبراهيم كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد

الأستاذ الدكتور أحمد على سالم الصباغ ،
وأعقبه الأستاذ الدكتور أحمد على سالم
الصباغ فألقى كلمة بمناسبة استقباله عضواً
بالمجمع .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور كمال محمد
دسوقي كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد
الأستاذ الدكتور حسن محمود عبد اللطيف
الشافعى ، وأعقبه الأستاذ الدكتور حسن
محمود عبد اللطيف الشافعى فألقى كلمة
بمناسبة استقباله عضواً بالمجمع .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور سليمان حزين
كلمة المجمع فى استقبال العضو الجديد الأستاذ
الدكتور محمد السيد غلاب ، وأعقبه
الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب فألقى
كلمة بمناسبة استقباله عضواً بالمجمع وفيما يلى
نص هذه الكلمات :

كلمة المجمع
فى استقبال العضو الجديد
الأستاذ الدكتور أحمد على سالم الصباغ
للاستاذ الدكتور عبد الرازق عبد الفتاح

نستقبله اليومَ عضواً جديداً بمجمع الخالدين
وأعتقدُ أيُّها الأخُ الكريمُ أنكَ سعيدٌ بهذهِ الثقةِ
الغاليةِ التى منحتك إياها زملاؤك الذين
يقدرُون علمَكَ ومكانتَكَ وخُلقَكَ .

هذهِ الثقةُ التى نَسَجَتْ لَكَ مكاناً فى هذا
المجمعِ العظيمِ حصنِ العربيةِ الحصينِ الذى
حَمَلَ لواءَها أكثرُ من نصفِ قرنٍ من الزمانِ
ولا يزالُ يَحْمِلُ هذا اللِّواءَ عالياً شامخاً .

ويتضمنُ استمرارَ رفعِ هذا اللِّواءِ الحفاظَ
على أصالةِ اللغةِ العربيةِ . وسموها . وتجديد
حيويتها . وقُدْرَتِها الفاتكةِ للاستجابةِ لمتطلباتِ
كلِ العصورِ . ومُواكبةِ للاكتشافاتِ العلميةِ
المتسارعةِ . والتعبيرِ بيسرٍ وسلاسةٍ عن أكثرِ
النظرياتِ تعقيداً ، ولاغرو فى ذلكَ ، فإنها لغةُ
القرآنِ الكريمِ الذى أنزَلَ للناسِ كافةً فى كلِ
مكانٍ وزمانٍ فهو محفوظٌ بإذنِ اللهِ إلى ما
شاء الله .

السيد الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومى مذكور
رئيس مجمع اللغة العربية .
السيد الأستاذ الدكتور شوقي ضيف نائب
رئيس المجمع

سَادَتِى العلماءُ الأفاضلُ . أعضاء المجمع
سيداتى وساداتى .

نستقبلُ اليومَ عالماً فاضلاً من خيرةِ علماءِ
مصرَ ومهندسيها البارزينَ الذين أسهمُوا فى
بِناءِ صرحِ هندسةِ الإنتاجِ والموادِّ ، والتعليمِ
الجامعى والهندسى فى مصرَ والعالمِ العربى
كُلُّهُ .

وله فى مجالِ اللحامِ والموادِّ إنجازاتٌ واسعةٌ
يُعْتَزُّ بها وستظلُّ شاهدةً على علمِهِ وخبرَتِهِ
الواسعةِ .

ذلكم هو الأستاذ الدكتور أحمد على سالم
الصباغ الأستاذ المتفرغ بجامعة عين شمس
ورئيسُ قسمِ هندسةِ الإنتاجِ السابق بها .

إن هذا الشرف الذى تنعمُ به اليومُ أيُّها الأخُ
العزیز وأنتَ به جديرٌ لشرفٍ عظيمٍ حقًا ، طالما
تاقت إليه قلوبٌ وتطلعت إليه آمالٌ فتهنئةٌ
خالصةٌ لكم بهذا التقدير الرفيع الذى منحك
إياه هذا المجمعُ العظيم ويتوازى هذا التقديرُ مع
ما تحقَّق لك فى مجالِ العلمِ والبحثِ والتطوير .
وصعدت به فى مدارج الهندسةِ الرفيعة .

وكذلكَ الزميل الدكتور أحمد سالم الصباغ فى
السابع من سبتمبر عام ألف وتسعمائة وأربع
وعشرين فى مدينة بيللا - بمحافظة كفر
الشيخ .

وتبلورت اتجاهاته الهندسية منذ
مراحل حياته المبكرة فتابع الدراسة فى
هذا المجال حيثُ حصل على دبلوم فى
الهندسة الميكانيكية ثم البكالوريوس فى
نفس التخصص من جامعة عين شمس
عام ألف وتسعمائة وأربع وخمسين . وبعد
ذلك سافر فى بعثة علمية إلى ألمانيا
(الآن ألمانيا) - فى ذلك الحين .)

فحصل على درجة الدكتوراه فى الهندسة
فى جامعة آخن عام ألف وتسعمائة وواحد
وستين .. وفى أثناء دراسته للدكتوراه - وقد
واكبت تلك الفترة قفزات فى سرعة الطائرات -
دخل العالمُ عصر السرعات فوق الصوتية بما
تحمله من مشاكل ارتفاع درجة حرارة أجسام
الطائرات نتيجة للاحتكاك بالهواء مما حتم
ضرورة صنعها من رقائق الصلب المقاوم
للصدأ (صلب نيكل كروم) لتحمل تلك
الدرجة وظهرت صعوبة لحامها . وكان لزميلنا
فضل ابتكار أشابات للحام مكونة من النيكل
والكروم والموليبد نيوم بحيث تكون يوتيكتيك
(تتحمل الأطوار عند درجة حرارة ثابتة) وهى
خاصية ضرورية لإجراء اللحام بنجاح .. وقد
كان هذا الابتكار جزءاً من رسالته للدكتوراه
والتي كان موضوعها الخواص الميكانيكية
لوصلات اللحام عند درجات الحرارة العالية .

وكان لهذه البحوث قيمة علمية وتطبيقية
فى الصناعة وقد استفيد بنتائج هذا البحث
وذلك الابتكار فى لحام أجزاء الطائرات المصرية
فى الفترة من عام اثنين وستين إلى أربعة
وستين ، أثناء عمله مديراً لمعامل المواد
واختباراتها بمصانع الطائرات بحلوان .

وبعد عودته من الخارج عمل بسلك
التدريس بجامعة عين شمس والقاهرة .
وتدرج فى وظائف الجامعة إلى أن شغل درجة
الأستاذية ورئاسة قسم هندسة الإنتاج والمواد
بجامعة عين شمس وهو يعمل الآن أستاذاً
متفرغاً بها . وقد ألزم زميلنا نفسه بالتدريس
باللغة العربية منذ بدء عمله بالجامعة إيماناً منه
بأن اللغة هى وعاء الفكر ، وأن اللغة الأم
أقدر على نقل المعرفة وترسيخها
وتأصيلها . وهى المحفز على ارتقاء
الفكر . كما أن العربية من أكثر اللغات

مرونةً فقدرتها على التعبير عن كل فروع
العلم . لا حدود لها فهى محفوظة إلى
ما شاء الله .

وقد تابع الدكتور الصباغ بحوثه بلا انقطاع
ولا يزال .. وتتمثل مدرسته العلمية فى :

- اثنتين وعشرين رسالةً لدرجة الدكتوراه .

- ثلاث وثلاثين رسالةً لدرجة الماجستير .

- عشرين بحثاً علمياً منشوراً .

- عشرات الألوف من تلاميذه يحملون

قبساً من علمه وخبرته . ينشرون النور فى
مصر والعالم العربى ..

وقد حفلت حياته بالكثير من الإنجازات فى
مجال تخصصه كما أسهم بعلمه فى تطوير

التعليم الهندسى والتعليم الفنى والتعليم العام
وتطوير التعليم الصناعى وتحديث معداته
وتأهيل مدرسيه .

وقام سيادته بجانب هذا النشاط الغزير
بتأليف أحد عشر كتابا كلها باللغة العربية فى
هندسة الإنتاج والمواد..

كما ترجم عشرة كتب فنية من اللغة الألمانية
إلى اللغة العربية وستة أكواد لأصول التصميم
والتنفيذ الهندسى لجمعية المهندسين المصرية
بالاتفاق مع اتحاد المهندسين الألمان .

ويستفاد بهذه الأكواد فى دورات التعليم
المستمر للمهندسين .

وراجع معجم السباكة لجمعية المهندسين
المصرية ..

وبالإضافة إلى ذلك قدم العديد من
الابتكارات لتصنيع السخان الشمسى
بتكنولوجيا مصرية ومواد محلية .

والدكتور الصباغ عضو بالعديد من
الجمعيات العلمية والهندسية وأهمها : -

جمعية المهندسين المصرية .

جمعية المهندسين الميكانيكيين المصرية .

جمعيتا اللحام الأمريكية والألمانية .

جمعية السباكة المصرية .

لجنة الإنتاج بالمجالس القومية المتخصصة .
لجنة البحوث لشركة الحديد والصلب المصرية .

رئاسة لجنة تدريب المهندسين بنقابة
المهندسين المصرية

كما أنه عمل مستشاراً لوزير التعليم
لشئون التعليم الفنى .

وعمل خبيراً بلجنة الهندسة بالمجمع لمدة
تربو على عشرة أعوام .

السيد الرئيس : سادتى الزملاء :

هذه لمحة عن حياة هذا الأستاذ الجليل الذى
نستقبله اليوم زميلاً كريماً وعضواً فاضلاً بمجمع
الخالدين وهى حياة حافلة بالإسهام الثمر البناء
ولاشك أنه سيكون خير عون للمجمع فى
رسالته السامية بقيادته الرشيدة وعلمائه
الأعلام لرفعة اللغة والعلم والثقافة.

وفقه الله وسدد خطاه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الرازق عبد الفتاح

عضو المجمع

كلمة

الأستاذ الدكتور أحمد على سالم الصباغ

فى حفل استقباله عضواً بالمجمع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السيد العالم الجليل الدكتور إبراهيم مذكور
رئيس مجمع اللغة العربية مجمع الخالدين :
السيد الأستاذ الدكتور شوقي ضيف نائب
رئيس المجمع :
أيها السادة العلماء الأجلاء :

سيداتى . سادتى :
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .
كم أضرع إلى الله أن يمنحنى فى هذا الموقف
شجاعة الوقوف أمام هذا الحشد من صفوة
علماء هذا البلد بل البلاد العربية جمعاء صفوة
المتقسين فى البيان والأدب واللغة والعلوم
والفنون .
وأشكر صديقى الذى أحترمه وأجله كل
الإجلال وأفخر بصداقته كل الفخر الأستاذ
الدكتور عبد الرازق عبد الفتاح - على تفضله
بتقديمى إليكم ، فشكرا لك أيها الأخ الكريم لما
تفضلت فأطربتني به من كلمات كريمة وددت لو
أنى أستحقها .
أيها السادة :

لقد شئتم أن أعاونكم فى عملكم
خبيرا بالمجمع لنحو اثنى عشر عاما
شاء حظى أن أشغل موقعا كان
لعملاق من عمالقة العلم والفكر واللغة

العربية ندر أن يكون له نظير . وقد يكون أول ما يخطر على البال فى هذا المقام ذكرى سلفى العظيم الأستاذ الدكتور عبد الحليم بدر منتصر رحمه الله وهى ذكرى كريمة وإن كانت تثير فى النفس مهابة وإجلالا . وأنى لى أن أحدثكم بشئ لا تعرفونه عن سيرة الدكتور منتصر فأنتم أعلم به منى وأخبر إلا أنه لما يشجى النفس أن تردد السير العطرة لشيخ العلم .

والدكتور منتصر يجمع بين العديد من المزايا والنوازع والصفات وإنى سأظلمه بالضرورة إذ أتعمد إيجاز ذكر مزاياه وما حيلتى ولا بد من ظلمه لأن وقت القول محدود .

الدكتور منتصر نبأ ودبت جذوره فى بيئة علمية وأدبية وترعرع وأيفع فى بيئة ريفية لها جمالها ورساطتها أثرت فى تكوينه الفكرى والوجداني وربما فى اختياره ليكون عالم نبات بعد تخرجه فى كلية

العلوم عام ١٩٣١ متخصصا فى علم النبات ومتعلما على علامة النبات الشهير أوليفر . ولما كانت شخصية الدكتور منتصر تتسم بالطموح فقد قرر الاستزادة والبحث فى تخصصه . فبعد أن حصل على درجة الماجستير عام ١٩٣٣ بعث إلى المملكة المتحدة ثم سويسرا لمزيد من البحث والدراسة حيث تتلمذ هناك على مشاهير علماء النبات وفى مقدمتهم العالم سالزورى وبعد عودته إلى الوطن حصل على درجة دكتوراه الفلسفة فى النبات عام ١٩٣٥ ثم تدرج فى وظائف هيئة التدريس مدرسا وأستاذا مساعدا فى جامعة القاهرة ثم أستاذا وعميدا لكلية العلوم بجامعة عين شمس الوليدة حينذاك .

وقد حفلت حياته البحثية والعلمية خاصة فى البيئة النباتية التى نشأ فيها وترعرع فله بحوثه المبتكرة فى بيئة بحيرة المنزلة قرب مسقط رأسه ، ثم التربة والنبات فى مريوط والبيستنة النباتية

الصحراوية ، والعلاقة بين الكائنات الدقيقة والنباتات الراقية وأثر هذه الكائنات فى التربة على نمو النبات ، وتغذية النبات فى أرض غير مستصلحة، والمقاومة الأحيائية لبعض أمراض النبات.

ظلت هذه الشجرة المثمرة - كما تعلمون أيها السادة - تورف بظلالها وتثرى بشمارها وتعطر بأزهارها أجيالا بعد أجيال ونما على أغصانها رواد علميون وتفرع عليها بحاث متميزون أفذاذ فأصبحت مدرسة علمية راسخة الكيان تخرج فيها العشرات ممن حصلوا على درجتى الماجستير والدكتوراه بجانب المئات من حملة البكالوريوس فأصبح لعلم بيئة النبات فى مصر وجود متميز متأصل بفضلها وبكفاحه .

وكانت أمنيته التى تحقق منها الكثير أن تنهيا الظروف للغة العربية لتصبح لغة العلم فى هذا البلد العربى وكان يردد دائما هذه الأمنية الصادقة فى تعبيرات

صادرة من أعماق قلبه واعتبر قضية اللغة العربية وإنماء ثروتها العلمية أمانة فى عنق العلماء .

وهكذا سار على درب الكفاح فى سبيل هذه القضية منذ نيف وستين عاما ويشهد على ذلك تصانيفه وتآليفه باللغة العربية لإثراء المكتبة العربية وتمهيد الطريق لجيل جديد يساير السعى المتواصل لتحقيق أمنيته القومية فتصبح اللغة العربية لغة العلم والتعليم فى الجامعة .

ولم يبخل العالم الجليل بتسجيل ما اكتسبه من علم وخبرة فأثرى مجال التأليف والترجمة فنشر باللغة العربية مؤلفا ضخما عن نباتات مصر وانفرد بمؤلفات عديدة أخرى تربو على الثلاثين ، منها على سبيل المثال حياة النبات ، والوراثة والجنس ، وأصول علم النبات ، صحارى مصر ، العلم فى حياتنا اليومية (جزآن) ، قادة العلم فى العصر الحديث

(جزآن) ، تاريخ العلم عند العرب ،
فجر الحياة ، العلم الإغريقى ، العلم
وأصل الكائنات ، الكشف والفتح ،
العلم والإنسان الحديث ، الحياة على
مر العصور - أصل الأنواع (جزآن)،
العلم المصنوع من حولنا ، الجنس البشرى
يتطور . كلها باللغة العربية بجانب مترجماته
تشرح النبات ، وبيئة النبات ، وهى تمثل -
كما ترون - ثروة علمية جديدة بالاحترام
والتبجيل .

لم تقتصر إنجازات الدكتور منتصر على
ريادته فى تخصصه بل تجلّت أصالته وعراقته
فى ريادته لنشر الثقافة والعلوم باللغة العربية
إذ بدأ حملة موفقة لتعريب وتدرّس العلوم
باللغة العربية فى الجامعة بعد أن كانت اللغة
الإنجليزية هى لغة الدراسة فى كلية العلوم
حينذاك ، وثابر فى حملته فى إصرار وعزيمة
لاتكل ولا تمل ولا تلين على مدى يربو على
أربعين عاما ، وفى هذا المضمار أنشأ فى مطلع

الثلاثينيات جمعية أنصار اللغة العربية بكلية
العلوم أفرزت ظهور مجلة رسالة العلم التى
جمعت أبحاث العلماء منشورة باللغة العربية
مع ترجمة للمصطلحات العلمية ، وكان الفقيد
رئيسا لتحريرها ويكتب لعدة عقود مقالات
تناول فيها موضوعات مهمة تواكب قضايا
العصر تناولها بالتحليل والمناقشة بقريحته
الوقّادة . مثال ذلك : ثورة العلم - تنظيم
البحث العلمى فى مصر - العلم فى خدمة
الاقتصاد القومى-البحث العلمى ومشروعات
الإصلاح - التخطيط العلمى للوطن العربى -
الموارد العربية فى البلاد العربية - تطوّر الفكر
العلمى ومسايرة اللغة العربية - التعبئة
العلمية - بعض اتجاهات البحث العلمى .
كان ذلك منذ عدة عقود . أليست هذه القضايا
أيها السادة هى التى ما زالت حية فى حاضرنا
تعتلج فى وجداننا ؟

كما اضطلع الدكتور منتصر بالإشراف على نشر عديد من الكتب السنوية والمحاضرات والدراسات التي تنشرها الجمعيات والهيئات العلمية والاتحاد العلمى المصرى والعربى بقدر يفوق الثلاثين مجلدا بجانب عدد من الكتب العلمية المبسطة والمقالات الصحفية ، منها سلسلة أقرأ وتراث الإنسانية والثقافة والرسالة والعلوم والكتاب والعربى والقافلة وغيرها .

أمّا على صعيد النشاط فى مجمع اللغة العربية فقد كان حافلا بالإنجازات البارزة طوال عضويته لخمس وثلاثين عاما وأهمها ترجمة عشرات ألوف المصطلحات العلمية ونشاطه فى عضوية اللجان العلمية المختلفة بالمجمع والمشاركة فى وضع قاموس يضم خمسة وثلاثين ألف مصطلح أصدرته القوات المسلحة . هذا بجانب تحقيق كتاب الشفاء لابن سينا ومقالاته المبرزة التى تعالج المشاكل

الحىوية مثل مشكلة المصطلحات العلمية والطريقة العلمية لحلها - التفكير العلمى والإسلامى - العلم وغزو الفضاء - حاجتنا إلى معجم علمى عربى ، وغيرها وغيرها .

وقد اختارته الكويت مديرا لجامعتها التى أرسى قواعدها عام ١٩٦٤ ثم عمل مستشارا لشئون الجامعات بالملكة العربية السعودية عام ١٩٧٥

وامتد نشاطه إلى الساحة الدولية فكان عضوا فى العديد من الجمعيات العلمية الدولية مثل جمعيتى البيئة النباتية البريطانية والأمريكية والجمعية الدولية للبيئة الصحراوية بالهند ، إلى جانب بعض الجمعيات العلمية المصرية ، وكان نقيباً للمهن العلمية ورئيساً لخريجى كلية العلوم ونال جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٧

هذا إيجاز شديد لمسيرة الدكتور منتصر
على درب البحث العلمى ونشر العلوم وحمل
رسالة الحفاظ على اللغة العربية والعمل على
رقبها ورفع شأنها والعمل على تداولها فى
حياتنا العلمية .

أيها السادة :

إننى حينما أفيق من موجة الغبطة والفرح
بتشرفى بعضوية المجمع الموقر ، وبعد كبح
جماح هذه النشوة التى تصيب المرء فى مثل
تلك المناسبات أجدنى أمام مهمة عظيمة
ورسالة مُقدسة تحتاج إلى عمل شاق ودوب
اقتداءً بما قام به الأسلاف العظام وإلى ترسم
سيرهم وخطاهم وفى مقدمتهم سلفى العظيم
الدكتور منتصر .

وإنى حين أعبر عن سرورى لاختياركم
لى عضواً عاماً بالمجمع إنما ينبع ذلك
من منطقتين : أولهما شخصى إرضاء للنفس
وإسعاداً لها ، والثانى لغبطتى الشديدة
لرؤيتكم الشاقبة الصائبة بإدخال العلوم

الحديثة ومنها العلوم الهندسية والتكنولوجية
التي لى شرف الانتماء إليها لتخدم اللغة
العربية ، ولتخدمها اللغة العربية ولتثبت أنها
قادرة على العطاء ومواكبة مستحدثات العصر
بتوسّع أقيستها بالتوليد والاشتقاق والتجميع
فلا يخرج على العالم مصطلح أو مفهوم علمى
أو تقنى جديد إلا وجد ما يقابله ويعبر عنه
باللغة العربية بدقة وصدق تامين ، ولا يقتصر
دور اللغة على كونها وسيلة تفاهم وكونها
وعاء يحتوى فكر وتراث الأمة وحضارتها
وثقافتها بل يمتد إلى اقتحامها للمستقبل
تواكب تطوراتهِ وتساير ابتكاراتهِ
ومستحدثاته .

وفى ظروف مجتمعنا العربى يمكن
بواسطة نشر المفاهيم والمصطلحات
العلمية والتكنولوجية الحديثة نقل هذه
التكنولوجيا إلى الجماهير العريضة التى
تعيش فى ضباب التخلف تتطلع إلى نور العلم
وضياء المعرفة وبهذا السبيل يكون

القضاء على التخلف والتدنى الحضارى والذى

كثيرا ما نوصم به ، وصدق رسول الله صلى

الله عليه وسلم حين قال فى حديثه الشريف :

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من

ثلاث : ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية

أو علم ينتفع به . »

وفقنا الله لأداء الرسالة بنشر علم ينتفع به.

وقبل أن أختتم كلمتى أدعو الله أن يرعى
بعنايته السيد الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومى
مذكور رئيس المجمع وأن يسبغ عليه نعمة
الشفاء إنه نعم المولى ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحمد على سالم الصباغ

عضو المجمع

كلمة المجمع

فى استقبال العضو الجديد

الأستاذ الدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعى

للاستاذ الدكتور كمال محمد دسوقي

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدى الرئيس الجليل :

السادة أعضاء المجمع الموقر :

سيداتى ، سادتى :

العربية من كتب التراث التى له فى تحقيقها
إسهاماته التى تشهد له بطول الباع فهو فى
تأصيلها لا يشق له غبار .

ولد الأستاذ الدكتور حسن محمود
عبد اللطيف الشافعى يوم التاسع عشر من
ديسمبر سنة ثلاثين وتسعمائة وألف بقرية
بنى ماضى مركز ببا محافظة بنى سويف -
حيث تلقى تعليمه الأولى وأتم حفظ القرآن
الكريم . ومن معهد القاهرة الدينى حصل على
الابتدائية الأزهرية بتفوق عام ١٩٤٨ ، وعلى
الثانوية الأزهرية عام ١٩٥٣ . وفى نفس
العام الميمون (١٩٦٣) تسنم مرتبتى شرف
الشهادة العالية من كلية أصول الدين جامعة
الأزهر (فى العقيدة والفلسفة) وليستأنس
اللغة العربية والعلوم الإسلامية من
كلية دار العلوم جامعة القاهرة

يسعدنى أن أرفأ إلى موكب الخالدين فى
ثانى أيام عيد استقبال زملائنا الجدد علماً من
أعلام اللغة والفكر ، قد يسره الله للاتضمام
إلى الركب بما أنعم عليه من علم وفضل ، وما
زوده به من خلق ودين ، وما أسبغ عليه من
تقوى ورضوان - ذلكم هو الأستاذ الدكتور
حسن محمود عبد اللطيف الشافعى ، الذى
زكيتم بعون الله ترشيحه والله يزكى من
يشاء ، وأهدىتموه للجنة الفلسفة خيراً وبركة
على أعمالها فى استخلاص تعريفات
مصطلحات الفلسفة الإسلامية

حيث عُيِّن معيداً بقسم الفلسفة بهذه الكلية . وبعد حصوله على الماجستير فى الفلسفة الإسلامية (١٩٦٩) عُيِّن مدرّساً مساعداً بالقسم (١٩٧٢) ثم أُوْفِدَ إلى كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن - التى حصل منها على الدكتوراه فى الفلسفة الإسلامية (١٩٧٧) وعُيِّن مدرّساً بالكلية ، وهناك تدرّج فى وظائف أستاذ مساعد (١٩٨٤) فأستاذ (١٩٨٩) فوكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث (بين عامى ١٩٨٩ - ١٩٩٢) .

ولقد تهباً للدكتور الشافعى منذ بزغ فجر نبوغه كوكبة من الشيوخ الأعلام الذين تتلمذ عليهم فأتطبع بهم وسار على دربهم . فهو يزور بآية الله بعهد القاهرة الابتدائى عام ١٩٤٤ فى عهد الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، ثم بالمعهد الثانى (١٩٤٨) فى عهد للمجتمعى الكبير العلامة الشيخ عبد الرحمن تاج ؛ ويمتدُّ بأن من شيوخه

الذين تأثر بهم واقترب منهم فى مرحلتى الدراسة الابتدائية والثانوية : فضيلة الشيخ أشتب القاضى أستاذ النحو بمعهد القاهرة ، وفضيلة الدكتور على عبد المنعم عبد الحميد أستاذ المنطق - اللذين أوسيا فى تكوينه قواعد توجهاته اللغوية والفكرية إلى جانب المنابع الثرة التى نهل منها فى بيت أبيه العالم الأزهري أحد رجالات التعليم بوزارة المعارف ، ثم على يد فضيلتى الشيخين الجليلين عبد الرحيم قودة ومحمد كامل الفقى - الذى صار معيداً لكلية اللغة العربية .

ويذكر الشافعى بالفضل أساتذته الذين تعهدوا زغب جناحى تحليقه فى سماء اللغة والفكر بدار العلوم - لغويّاً وأدبياً : الدكتور إبراهيم أنيس ، الدكتور محمد غنيمسى هلال ، الدكتور أحمد هيكىل ، الدكتور على الجندى ، والمجمعين الأساتذة الدكتور عبد الرحمن السيد ، الدكتور أمين السيد ، والدكتور كمال بشر ،

والدكتور بدوى طبانة وفكريًا وفلسفيًا :
الأساتذة الدكتور محمود قاسم (العميد
الأسبق الذى أشرف على بحثه للماجستير
وعلى جزء من بحث الدكتوراه قبل سفره إلى
لندن) ، الدكتور عثمان أمين ، الدكتور
محمد عبد الهادى أبو ريدة ، الدكتور على
سامى النشار - الذين كانوا ينتدبون لتدريس
الفلسفة بدار العلوم ، وكذا الدكتور يحيى
هويدى أستاذ الفلسفة بمرحلة الليسانس بالكلية
آنثذ .

أما عن شيوخه بكلية أصول الدين فى نفس
فترة الطلب بدار العلوم فهو يذكر بالفضل فى
توجيهه العلمى والروحى : الإمام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود (الذى رعاه
أكثر من خمسة عشر عاماً) ، الأستاذ
الدكتور سليمان دنيا ، الإمام الشيخ
عبد الرحمن بيصار ، الأستاذ الشيخ محمود
أبو العيون ، الأستاذ الشيخ محمد أبو شهبة -
رحمة الله عليهم جميعاً - حتى فى جامعة لندن
لا يفوته أن ينتسب فى تحصيل العلم إلى

المستشركة العالمية رئيسة قسم الشرق
الأوسط بكلية الدراسات الشرقية والإفريقية
الأساتذة لامبتون ، والأستاذ جونسون رئيس
شعبة اللغة العربية بالقسم ، والأستاذ
المصرى الدكتور عبد الحليم عبد الوهاب ،
والأستاذ عضو المجمع المصرى داود كاون من
نفس القسم أيضاً - الذين أفاد منهم فى
الإشراف على دراسته للدكتوراه .

سيدى الرئيس ، السادة الزملاء :

للدكتور حسن الشافعى خمسة تأليف هى
كتب المدخل إلى دراسة علم الكلام ، مقدمة فى
الفلسفة العامة ، فصول فى التصوف ، فى
فكرنا الحديث والمعاصر ، وآخرها (١٩٩٣)
لمحسات من الفكر الكلامى - عدا تأليف
بالاشتراك فى المنطق ومناهج البحث ، إلى
جانب تحقيقه ودراسته لكتابه « غاية المرام فى
علم الكلام » و « المبين فى معانى ألفاظ
الحكماء والمتكلمين » لسيف الدين الأمدى

- الذى زوّد به بمقدمة ضافية عن المصطلح العلمى والكلامى بصفة خاصة فى التراث الإسلامى ، فصل فيها القول عن المؤلفات العامة فى المصطلحات المستخدمة فى كافة العلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية منذ « مفاتيح العلوم » للخوارزمى (٣٨٧ هـ) قالتعريفات للجرجاني (بما يتميز به من ترتيب هجائى من الألف إلى الياء وما عُنَى به من مصطلحات فقهية وإن يكن بنزعة حنفية ، ومن مصطلحات صوفية بمشرب يميل لصاحب الفتوحات المكية ..) حتى « الكليات » لأبى البقاء الحسينى الحنفى (المتوفى ١٠٩٤ هـ) ، وكشاف اصطلاحات العلوم والفنون للتهانوى (الذى فرغ من تأليفه عام ١١٥٨) وقال عنه محققه الدكتور لطفى عبد البديع إنه معلمة الثقافة الإسلامية بما استقصى فيه التهانوى من بحث المواضع العلمية متدرجاً من الدلالات اللغوية إلى غيرها من الدلالات فى شتى العلوم نقلية وعقلية ..

ويستطرد مجمعيُّنا الشافعى فى إيراد مؤلفات إيرانية وهندية فى معرفة الضوابط والحدود ، ومقاليد العلوم فى الحدود والرسوم المنسوبة للسيوطى ، ودستور العلماء (جامع العلوم فى اصطلاحات الفنون للقاضى الأحمـد تكرى ومحققه قطب الدين الحيدر أبادى) ، ثم يتطرق بعد ذلك إلى مؤلفات خاصة فى المصطلحات الفلسفية والكلامية - كرسالة الكندى فى حدود الأشياء ورسومها ، وكتاب الحروف للفارابى ، ورسالة الحدود والرسوم لإخوان الصفا ، والحدود لابن سينا ، وكتاب الحدود للغزالى ، ورسالة فى معانى الحدود للآمدى .. إلى جانب ما وقع له هو شخصياً من مخطوطات مختصرات ورسائل مجهولة المصدر أو معلومة (لمُفتى مصر الشيخ محمد حسنين مخلوف والشيخ أحمد الشرقاوى ..) التى تدل على مواصلة العناية بهذا الضرب من البحث كبداية للنهضة الحديثة التى يشير إلى ما ظهر من ثمارها كمعاجم فلسفية حديثة .

وعدا ما للدكتور الشافعى من ترجمتين عن الإنجليزية لكتاى « تاريخ التشريع الإسلامى » لكولين ، و « تطور الفكر الفلسفى فى إيران » (بالاشتراك مع الدكتورين محمد السعيد جمال الدين ومحمد سراج على الترتيب) فإن له عشرة أبحاث - ثلاثة منها بالإنجليزية ، ألقى اثنان منها فى أكاديمية الشريعة وندوة الاقتصاديين المسلمين بإسلام أباد عن : « مبادئ علم أصول الفقه وكيف يفيد الاقتصاديون المسلمون منه » ، وعن « القاضى فى ظل الدولة الإسلامية » (١٩٨٨) - والأول منشور بمجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامى بجدة (١٩٨٤) فى نقد وتقييم كتاب تطور فقه الزكاة .

أما ثمانية البحوث بالعربية فهى منشورة بحوليات دار العلوم (عن : مشكلات تحقيق النصوص العربية) ، ومجلة الدراسات العربية والإسلامية بها (عن : إعداد الداعية المفتى) ، وضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ١٩٨٨ (عن : الغزالى - المنهج

وبعض التطبيقات) ، أو ضمن أعمال ندوة تربية الشباب المسلم ودور الجامعات فيها ، إسلام أباد ، ١٩٨٨ (عن : مشكلة المغالاة فى الولاء للقادة وقضية جماعة المسلمين - إلى جانب البحث المنشور مبكراً عام ١٩٨٠ بمجلة البنوك الإسلامية والاقتصاد الإسلامى بالقاهرة بعنوان : نحو تقسيم للعلوم الشرعية الإسلامية ، والبحث الذى ألقى مؤخراً بمؤتمر الحضارة الأندلسية المنعقد بكلية آداب القاهرة ١٩٩١ عن « ابن رشد الفقيه وكتابه : بداية المجتهد ونهاية المقتصد » وعدا دراستى النقد والتقييم لبحث الوقف الإسلامى والدور الذى لعبه فى النمو التعليمى والاجتماعى فى الإسلام - إسلام أباد ١٩٨٢ ، ولبحث « الحاجات الأساسية وتوفيرها فى الدولة الإسلامية » - المنشور بمجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامى بجدة ١٩٨٤ .

ولا يتوقف العطاء الشراً المتواصل للأستاذ الدكتور حسن الشافعى - فمن أبحاثه وترجماته وتحقيقاته تحت الطبع :

كتاب « الأمدى وآراؤه الكلامية ودوره فى تطوير علم الكلام » ، وتحقيقه لكتاب « عطف الألف المألوف على اللام المعطوف » لأبى الحسن الديلمى ، ثم ترجمة هذا الكتاب إلى الإنجليزية (بالاشتراك مع أستاذ اللغة العربية بجامعة برجن بالنرويج جوزيف بل) ، ودراسته بالإنجليزية لعلم الكلام الاثنى عشرى وتطوره حتى القرن السابع الهجرى (تجريد الاعتقاد) ، وتحقيقه كتاب « أساس الاقتباس » فى المنطق - بجزأيه .. كل ذلك فى جو من النشاط العلمى الدعوب الذى شمل - فيما اشتمل عليه - الإشراف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه بالجامعات المصرية ، وجامعة البنجاب فى لاهور بباكستان ، والجامعة العالمية بإسلام آباد - التى شارك فى تأسيسها وإدارتها بكافة كلياتها وأقسامها ، كما يشارك فى تحرير (والإشراف العام على جمع مواد) دائرة المعارف الإسلامية (التى تصدرها بالقاهرة شركة سفير) ابتداء من العدد الثالث - حيث هو عضو الجمعية الفلسفية المصرية ، وجمعية التربية الإسلامية والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

سيدى الرئيس

سادتى الزملاء

بهذا الرصيد الجم من الفكر الأكاديمى التراثى الأصيل ، الذى شرق به وغرب - علماً وتعليماً ، وبحثاً ومحاضرة ، وتحقيقاً ودراسة وتأليفاً ، على طول العالمين العربى والإسلامى وعرضهما .. الأستاذ الدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعى ، فإننى - إذ أنهته على اصطفاء الخالدين له عضواً عاملاً بمجلس المجمع ، أهنى نفسى وزملائى خيراً لجنة الفلسفة بهذه العضوية ، التى ستفى على أعمالها فى إعداد معجم الفلسفة العربية كل الخير والبركة ، بل أهنى السابقين من آباء الفلسفة وشيوخها الذين أصدروا معجم الفلسفة قبل عشرين سنة بأنه قد لحق بهم على طريق الخلد من قد أهله الله لخلافتهم واجتباؤه وهدايه إلى استكمال جهودهم وحمل رايتهم .

والله المسؤول أن يحقق على يديه الآمال ،

وأن يجعله خير خلف لخير سلف

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كمال محمد دسوقي

عضو المجمع

كلمة

الأستاذ الدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعى

فى حفل استقباله عضواً بالمجمع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِحَافِظُونَ^(٢) . وقد قُدر للعربية فى صدر
الإسلام الأول أن يحملها قومٌ إلى خارج الجزيرة
كانوا بها معتزين ولها مخلصين ، مع سلامة
الفطرة ، واستقامة الألسنة ، وقوة الدين .

وقد ساعد على هذا التوسع الأفقى للعربية
أنها لم تعد لغة أدبٍ شعري ونثري فحسب ،
يحفظه جيل بعد جيل بالرواية الشفهية ، بل
غدت تحوى بنزول القرآن الكريم ديناً قيماً ،
ونظاماً للحياة متميزاً ، يعتنقه الناس عن
طواعية ، ويدخلون فيه أفواجاً ، فيربطهم ذلك
بالعربية لسان الوحي ، ويدعوهم إلى اتخاذها
لغة لهم مع بقاء اللسان الأصلى على أفواههم ،
وبعض تراثه فى ضمائرهم وعقولهم .

السيد الأستاذ الكبير الدكتور شوقى ضيف
نائب رئيس مجمع اللغة العربية .
السيد الأستاذ الكبير إبراهيم الترسى الأمين
العام للمجمع .
ساداتي الخالدين ، أعضاء المجمع الموقر
إخوانى وأخواتى :

أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ،
وأصلى وأسلم على محمد ﷺ وعلى جميع
إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وبعد :

فإن الله - تعالى - قد اختار العربية
لساناً لذكره الحكيم (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى
قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
مُبِينٍ)^(١) فكان فى خلوده وحفظه حفظ لها
وخلود (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

(١) الشعراء ١٩٢ - ١٩٥ .

(٢) الحجر ٩ .

وتتقدم الحياة بالمسلمين والعرب ، وتمضى هذه الموجة الحضارية إلى غاياتها ، فتتأسس وتزدهر علوم دينية ولغوية ، على أساس من الكتاب الكريم ومن أجله ، وتقوم إلى جانبها علوم أخرى غير دينية وإن كان الدين يدعو إليها ويحض عليها ، ويصطنع رجال هذه العلوم لغات فنية لهم فى إطار العربية وأحكامها ، ويمثل هذا التطور التوسع الرأسى للعربية باعتبارها لغة علم وحضارة ، بعد اتساعها الأفقى .

وقد انتفعت العربية فى كلتا المرحلتين بصبغتها القرآنية وصلتها المباركة بالوحى ، فحظيت فى ضمير الأمة بقداسة وإجلال ، حتى لقد تقرر أن معرفة المسلم ببعض من العربية وإحسان بعض المسلمين لها مطلب شرعى ، يقول شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية فى فتاواه : « معلوم أن تعلم العربية وتعليم - العربية فرض على الكفاية ، وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن ،

فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربى ، ونصلح الألسن المائلة عنه ، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة الاقتداء بالعرب فى خطابها ، فلو ترك الناس على لحنهم كان نقصاً وعبثاً » (١) .

وفى هذا يقول مجمعى معاصر : « إن حفظ البيان الذى لا يتحقق إلا بوضوح مصطلحاته ومفهوماته ، ودلالات ألفاظه ، وإدراك معهود اللغة التى نزل فيها الخطاب ، هو قسيم حفظ القرآن نفسه ، وإن أى تفريط بالمدلولات أو بالمصطلحات أو بالمفاهيم يعنى العبث والضلال الشقاقى ، الذى يؤدى إلى الانتحال الباطل ، والتأويل الفاسد الجاهل » (٢) وكأئنى به يشير إلى الحديث الحسن الذى رواه ابن عبد البر فى « جامع بيان العلم وفضله » عن النبى ﷺ : (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين) .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٢ / ٢٥٢ . ط الرياض

(٢) إبراهيم السامرائى : فى شرف العربية : سلسلة « كتاب الأمة » قطر ، ١٩٩٤ م ، ص ١٠ .

سادتى سدة العربية :

تعلمون أن عوامل الضعف ودواعي التقليد
وكيد الأعداء قد أصابت العربية في عهد
لاحقة بما نجم عنه التحريف الغالى والانتحال
الباطل والتأويل الفاسد ، وقد نهض لمقاومة
ذلك صفوة كرام من أبناء هذه الأمة ، يحمون
لسانها وبيانها ، ويدفعون عن هويتها
وحضارتها ، ويؤكدون ذاتيتها وتميزها ،
وأفضت تلك الجهود إلى مجمعكم الموقر فأخذ
القوس باريها ، ووضع الأمر فى نصابه .

وانى لأشعر - وأنا أصغركم شأننا وأقلكم
علمًا - أن الأوضاع العالمية تتهاى لدور جديد
تقبل فيه شعوب كثيرة على العربية تتعلمها
وتتخذها لسانًا ، وعلى القرآن الكريم تقيم
عليه طريقة حياتها ، والكثير منها له بذلك
عهد لم يطل ، لقد كانت العربية يتكلم بها
فى الطرقات والأسواق فى بلاد ما وراء
النهر إلى نحو ستين عامًا مضت ، وهم اليوم
يقبلون عليها من جديد . لقد قُدر لى

أن أتصل ببعض أبناء هذه الشعوب وما حولها
من ديار الإسلام ، فما منهم من أحد إلا
ويتمنى أن يتعلم العربية ويتكلمها ، وإن حالت
دون ذلك حوائل تعرفونها ، يرجع بعضها إلينا ،
وبعضها إليهم ، ويرجع بعض آخر إلى أطراف
أخرى ، غير أن العربية اليوم تتهاى لظروف
شبيهة بالموجة الحضارية الأولى ، وإن احتوت
ملاحم من المرحلة الثانية . وإننا لنضرع إلى الله
رب العالمين أن يبعث روح النصح للعربية
وكتابها فى نفوس أبناء هذه الأمة فيكونوا
أهلا للنهوض بما يتطلبه ذلك الموقف من تبعات
وخدمات ؛ فإن السدانة خدمة ورعاية وليست
مجرد دفاع وحراسة ، وهو سبحانه خير مأمول
وأكرم مسؤول .

سادتى :

إن أول واجب على فى مقامى هذا بين
أيديكم أيها الخالدون أن أتوجه إليكم
بالشكر الصادق على حسن ظنكم بى
وتوسمكم الخير فى ، وإنى-على ما أعرفه

من نفسى من ضعفٍ وقلة حيلة - لأضرع
إلى الله - تعالى - أن يجعلنى عند حسن
ظنكم ، وأن يعينتنى على النهوض بأعبائه
وتكاليفه ، كما أسعدنى بكرامته وتشريفه ؛
فإن هذا الاختيار من أمثالكُم إنما هو
تكليف لا مجرد تشريف .

قد رشحوك لأمر لو فطنت له

فأربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

لقد بعث بى أبى - رحمه الله - وكان
شيخاً أزهرياً من بنى هلال ، إلى رحاب الأزهر
الشريف منذ خمسين عاماً كاملة ، فهل يحق
لى أن أقول مقالة حقنى ناصف : « .. فأخذت
فى تعلم المعارف ، فى ظل الأزهر الوارف ،
فحصلت منه ما قرت به عينائى ، وحمدت به
عُقبى سُرأى .. حتى سمعت بدار العلوم ، ذات
الفضل المعلوم ، فوردت من منهلها الرائق ،
فما سمعت أذننى بأطيب مما قد رأى بصرى ،
فنظمت نظرى فى سلكها ، وأطربتنى حمائم

الفنون تغرد على أيكها . قلله من أنشأها فى
مصر عروساً ، وأطلع تلاميذها فى آفاق القطر
شموساً ، على الهمة مبارك الطلعة ... » (١) ؟
إنى مدين على أية حال لهذين المعهدين
بمقامى هذا اليوم ، فحق على أن أشكر - بوجه
خاص - رجالهما بما علمونى ، وقوموا من
لسانى ، وعمروا من جنائى ، فجزاهم الله بخير
جزائه ، وأفاض عليهم من نعمه وآلائه ،
وبخاصة المجمعين منهم : الأستاذ الدكتور
بدوى طبانة ، والأستاذ الدكتور عبد الرحمن
السيد ، والأستاذ الدكتور أمين السيد ،
والأستاذ الدكتور كمال بشر ، لقد جلست منهم
مجلس التلميذ ، وسأظل لهم التلميذ
المخلص الوفى إن شاء الله . ولا أنسى
فضل شيخ الفلاسفة وكبير الخالدين
الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومى مذكور
رئيس المجمع ، الذى ناقشنى فى رسالة

(١) مهدى علام وعبد الحميد حسن : نشر حقنى ناصف ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٦ ، ٧ .

« الماجستير » ، وهأنذا اليوم أشرف بالعمل
تحت لوائه ، فجزاه الله عنى خير جزائه ،
وأمتعنا بعافيته وشفائه .

وشكراً خالصاً كذلك للأستاذين الجليلين
اللذين تفضلاً علىّ بأول إشارة دخول إلى هذه
الرحاب ، ورشحاني لهذا الأمر ، فاستوجبا
الشكر كل الشكر ، الأستاذ الكبير الدكتور
كمال بشر ، عميد دار العلوم الأسبق ،
والأستاذ الأديب الشاعر ، إبراهيم التريزى
الأمين العام للمجمع . فجزاهما الله عنى خير
الجزاء .

أما الأستاذ الجليل الدكتور كمال الدسوقي
فقد أفاض على من فضله ، ووصفنى بما هو
أهله ، ورأى فىّ ما لا أراه لنفسى ، وحيانى
أحسن تحية ، وأكرم وفادتى فى هذه المعية ،
فهل أجد أحسن من تحيته لأجزبه ، وهل أملك
مثل بيانه لأكافيه . إنه رجل حفظ القرآن
وضمه بين جنبيه ، وهو ابن تسع سنين ،
لتمضى به حياته التى نيفت الآن على

السبعين إلى أركان الدنيا الأربعة ، محاضراً
ومعلماً ، وباحثاً ومنقّباً ، وجامعياً بارزاً ،
ومجمعياً فارهاً ، والآن يؤوى إليه أخوا
صغيرا ، يشاركه الأمل والعمل فى خدمة
العربية ، وتحرير مصطلحاتها العلمية ، فما
أسعدها صحة ، وما أنبله حاديا وهاديا ، لقد
سجل تجاربه الزاهرة ، ومعارفه وتحقيقاته .
الفاخرة ، فى كتاب جامع أسماء « الذخيرة » ،
فكأنه ابن بسام هذا الزمان ، وإن لم يكتب عن
محاسن الجزيرة ، بل عن علوم النفس
ومصطلحاتها الكثيرة ، فضمن ذخيرته خمسة
وعشرين ألف مصطلح علمى من الإنجليزية
والفرنسية والألمانية ، مع جذورها اللاتينية
واليونانية ، فله درّه من همام ، وما أحراه أن
يقرن بابن بسام - جزاه الله عنى خير الجزاء .

ولئن كان الثوب الذى ألبسنيه الدكتور
الدسوقي من لطفه فضفاضاً ، يكاد يخفى
فيه بدننى النحيل ، فإن الكرسى الموقر ،
الذى شاء القدر أن أجلس قيسه ،

هو أيضاً من السعة والكبر ، بحيث يخفى فيه
كيانى القليل ؛ لقد شغله عن جدارة ، وأسبغ
عليه هيبتة ووقاره ، أستاذ جليل ، ودرعى
أصيل ، ومجمعى عريق نبيل ، هو المرحوم
الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام ، قامة فى
العلوم سامقة ، وقمة فى العربية شاهقة ،
فما أقلنى وأكثره ، وما أصغرنى وأكبره ،
كيف أجلس فى مكانه ، أو أتحدث عن فكره
وبيانه ، وهو شيخ شيوخى بلا كناية ، الذى
أوفى فى الفضل على الغاية ، فأقول وأنا
بالحياء مشمول وبالدعاء مشغول :

كان الدكتور المهدى العلامة شخصية
ثرية متعددة المواهب فسيحة الأبعاد ،
غنية بالقضائل ، سخية بالعطاء
والجهاد؛ فهو الطالب المتفوق الذكى ،
والوطنى المستمسك القوى ، لا يشغله هذا
عن ذاك ، وهو المربى الفاضل ،
والإدارى الناجح فى وقت معاً ، وقلما فى
غيره اجتمعاً . وهو المثقف نعم المثقف ،

الجامع بين الأصالة والمعاصرة دون تحيز
أو تحيف ، أستاذ اللغتين ؛ العربية
والإنجليزية ، يعبر بهما فى طلاقة وارتجال ،
ويعلمهما لأجيال بعد أجيال .

عانى أيام الاحتلال ، وشارك فى ثورة
الاستقلال ، وأسهم فى بناء الدولة فى مجالى
التعليم والثقافة ، فى العهدين الملكى
والثورى ، وكان فى كل ذلك الوطنى الصادق ،
والناصح الأمين ، لم يتغير هدفه ولم يخطئ
طريقه . وهو رجل المؤسسات المصرية ، يخدمها
فى همة قوية ، ويبث فيها من تجاربه وخبرته ،
ويترك فيها أثراً من إخلاصه وهمته ، وهى -
على كثرتها الكاثرة - فى اهتمامه ورعايته
على سواء . وهو المجمعى العريق عضواً فأميناً
فنائباً للرئيس ، وهو بعد المؤلف المتمكن
والكاتب ذو الفكر العميق والأسلوب الرشيق .

وقبل أن تعرض لبعض هذه الجوانب بشيء من البيان والتفصيل نقول : إن أبرز القسامات فى شخصيته هى كونه أستاذاً معلماً أياً كانت صيغة التعليم أو مجال الأستاذية ، فى مؤسسة تربوية أو فى منشأة إدارية . والغريب أنه كان ينكر - من فرط تواضعه - على نفسه وصف الأستاذية ؛ يلقاه أحد تلاميذه الذى أصبح عميداً لكلية أصول الدين بالأزهر الشريف ، فيقول له فى ولاء : ألا تعرفنى ؟ لقد كنت أستاذاً أنت والأستاذ زكى المهندس ، فيقول له : لست أستاذك وإن درّست لك ، أما أستاذاً وأستاذك فهو زكى المهندس - رحمه الله .

وأما عاطفته القوية السائدة فهى - فيما أزعّم - محبته لدار العلوم التى جسّد فكرتها شخصه ، وأعطى نموذجاً حياً لرسالتها الحضارية ، ومهمتها

التربوية ، ولست أقصد بدار العلوم المبنى أوساكنيه ، بل المعنى بما يتضمنه ويحويه ، من خدمة الدين والعربية ، والذود عن حياضهما فى سماحة قوية ، وإثراء علومهما بالمعارف الجديدة والوسائل المنهجية . على أنه ما أغفل حقوق الدار وساكنيها ؛ يكتب عن أبنائها من شيوخه الأجلاء كحفنى ناصف وتلاميذه النجباء كالشاعر محمود حسن إسماعيل ، ويدرس فى حلقاتها حتى تؤثر به الغير على نفسها ، ويظل وفيّاً لها سواء كان فى ربوع الغرب أو أحضان الشرق ، يروى تاريخها ، ويحيى ذكرى رجالها ، ويشارك فى مجلس إدارتها أمداً طويلاً .

ومن الأمور ذات المغزى فى هذا الصدد ، التى تدل على ثبات الجوهر وإن تغير العرض ، ما بعث به من أوروبا فى أوائل العشرينيات وقد استبدل بالعمامة القبعة ، ينسج على متوال أستاذه الجارم وزكى المهندس :

فإن تك غيرت منى الليالى

وحال البعد دونكمو ودونى

فهذا رسم صاحبكم ، ولكن

(متى أضع العمامة تعرفونى)

وإذا وجب على أن ألم بأطوار حياته ،
وجوانبها المتعددة التى ألمحت إليها آنفاً ،
فإنى أبدأ بمثل ما بدأ به حديثه عن أستاذه
زكى المهندس :

١ - فى أعرق أحياء القاهرة المعزية ، وفى
حارة الروم ، ومع بداية القرن العشرين ، ولد
مهدي علام ، وفى ظل الاحتلال البريطانى أتم
دراسته الابتدائية والثانوية فى سن
السابعة عشرة ، ليلتحق بدار العلوم ،
فكان الأول بين المقبولين فيها ، ثم تخرج فيها
فكان الأول بين زملائه سنة ١٩٢٢ م . ولكن
هذا التفوق الدراسى لا يحول دون مشاركة
الشباب الذى يتفجر حمية وطنية ، فى
الثورة المصرية عام ١٩١٩ م ، ممثلاً لدار

العلوم فى لجنة الشباب التى تضم ممثلى
المعاهد والمدارس العليا بالعاصمة ، وكان
هو ، مع المرحوم عبد العزيز عز العرب ممثل
مدرسة المهندسخانة حينذاك ، يترددان - فى
ملابس باعة الجرائد - على المرحوم عبد الرحمن
بك فهى سكرتير لجنة الوفد المركزية أثناء
الثورة ، فى داره بشارع القصر العينى التى
تشغلها دار الأدباء الآن ، ويبلغان توجيهات
الزعيم سعد زغلول إلى قواعد الثورة ،
ويصدران مع زملاهما المنشورات والمجلات
السرية ، التى حفظت جذوة الثورة متقدة ،
حتى كان ما نعلمه من أمرها .

ويحتسب الرجل دوره فى ذات الله ، ولا يذكره
إلا خشية ضياع جزء عزيز من تاريخ أمته .

وواقعة أخرى أذكرها من هذه المرحلة
الأولى ، تؤكد أن العمل الوطنى لم يكن
على حساب طلبه للعلم ؛ فقد طلبه

بشغف وإخلاص نادرين ، يقول : « ... فى سنة ١٩١٨ ، وأنا طالب بدار العلوم ، تاقت نفسى إلى قراءة كتاب باللغة الإنجليزية غير الكتب المدرسية التى كانت قراءتها لزامًا علينا ، فاسترشدت بأستاذ اللغة الإنجليزية ، فأرشدنى إلى كتاب (العادات والأخلاق فى مصر الحديثة) لمؤلفه إدوارد لين .. »^(١) ثم يذكر لنا أثر الكتاب فى نفسه حين قرأه وحين سافر إلى إنجلترا بعد أربعة أعوام أو خمسة ، وقارن بين عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية وأحوالنا فى مصر . فأى وعى مبكر ، وأى كفاية وجدّ فى البحث عن المعرفة لدى طلاب ذلك الزمان ؟ ! .

٢ - ويقدر لهذا القاهرى العريق والدرعى الأصيل الذى لم تشغله الوطنية عن العلم أن يسافر إلى إنجلترا ليستكمل دراساته العليا فى جامعات أكستر ، ولندن ، ومانشستر ، فيحصل

منها على دبلومات فى الأدب الإنجليزى ، واللغتين العبرية والفارسية ، وفى اللغة الألمانية ، وفى علم النفس ، يتوجهها بالحصول على درجة « الدكتوراه » ليعود إلى مصر فيعمل بتدريس فلسفة الأخلاق والتربية بدار العلوم ويسهم فى التوجيه الفنى للتعليم بوزارة المعارف خلال هذه الأعوام الثمانية المباركة التى ربما كان من أبرز إنجازاته فيها :

١ - إصداره كتبه الأنيفة المحققة ذات الطابعين الأدبى الفلسفى ، وهى على صغر حجمها ، تتناول مشكلات ومسائل أخلاقية بروح تربوية ، وأهمها ثلاثة :

(١) فلسفة العقوبة :

وهو بحث فى فلسفة الأخلاق بمدخل نفسى ، يتناول دور الجزاء والعقاب فى الحياة بوجه عام ، ولذا فهو يمتد إلى مشارف فلسفة القانون أيضًا ،

(١) فلسفة العقوبة للدكتور مهدي علام ، ط المكتبة السلفية سنة ١٩٣٢ ، ص ٣ .

. وفيه يشرح فكرته عن « العوالم النفسية »

أو الأجواء الثقافية والاجتماعية التي تعيش

فيها الأمم والجماعات والأفراد ، وفي إطارها

تشكل قيمهم الخلقية . ومسالكهم

العملية^(١) . ويقارن - كدأبه في سائر كتبه -

بين ما يقرره علماء الغرب وما تقرره الفلسفة

الأخلاقية الإسلامية بشأن الإرادة والنية

ودورهما في الحياة الخلقية^(٢) ويفصح من

خلال ذلك عن اتصال وثيق بالمصادر الشرعية

الإسلامية كصحيح مسلم ، وتفسير الرازي ،

وأحياء الغزالي^(٣) ، وأطلاع واسع على

المصادر الغربية الفلسفية والأدبية أيضا^(٤) .

ويحس القارئ إلى جانب ذلك أمرين : أولهما

حس المؤلف اللغوي الذي يتوسل به إلى بيان

المعاني والدلالات الفنية^(٥) ، والثاني أنه ينبه

على جوانب الضعف في ثقافة الغربيين

وحياتهم كما ينبه على نواحي القوة ، فهو

يشدد النكير على « معاملة الأمريكيين

للزنج ، والتنكيل بهم على الطريقة المشهورة ،

واحتقار الأوربيين لغيرهم من الأجناس »^(٦) .

(ب) فلسفة الكذب :

وفيه يتناول بحث تلك الرذيلة الخلقية

بمنهج نفسي ، وهو المنهج الذي غلب على

دراساته الأدبية واللغوية أيضًا ، ويعرض

بالتجليل لألوان الكذب وصوره المختلفة :

(١) فلسفة العقوبة له ، ط المكتبة السلفية سنة ١٩٣٢ ، ص ١٤ ، ١٧

(٥) السابق ٣١ - ٣٢ ، ٨٦

(٦) السابق ١٥ - ١٦

(٢) السابق ١٣ ، ٢١ - ٢٥

(٣) السابق ٢٥ ، ٤٤ ، ٤٦

(٤) السابق ٣٤ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٧٢

ولايسع القارئ لهذا الكتاب إلا أن يلاحظ
أمرين : التوثيق العلمى الدقيق لكل ما يرد
فيه ، بذكر المراجع دوماً مشفوعة ببيانات
نشرها الكاملة ، وهذه سمة لم تكن شائعة فى
هذا الوقت الباكر ، بل تفتقدها بعض المؤلفات
المعاصرة . والأمر الثانى هو جمال الأسلوب
وضوحاً وسلاسة ، فى تماسك نسج وإحكام
بنية ، برغم الطابع الفلسفى للكتاب .

(ج) فلسفة العرف فى القرآن :

وقد كان به حفيظاً ، ويؤسفنى أنى لم
أجده فى عدة مكتبات وثيقة الصلة بالفقيد ،
مما يحمل على التفكير فى إصدار الأعمال
الكاملة لهذا الرائد العظيم .

كالكذب فى العمل والقول ^(١) ، والكذب
الصامت ، والكذب الشبيه بالصدق ^(٢) ،
والكذب المباح ^(٣) ، كما يبين معايير الصدق
والكذب فى المستويات المختلفة ^(٤) . ويبدو
فى الكتاب حرصه على عرض آراء العلماء
والمفكرين المسلمين ^(٥) ، والاستشهاد الدقيق
بنصوص الكتاب والسنة ، وتكاد تكون أمثلته
وشواهد فى هذا الكتاب - بما لا يقل عن
ثمانين فى المائة - مستمدة من هذين
المصدرين ^(٦) ، ولكنه يعرض فى الوقت نفسه
آراء الفلاسفة الغربيين ؛ القدماء منهم كأرسطو
وأفلاطون ^(٧) والمحدثين كروسو وغيره ^(٨) ،
ولا يغفل - أيضاً - نصوص التوراة
والإنجيل ^(٩) .

(١) فلسفة الكذب ، ط جماعة دار العلوم ١٩٣٦ ، ص ١٧ (٦) السابق انظر مثلاً ص ٢٥ - ٣١ ، ٤٠ ، ٤٩

(٢) السابق ١٦ (٣) السابق ٢ ، ٥٠ - ٧٢ (٧) السابق ٧٢ ، ٨٧ (٨) السابق ٩٦ - ١٠٧

(٤) السابق ٢٤ ، ٧٣ - ٨٦ ، ٨٩ - ٩٢ (٩) السابق ٣٩ - ٤١

(٥) السابق ١٥

لقد ذكر عن نفسه أنه كان من رجال الرعيل الثالث الذى اشتغل بعلوم النفس والتربية فى مصر وتابع تطبيقاتهما العملية ، الذى يضم شيخه المهندس والأستاذ عبد الحميد حسن والأستاذ محمد على مصطفى من أبناء دار العلوم كما يضم الأستاذين الكبيرين إسماعيل القبانى وأمين مرسل قنديل ، ثم وسد الأمر بعد ذلك إلى خريجى معاهد التربية ، بينما كان الفوجان السابقان : الأول (حسن العدل ، ومحمد شريف) والثانى (على الجارم ، ومصطفى أمين ، وأحمد عبده خير الدين) خالصين لأبناء دار العلوم ، وهذه أمور لم يذكرها للمباهاة بل لأنها جزء من التاريخ العلمى والتطور الثقافى لمصر الحديثة .

ومن إنجازاته أيضا فى هذه المرحلة الثانية من حياته اشتراكه فى المكتب الفنى لوزارة المعارف عضواً فمديراً ، وإسهامه القوى فى هذه الفترة فى إصدار « تقرير التعليم الثانوى » سنة ١٩٣٦ م .

ومنها قيامه - بناء على انتداب من وزارة المعارف سنة ١٩٣٠ م بطلب من السراى الملكية - بتعليم الأمير فاروق ولى العهد الملكى آنذاك ، لمدة عام أو تزيد قليلا ، مع أربعة أساتذة آخرين ، اثنان منهما للفرنسية والإنجليزية ، والآخران للرياضة والرسم ، ولركوب الخيل ، أما سائر المواد فكان يقوم هو بتدريسها ، وكانت أفكاره التربوية الحرة ورفضه تزيف التاريخ سبباً فى التعجيل بإنهاء انتدابه لهذه المهمة التى تمثل - كما يقول - تجربة نادرة فى حياته ^(١) ، وهى برهان صدق على أمانته وإخلاصه ، وإيثاره الحق على ما يطمع فيه بعض الناس من مطامع الدنيا .

وكان آخر إنتاج له فى هذه الفترة بحثاً من نوع آخر عن (فلسفة المتنبى من شعره) كانت نواته محاضرة عامة ألقىت بقاعة المحاضرات بدار العلوم عام ١٩٣٦ م ، وأذيعت من إذاعة القاهرة فى

(١) المجمعون فى خمسين عاماً ٣٢٧ - ٣٢٨

العام نفسه ، ونشرت بصحيفة دار العلوم فى العدد الأول من عامها الثالث ، ويبدو أنه ثمرة العمل الجديد الذى انتقل إليه بقسم اللغة العربية بدار العلوم . وسنعرض لهذا البحث ضمن كتابه « دراسات أدبية » الذى نشره فى السبعينيات جامعاً لأهم بحوثه الأدبية .

٣ - ثم شاء الله - تعالى - أن يسافر الرجل إلى خارج وطنه ، منتدباً للتدريس فى جامعة « مانشستر » من سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٤٨ م ، يعلم العربية والعلوم الإسلامية ، و« يلقى محاضرات فى أنحاء الجزيرة البريطانية عن الآداب العربية ، والفلسفة الإسلامية ، والحياة المصرية » (١) ومن ثمار هذه الفترة بعض الأعمال التى نشرها فى مصر فيما بعد ، ولعل منها دراسته عن فن المقصورة فى الأدب العربى التى نشرت فى حوليات كلية الآداب بجامعة إبراهيم باشا (عين شمس لاحقاً) سنة ١٩٥١ م ، وضمّنها كتابه « دراسات أدبية » .

ومن ثمارها أيضاً ما تضمنه كتاب « إسلاميات » الذى أصدرته مؤسسة « مودى جرافيك » للنشر ، وطبع فى القاهرة سنة ١٩٩٠ م ، ويتضمن مجموعة أحاديث كانت أذيعت من المحطة العربية لإذاعة لندن أثناء مقامه هناك ، وقد اختار الرجل أن يذيع من هذا المنبر المؤثر فضائل الإسلام ويجلى حقائقه من خلال كتابات عدد من المفكرين الإنجليز الذين امتازوا على سواهم - كما يقول - « بتوفرهم على البحوث الإسلامية وبإخلاصهم للعلم فى ذاته ، وتنزههم عن الغرض الذى يضل بالكاتب عن سواء السبيل ، ولم أدخل فى هذه السلسلة من غير المستشرقين .. إلا توماس كارليل ، وذلك لميزة امتاز بها ؛ وهى أنه كان أسبق الكتاب الإنجليز إلى إنصاف نبينا عليه السلام والسلام وديننا الحنيف .. » (٢) ثم يعرض فى إيجاز واضح وبأسلوب مشرق ، مع تعليقات ذكية ، وإلماحات نفاذة ، آراء السيد توماس آرنولد فى كتابه (الدعوة إلى الإسلام) تلك الدعوة التى ذاعت فى

(١) محمد عبد الجواد : تقويم دار العلوم ص ٢٥٠

(٢) دراسات ١٤٧

مناطق عديدة من آسيا وإفريقيا في فترة الضعف السياسي للأمة الإسلامية ، مما يرد التهمة التي أطلقها بعض خصوم الإسلام من انتشار دعوته بالسيف .

والأستاذ جب في كتابه (وجهة الإسلام) الذي يقرر فيه أن اقتباس البلاد الإسلامية لبعض جوانب الحضارة الغربية المعاصرة لا ينافي (أن العوامل الفعالة للإسلام من حيث هو عقيدة ، ومن حيث هو قانون للحياة ، ومن حيث هو نظام أخلاقي لسلوك البشر ، ما زالت قائمة على أساسها) (١) .

ثم يتناول بطريقته المتميزة الكتاب الذي أشرف عليه روزنتال عن الحضارة الإسلامية بعنوان (تراث الإسلام) ، وما حواه من فتوح المسلمين الحضارية ، في العلوم الطبيعية والطب ، والرياضيات والفلك ، والجغرافيا والتجارة (٢) .

ثم يختم تلك الأحاديث بالموقف النبيل الذي سجله كارليل في كتابه (الأبطال)

إذ عمد إلى إنصاف المصطفى ﷺ ، وإبطال المزاعم والأكاذيب التي ألصقت جهلاً وتعصباً بشخصه الشريف ﷺ وبدينه الحنيف (٣) .

ويبدو أنه لانشغاله بأعباء التدريس هناك ، ونظراً لظروف الحرب التي أثرت على كل من إنجلترا ومصر ، لم ينشر الكثير في هذه الفترة القلقة ، وهي السبب في قلة مؤلفاته نسبياً بوجه عام بالنسبة لرجل على هذا القدر من الثقافة الموسوعية والاهتمامات العلمية ، لكن هذه الفترة على كل حال زادت معرفته بالفكر الغربي ، وأتاح له أن يمتلك زمام اللغة الإنجليزية ، الأمر الذي ظهر أثره في نشاطه بمصر عقب عودته سنة ١٩٤٨ م .

ومن أنشطته خلال هذه الفترة أنه في سنة ١٩٤٥ مثل الحكومة السعودية - متدياً من الحكومة المصرية - في أول اجتماع للأمم المتحدة في لندن لتأليف هيئة اليونسكو (٤) .

(١) السابق ١٥٣ - ١٥٤

(٢) راجع السابق ١٤٧ - ١٥٤

(٣) السابق ١٥٨ - ١٦٢

(٤) المجمعون في خمسين عاماً .

٤ - عاد الرجل إلى وطنه الحبيب على شوق ولهفة بعد غياب طويل ، وعمل لدى وصوله بوزارة المعارف كبيراً لمقتضى اللغة العربية قرابة عامين ، وانتقل فى سنة ١٩٥٠ إلى العمل الجامعي الذى ظل هو عمله الأساسى حتى انتقل إلى جوار ربه ، وإن لم يمنعه ذلك من النهوض - منتدباً من الجامعة - بأعمال فنية وإدارية تطول أو تقصر ، يعود بعدها الى رحاب الجامعة ، وتعتبر هذه الفترة التى امتدت أكثر من أربعين عاماً أخصب فترات حياته بالعطاء ، وإن كانت مؤلفاته المطبوعة باسمه قليلة ، فقد أسهم فى أنشطة عديدة ، وكان الكثير من جهوده الفكرية تقارير فنية ، أو مراجعات لبعض الترجمات ، أو ترجمة منه لأعمال الآخرين ، أو فحصاً لأعمال علمية ، أو إشرافاً على رسائل جامعية ، أو تدريساً لطلاب الدراسات العليا .. ويبدو أنه كان عازقاً حينئذ أن ينسب لنفسه عملاً يضيفه إلى رصيده

الشخصى ، مؤثراً على ذلك أن يتقاسم المعرفة مع الآخرين ، ويمارس معهم جهداً مشتركاً غايته فى النهاية خدمة وطنه بإعداد شبابه وصقل ملكاتهم .

ومن أهم أعماله التى نشرها فى هذه الفترة :

١ - كتاب « دراسات أدبية » : الذى جمع فيه خمسة بحوث أدبية : أشرنا إلى واحد منها من قبل وهو بحثه عن « فلسفة المتنبي من شعره » ^(١) ، وهو يجمع فيه بين المنهج التاريخي الاجتماعي والمنهج النفسى فى دراسة النصوص الأدبية ، ويكشف البحث عن اهتمام مبكر بالمتنبي لم يتوقف بل استمر حتى نُشر بمجلة المجمع ، سنة ١٩٦٣ م ، بحثاً آخر عن « المتنبي بين نفسيته وشاعريته » ، يحاول فيه التوغل فى نفسية أبى الطيب وعالمه الخارجى الذى يتسم بالتوتر والتعقيد ، ويقارن بينه وبين بعض المفكرين الغربيين ، وأحسب أن منهجه التحليلي

(١) دراسات أدبية ، ط القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٣ - ٦٤

فى هذا البحث أكثر نضجاً وأقرب إلى الطابع النفسى ^(١) ، ويضم الكتاب أيضاً النصّ المحقق لمقصورة حازم القرطاجنى مسبقاً بمقدمة عن فن المقصورة تكشف عن حقائق هامة فى هذا الفن ، وفى التحقيق جهد كبير واقتراح لبعض الرموز والأدوات التى نعتقد أنه أخذها عن تحقيقات المستشرقين الذين يستخدمون هذه الرموز ^(٢) ، ويختم الكتاب بما أشرنا إليه آنفاً من البحث فى شعر محمود حسن إسماعيل .

٢ - كتاب « نشر حفى ناصف » الذى يغلب عليه الطابع التحقيقى التسجيلى ، وقد شاركه فى إصداره الأستاذ عبد الحميد حسن ، وكيل دار العلوم الأسبق ، وصدره بمقدمة موجزة عن شخصه وحياته ، أتبعها بمقدمة ضافية عن حياته وفنه كتبها ابنه مجد الدين حفى ناصف ^(٣) .

ثم كانت إسهاماته العديدة فى المؤسسات المصرية المختلفة حتى أسميناه « رجل المؤسسات » ؛ وذلك :

١ - أنه فى سنة ١٩٥٠ عُيِّن أستاذاً بجامعة إبراهيم (عين شمس الآن) فأسهم فى إنشاء كلية الآداب ، وشغل فيها كرسى الأستاذية للغة العربية وآدابها ، وكرسى الأستاذية للغة الإنجليزية وآدابها أيضاً ، وظل - حتى بعد تقاعده - يدرس لأبنائها أستاذاً غير متفرغ حتى لحق بجوار ربه ، وذلك هو عمله الأساسى الذى استغرق الكثير من طاقته الزاخرة .

وقد كان شعوره نحو هذه الكلية التى أسهم فى إنشائها وتولى عمادتها هو شعور المرء نحو ولده ، بينما كان شعوره نحو دار العلوم قريباً من شعور الولد نحو أمه .

(١) السابق ٢١١ - ٢٤٢ (٢) السابق ١٠٠ - ٢١٠

(٣) نشر حفى ناصف ، نشر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، ص ز - ذ .

فضله على شخصياً إذ عرضت عليه حالتي وأنا في إنجلترا - كما روى لى أستاذى الدكتور أمين السيد - وحاجتى إلى بعض الوقت للحصول على درجة « الدكتوراه » ، فعمل بكل همة ، وكان عضواً بمجلس كلية دار العلوم ، على إنهاء الموضوع ، ولم أعلم بذلك إلا بعد عودتى وحصولى على هذه الدرجة ٩ - وعُيِّن رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر لمدة عامين من سنة ١٩٦٣ م حتى سنة ١٩٦٤ م ، وعين بعدها مستشاراً لوزارة الإرشاد القومى (وزارة الثقافة الآن) .

١٠ - وظل عضواً بالمجلس الأعلى لدار الكتب المصرية (دار الوثائق القومية فيما بعد) لأكثر من عشرين عاماً .

١١ - ورأس بالانتداب قسم اللغة الإنجليزية بـ مدرسة الألسن بعد إعادة افتتاحها سنة ١٩٥١ م حتى سنة ١٩٦٣ م .

١٢ - واشترك لأكثر من عشرين عاماً فى عضوية لجان الترقية للأساتذة والأساتذة المساعدين فى اللغة العربية و اللغة الإنجليزية ،

ومن الهيئات التى شارك فيها عضواً مؤسساً « المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب » منذ إنشائه عام ١٩٥٦ م ، وكان مقرراً فيه للجنة الدراسات الأدبية ، فلما طور إلى المجلس الأعلى للثقافة عين فيه عضواً ومقرراً لشعبة الآداب .

٣ - ومنها كذلك مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، فكان عضواً مؤسساً به منذ بدايته سنة ١٩٦١ م حتى وفاته .

٤ - وعمل بكلية الدراسات الإنسانية بالأزهر مشرفاً على شعبة اللغة الإنجليزية بقسم الدراسات العليا من سنة ١٩٦٢ م إلى سنة ١٩٨٣ م .

٥ - وكان عضواً بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٦ - وعضواً بالمجالس القومية المتخصصة (مجلس الثقافة والأدب والإعلام) .

٧ - وعمل مستشاراً للمؤتمر الإسلامى بالقاهرة من سنة ١٩٥٦ م إلى سنة ١٩٦٢ م .

٨ - وكان عضواً باللجنة العليا للبعثات لفترة طويلة . ويقتضىنى الواجب أن أذكر

وظل حتى وفاته عضو لجنة ترقية الأساتذة
لغة الإنجليزية بجامعة الأزهر .

١٣ - وكان عضواً بالمجمع العلمي
المصري .

١٤ - وتولى رئاسة تحرير مجلة
(حوليات كلية الآداب) بجامعة عين شمس
من سنة ١٩٥٠م حتى سنة ١٩٦١م ،
كما كان قبل ذلك نائب رئيس التحرير
« لصحيفة دار العلوم » خلال المدة من ١٩٣٤م
حتى ١٩٣٧م .

١٥ - وأما آخر مناصبه وأجلها فهو
اختياره نائباً لرئيس مجمع اللغة العربية في
سنة ١٩٨٣ الذي شغله حتى وفاته - رحمه الله
وكان قد اختير أميناً عاماً له سنة ١٩٧٧م
وعضواً به سنة ١٩٦١م .

ويعجب المرء كيف استطاع الرجل تحمّل
هذه الأعباء جميعاً ، ولولا قدرته على التنظيم
ومحبته لخدمة وطنه ، وجَلَدَه على العمل ، لما
نهض بذلك كله - رحمه الله .

وإذا كانت النفوس كباراً

تعبت في مرادها الأجسام

ولقد شاءت إرادة الله عز وجل أن يكون
آخر حفل عام يشارك فيه فقيدنا الكبير هو
العيد المئوي لكليته الأثيرة « دار العلوم » ؛
إذ حضره ممثلاً للخريجين باعتباره أكبرهم سنّاً
حينذاك ، وتحدث في لباقة معهودة فيه عن
« دار العلوم بين مباركين » ، وحين أهل
بشيخوخته المهيبة على المنصة ، تفضل السيد
رئيس الجمهورية بالقيام له وأخذ بيده ، وتخلّى
له وزير التعليم عن مكانه ليجلس إلى جانب
الرئيس ، فكان ذلك الموقف الإنساني الرائع من
السيد الرئيس تكريماً معنوياً ، فجّر أجمل
المشاعر وأنبأها لدى الحاضرين في تلك الليلة
المشهودة - رحمه الله .

كلمة أخيرة أرجو أن تأذنوا لي بها أيها
الأساتذة الأعضاء :

لا أقترح على الخالدين ؛ فليست مشاكلنا
اللغوية ومسئولياتنا الثقافية بخافية عليهم ،
لكن لي مشاركة ما في مجالات التحقيق ،
والترجمة ، والمصطلحات الإسلامية ، وتعليم
العربية لغير أبنائها .

(أ) وأبدأ بهذا المجال الأخير ، فإن
الواجب يتطلب من علماء العرب - وفي
مقدمتهم رجال مجمع القاهرة - أن يُعدوا من
الوسائل ما يتيح للعربية أن تتجلى بمضامينها
الثقافية على السنة الشعوب الراغبة في
تعلمها بآسيا وإفريقيا ، وقد سبق للمجمع أن
تعرض لهذا الأمر في منتصف الثمانينيات ،
وفي هذا الصدد فإن من أمس الحاجات إعداد
الكتب المناسبة لتقديم العربية إلى غير العرب -
أسوة بما يفعله أهل اللغات الأخرى - في تقديم
لغاتهم لغير أبنائها بطرق ميسرة ، ومنها
المعجم الذى تردد الحديث عنه فى هذه القاعة ،
على أن يكون قوامه الألفاظ القرآنية استثماراً
للرصيد اللغوى المتاح لدى كثير من أبناء هذه
الشعوب غير العربية . وأهم من ذلك إعداد
المدرس المؤهل علمياً لهذه المهمة التى يقوم بها
الهواة الآن ، ولا يوجد معهد عربى بمصر يعد
مثل هذا المدرس المنشود .

(ب) أما عن المصطلحات العلمية :
فينبغي أن نقدم تحية خالصة للمجهود العظيم
المثمر الذى يقوم به المجمع فى هذا الصدد ،

وما على مثلى إلا أن ينضم إلى ركب العاملين
فى هذا المجال ، ولكن أرجو أن يسمح لى
بالإشارة إلى أن معجماً مفرداً لمصطلحات الفقه
الإسلامى ، ليس على طريقة الموسوعات
الفقهية التى يجرى العمل فيها فى العالم
العربى ، بل على طريقة المجمع الموجزة المحررة
المعتمدة على استخدامات أولى الشأن ، وهم
هنا الفقهاء المسلمون ، دون مقابلة هذه
المصطلحات أول الأمر بمقابلاتها القانونية فى
العربية الحديثة أو فى غيرها من اللغات ،
لتنبثق المفاهيم الفنية من مواضع الفقهاء
وحدهم - فمثل هذا المعجم مطلوب على نحو
مُلحٌ أيها السادة ..

(ج) إن الترجمة من العربية وإليها
سبيل إلى إثراء اللغة ودعم حيويتها ، وقد
سمعنا عن أهمية الترجمة فى الأسبوع الماضى
ما يتقاصر عنه بيانى العاجز ، وأذكر أن شيخ
المجمعين الدكتور إبراهيم بيومى مذكور
وجّه كلمة إلى الندوة الفلسفية التى عقدت
فى رحاب جامعة الأزهر سنة ١٩٩٠ م ينبذ
على التفاوت الشديد بين الجهود الدائبة فى

مجال الترجمة وخاصة إلى العربية في النصف الأول من القرن الحالى ، والتهاون الشديد فى هذا الواجب الثقافى واللغوى فى النصف الثانى منه ، وهى ظاهرة مقلقة من الناحية الحضارية ، والأمل معقود على المجمع فى مقدمة هيئاتنا العلمية لمواجهتها . وكل ما أرجوه فى هذا الشأن أن تشمل الجهود ، التى نرجو أن تنطلق من عقالها فى هذا المجال ، ما يكتب فى إفريقية وآسيا فى الدراسات الإسلامية والعربية بلغات أوروبية - أهمها الإنجليزية - وبلغات أخرى فى هاتين القارتين ؛ فإن اطلاع أبناء العربية على هذا الإنتاج الغزير الوثيق الصلة بنا وبمشكلاتنا أمر مفيد حقًا . بيد أن ذلك لا ينبغى أن يكون على حساب الترجمة عن الفكر الغربى فى ميادينه المختلفة .

(د) وأخيراً فإن هيئات عديدة فى مصر - وعلى رأسها معهد إحياء المخطوطات بدار

الكتب المصرية - تشارك فى تحقيق النصوص العربية القديمة وإصدارها ، ولكن الجهود المبذولة غير كافية والثمار غير مرضية ، وربما كانت أضعف حلقات السلسلة فى هذه الجهود ما يتعلق بإعداد المحقق الجيد القادر أن يعقد صلة حميمة مع النص القديم ، ليبعث طاقاته من جديد ، فتثرى به حياتنا المعاصرة ، وهو المفهوم الحقيقى للإحياء كما لا يخفى على حضراتكم ، وآمل أن يكون للمجمع دور تنسيقى بين هيئات النشر ومؤسسات التحقيق فى مصر .

حفظكم الله ، أيها السادة الخالدون ، وبارك على جهودكم ، وتقبل منكم ، وجزاكم عنى وعن إخوانى الذين شرفوا بثقتكم خير الجزاء .

والسلام عليكم ورحمة الله .

حسن الشافعى

عضو المجمع



كلمة المجمع
فى استقبال العضو الجديد
الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب
للاستاذ الدكتور سليمان حزين

للثقافة ، وعرفت أعضاء هذه الإدارة ، وعرفت
بينهم واحداً يشغل وظيفة بسيطة فى أول السلم ،
وسرعان ما لمست بشىء من الفراسة التى يتميز
بها أساتذة الجامعات شخصية فذة وأصيلة من
أصلاء اللغة العربية ، على الرغم من حصوله
على أولى الشهادات العلمية ، وأسند إليه
عمل فى إدارة الثقافة ، وذهبت إلى الدكتور
طه حسين قُلت له : إن لدى واحدٍ من العاملين
يستحق أن يأخذ مركزاً خاصاً ، ويكون مسؤولاً
عن الإدارة الأولى للتعبير عن الثقافة والفكر
وهى اللغة العربية ، لغة البلاد ، والقرآن
الكريم ، وقلت له إنه شوقى أمين .

وعرفه طه حسين بأعماله ، واستمر على
السماع أكثر من الرؤية وهكذا رقى شوقى
أمين فوراً إلى درجة مرموقة فى الإدارة العامة
للثقافة .

عرف المجمع الدكتور محمد السيد غلاب
منذ ثلاثين عاماً ، أو ما يقرب من ذلك ، عرفه
خبيراً فى مجمع اللغة العربية ، وكنا جميعاً
نفاخر بما أضافه إلى اللغة من إضافات قيمة
تتوارثها الأجيال .

وكان عمله فى لجنة الجغرافيا ، والتى
يعمل بها حتى الآن ، ثم انضمامه عضواً ،
وكان عمله غير مقتصر على لجنة الجغرافيا ،
واخترناه ليمثلنا فى واحدة من أكبر لجان المجمع
اللغوية ، وهى لجنة المعجم الكبير ، فكان
فارساً بها . ولعل الأمر يتسع له فى المستقبل
كى يكون سبيلنا إلى اللجان الأخرى ، وليس
لجنة الجغرافيا فقط .

وخلف محمد السيد غلاب فى المجمع
موقع صديق عزيز هو المرحوم محمد شوقى
أمين ، عرفته منذ أن كنت مديراً عاماً

وعرفت كيف أدافع عن مركزى ، واشترط
على طه حسين ، عند انتقاله من جامعة
الإسكندرية إلى وزارة المعارف ، ألا أرقى ،
إلا إذا انتقلت إلى وزارة التربية والتعليم أيضاً
فضحك طه حسين ، وقال : إن كثيراً غيرك
يأبى أن يخرج من الجامعة إلا إذا رقى .

وعلى هذا الأساس أعطانى كل الصدق ،
فكنت أتصل به ، كما أتصل بوكلاء الوزارة ،
وكنت على ثقة به فى ميدان غير اللغة العربية
وحاول نقلى من قسم الجغرافيا إلى قسم اللغة
العربية ، ولكنى كنت أعتذر .

وهذه هى الطريقة التى كنت أدعو تلاميذى
إليها دائماً ، وكان أولها الصياد ، ومحمد
السيد غلاب ، وخير الأسماء ما حُمد وما عبّد .
هكذا بدأت الصلة بينى وبين الطالب
النجيب ، وشاء الله أن تكون حياة طويلة .

هكذا دخل بعد حصوله على شهادة
الليسانس فى الجغرافيا سنة ١٩٤٢ ، منذ أكثر
من نصف قرن ، لقد شاخ فى الجغرافيا بعد أن
دخلها شاباً يافعاً خدّم الجغرافيا خدمة تجمع
بين العلم واللغة العربية .

وليس أشرف ولا أنبل من العلم لدى
الإنسان فى حياته وكذلك ولغة الأمة ولغة
التاريخ ، اللغة التى اختارها الله لتكون لغة
القرآن . اللغة التى إذا نظرنا إليها فى التاريخ
فإننا نجد أنها أقدم اللغات الحية استمراراً ،
وتاريخها يرجع إلى أربعة عشر قرناً منذ أن بدأ
العرب يكتبون بها . ومنذ كتابتهم للشعر
الذى طربنا له من موسيقى ، وتصوير .

ولو ذهب إنسان إلى فرنسا وقرأ فى
الشعر الفرنسى الذى مضى عليه ألف عام لما
استطاع أن يفهم كثيراً منه ، ولاستغرب من
هذه اللغة . وأيضاً فى اللغة الإنجليزية نجد
الشعر لا يفهمه القارئ العادى هذا فضلاً على
تذوقه .

والحقيقة لا تكاد لغة تدانى اللغة العربية
غير لغة أهل الصين الذين يتذوقون ماضيهم
اللغوى ويفتخرون به .

إننا فى بلد لها ماضٍ عريق ، ومجمع
اللغة العربية له مكانته المتميزة ؛ لذا نستطيع
أن ندرك مدى السعادة عندما رأيت هذا الطالب
الحصيف خبيراً به منذ ثلاثين عاماً ، ثم عضواً
به الآن .

هذه حياة تستحق أن تحيا ، مستقبل
يربطنا بالماضى ، ونحن أشخاص زائلون ،
وبقاؤنا يكون عن طريق هذه اللغة ، لغة
القرآن الكريم .

حصل محمد السيد غلاب على درجة
الماجستير على يدي فى جامعة إنجلترا ، ثم
حصل على الدكتوراه من مصر ، لأنه أراد أن
تكون درجة الدكتوراه فى وطن عربى ، وأرض
عربية ، وليس فى الجغرافيا فقط ، بل فى
اللغة العربية العلمية ، واللغة الجغرافية ، وأنه
رد إلى الفكر العربى ، وحدته بين العلم
والأدب ، وبين التعبير العلمى واللغوى ، وبين
العصبية وليس التعصب . وهذا الذى جعل
اللغة العربية تميزت بأنها أقدم اللغات .

عرف محمد السيد غلاب الجغرافيا
التاريخية ، ثم تحولنا إلى الجغرافيا الحضارية
التي تدرس الطبيعة والبيئة التي ترسى حضارة
الإنسان والبيئة والنمو بينهما .

ومبلغ سعادتي أن أرى معى التلميذ
النجيب ، والأستاذ الحصيف المتقدم معى فى
هذا الميدان . إتنى قبل أن أهنته ، أهنىء نفسى
به ، وقبل أن أرجو له امتداد الحياة والصحة
فى العمل ، أرجو أن يهيبء الله لنا الأسباب
فى هذا المجمع للتعاون مع أهل اللغة والعلم
وهم الساترون فى درس المعرفة . وهذا آخر ما
أحب أن أضيفه من كلمات . وأدعو الله أن
يصون المجمع ، يصون لنا هذا الصرح الذى
نبنيه متكاتفين ، علماء ولغويين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

سليمان حزين
عضو المجمع



كلمة

الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب

فى حفل استقباله عضواً بالمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد
أستاذى رئيس مجمع اللغة العربية ، أساتذتى
وزملائى أعضاء المجمع المبجلين . أحمد الله
إليكم أن انتخبتمونى لعضوية هذا المجمع
الجليل ، لأكون زميلاً لكم . نعمل فى خدمة
العلوم والفنون التى نتخصص فيها من خلال
خدمة اللغة العربية ، التى شرفها الله سبحانه
وتعالى ، فأنزل كتابه الكريم بها ، وبذلك كُتِبَ
لها الخلودُ ، فهى بإذنه باقية شامخة تليدة
متجددة مشرقة أبداً ، ما دامت السماوات
والأرض .

وإنه لشرف عظيم أن اشترك فى أعمال
هذا المجمع ، وفى وضع المصطلح العربى لما جدُّ
فى حياتنا العقلية من علوم وفنون ، وفى
حياتنا العامة من مصطلحات الحضارة

الحديثة ، ولا أخالكم إلا عالمين أن وضع
المصطلح والتعريف فى العلم هو قمة الإمام به
والتعمُّق فى فهمه ومعرفة دقائقه ، وهذا
مصدق قول ربنا فى كتابه الكريم « وعلم آدم
الأسماء كلها » فنحن إذ نجهد فى طلب
العلم ، إنما نجهد لاستجلاء هذه الأسماء .

وتزخر علوم الجغرافيا بفيض هائل من
المصطلحات ، يأتيا من طبيعة هذه العلوم
نفسها ، فهى من ناحية تتصل بالبيئة
والأرض ، بصخورها وتربتها وما يُغطِّيها من
نبات ويعيش من حيوان ، وما يلفها من غلاف
جوى ، باضطرابه ، وما يحمله من سحب ، وما
يسقطه من مطر أو ثلج ، كما أنها من ناحية
أخرى تدرس الإنسان وتتصل بمجموعة العلوم
الإنسانية ، فتدرس النظم الاجتماعية
والسياسية والاقتصادية فى إطارها الطبيعى ،
فالجغرافيا هى العلم الذى يدرس الأرض

بوصفها وطناً للإنسان ، الجغرافيا هي علم المكان ، وهذا المكان له زمان ، وهو ليس في حالة سكون ، بل هو في حالة حركة باستمرار ، يتطور خلال الزمن ، فهو علم ذو أبعاد ثلاثة ، بُعد مكاني وبُعد إنساني وبُعد تاريخي ، وهو العلم الذي يربط العلوم الفيزيائية والحيوية بالعلوم الإنسانية .

ولحضارتنا تراث تالد في الجغرافيا ، فقد رسمت أول خريطة في العالم لجزء من أرض مصر ، هي مناجم الذهب في جبال البحر الأحمر منذ خمسة آلاف سنة ، وعثر على خريطة لبابل في غضون الألف الثانية قبل الميلاد . واستطاع إيراتو ستين العالم السكندري أن يقيس محيط الكرة الأرضية في القرن الثالث قبل الميلاد . كما أن جغرافياً مصرياً آخر كان أول من رسم خريطة للعالم في هذا الحين . وازدهرت المدرسة الجغرافية العربية الإسلامية ، إبان ازدهار حضارة الإسلام . وإذا كان العالم يتجدد بشدة نحو العالمية ، فإن الجغرافيا لَقَمِينَةٌ أن تقوم بدور فعال في التعريف بهذا الكوكب ، ودراسة علاقاته المتشابكة ، التي تربط شعوبه بعضهم ببعض .

أيها السادة أعضاء المجمع :
إننى فى هذا المقام لأذكر بالفضل والامتنان أساتذتى الذين أوصلونى لهذا المكان ؛ فلقد تهيأت له منذ ما يزيد على خمسين عاما إذ نشأت شأن أترابى فى ذلك الحين فى مناخ من الحرية الفكرية كان يسود الحياة الثقافية فى العقدين الثالث والرابع من هذا القرن . كنا شبابا ننهل الثقافة من مجلات الرسالة والثقافة والهلال والمقتطف ، نترنم بشعر شوقى وحافظ ، نتابع حديث الأربعا ، لطفه حسين ، نظرب لما يدبجه قلم الرافعى ، نفكر فى ما يكتبه العقاد وهيكل ولطفى السيد ، نستمتع بروايات المازنى ومسرحيات توفيق الحكيم . هذه هى المدرسة الكبيرة التى تنسّم فيها جيلنا رياح الحرية الفكرية ، وتعلم فيها أدب العربية الفصحى .

وقد كنت محظوظا إذ تلقيت العلم فى كلية الآداب على أيدي كوكبة من العلماء الأفاضل ، منهم إبراهيم بيومى مذكور ، ومحمد شفيق غريال ، وفى هذا الوقت وقعت فى أسر أستاذ كبير ، كان فى ذلك الحين آخر

الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات فى مطلع شبابه ، سحرني بيانه فى تقديم علم الجغرافيا فى المدرج الكبير بكلية الآداب ، هذا الأستاذ الكبير هو معلمى وأستاذى ورائدى سليمان حزين ، فخرجت من المدرج إلى قسم الجغرافيا على النيل لا ألوى على شىء ، وانتظمت فى هذا القسم ، ومنذ ذلك الحين عام ١٩٣٨ ظلت أنهل من فضل علمه ، وظل هو يوجهنى ويرشدنى جزاه الله خيراً بقدر ما أحسن إلى والى أبناء جيلى كلهم ، ومد الله فى عمره ومتعه بالصحة والعافية .

وفى هذا القسم العتيد أخذت العلم أيضاً على يد مصطفى عامر بتفكيره المرتب الدقيق ، وعلى محمد عوض محمد بأدبه الرفيع ويتجواله الفكرى الواسع ، ومحمد متولى بحرفيته الشديدة وتدقيقه الأشد ، وغيرهم .

وكان من توفيق الله أننى خرجت ضمن أول بعثة تسافر إلى إنجلترا بعد نهاية الحرب العظمى الثانية مباشرة ، واتصلت اتصالاً مباشراً بالفكر الأوربى ، ونهلت من منابعه ، ولا أنسى فضل أستاذى والتر فتزجيرالد ، فقد

أخذنى بالشدة والصرامة كما كان يفعل زميله محمد عوض فى مصر ، ومن ثم كان طلب العلم بالنسبة لنا مكابدةً وجهداً ونصباً ، فكنا ننشد الكمال ما وسعنا الجهد ونتوخى الإتقان ما وجدنا للإتقان سبيلاً . وعدت لأدرس فى الجامعة . وفيها تعلمت الكثير من مخالطة زملائى ، وتعلمت أكثر من تلاميذى ، فإليهم يرجع الفضل الأكبر لما وصلت إليه ، فمن أجل أبناء وطنى من الطلاب أقرأ وأبحث وأنتج ؛ عسى أن أرد بعض الجميل لهم . فأهلهم قد هيثوا لى سبيل العلم ، ومن كدهم أنفقت الدولة على تعليمى فى مصر والخارج .

وقد قمت فى الخارج بدراسة أقطار غير بلدى ، فوليت وجهى قبل المشرق العربى ، أرض الجذور الثقافية العربية ، فدرست الجغرافيا التاريخية لفلسطين ثم استكملتها فى مصر بدراسة الجغرافيا التاريخية لسوريا . ولبنان .

وفى الخارج أيضاً استهوانى علم جديد نما تحت ظروف الحاجة لتعمير ما خربته الحرب العالمية الثانية ، وهو علم تخطيط المدن ،

وعملت على إدخال جغرافية العمران فى جامعة الإسكندرية ، وفى الخارج أيضاً بدأ اهتمامى بدراسة السكان ، وعندما عدت إلى جامعة الإسكندرية عملت على تأصيل جغرافية السكان .

وقد منحتنى جامعة القاهرة فرصة العمل فى معهد الدراسات الإفريقية ، فنهضت بهذه المهمة منذ ثلاثين عاماً ، حتى تطور وأصبح معهداً متخصصاً مستغلاً ، فإلى هذا المعهد أدين بكثير من الفضل .

ولم يكتمل إعدادى جغرافياً إلا بالرحلات العديدة التى هياها لى مكانى فى جامعة القاهرة ، بحضور أكثر من عشرة مؤتمرات دولية، كنت أتعلم منها الكثير ، فعاينت آثار الجليد فوق جبل مان بإقليم البحيرات بإنجلترا ، وشهدت شمس منتصف الليل بمدينة لينتجراد (بتريزيرج) ، ووقفت على شواطئ البحر البلطى فى ميناء ريجا . ورأيت صف السفن الداخلة إلى قناة بنما ، وبهرتنى شلالات نياجرا الهادرة ، وهبطت إلى بحيرة ناكورد القابعة فى

قاع الأخدود الإفريقى العظيم ، وتسقلت أحد البراكين الهامدة فى كينيا ، واخترقت مسارح الحيوان الوحشى فى ضواحي نيروبي ، وتقابلت مع قبائل الماساى والجالا فى كينيا وإثيوبيا ، وزرت المكتبة الإسلامية فى طشقند ، وشارفت الغابة الصنوبرية الموحشة فى ضواحي موسكو ، وعانيت الظمأ الشديد فى سهوب كردفان .

أيها السادة أعضاء المجمع :

لى كبير الشرف أن أختار فى المكان الذى خلا بوفاة المرحوم الأستاذ محمد شوقى أمين ، الذى سبق ميلاده مولدى بعشرة أعوام ، والذى أشترك معه فى الأصل الصعيدي والأرومة العربية ، وأشترك معه أيضاً فى أننى عملت طويلاً فى المجمع خبيراً قبل أن أنتخب عضواً فى العمل .

كان المرحوم الأستاذ محمد شوقى أمين من رجال الأزهر الشريف ، ترك دراسته النظامية مبكراً وتفرغ للبحث والدراسة فى علوم اللغة والأدب والشريعة ، ملازماً لدار الكتب والخزانة الزكية بقبة الغورى .

ونشط قلمه للكتابة ، وتولى عام ١٩٣٠
تحرير مجلة الشاعر ، وعين محرراً بالمجمع منذ
الدروة الأولى لانعقاده عام ١٩٣٤ وعمل
محرراً لثلاثة من فطاحل الفكر واللغة العربية ،
هم : محمد توفيق رفعت ، وأحمد لطفي
السيد - وطه حسين .

وكان يحزر باباً ثابتاً في مجلة الهلال
واشترك في تحقيق ديوان بشار بن برد بأجزائه
الأربعة ، كما تولى تحقيق ديوان السيدة عائشة
التيمورية ، وتولى إخراج كثير من مؤلفات
أحمد تيمور ، واختاره معهد الدراسات العربية
ومعهد الدراسات الإسلامية للمحاضرة فيهما
في موضوع اللغة العربية وقضاياها .

وانتخب لعضوية المجمع عام ١٩٧٤

تغمده الله بواسع رحمته .

أيها السادة .

ما كان لي أن أصل إلى هذا المكان إلا
بفضل الله ، إذ أنشأني في أسرة عملت بدأب
وإصرار وصبر على تربيته أحسن تربية ، فهي
التي غرست في حب القراءة ، كما غرست في
مبادئ الأخلاق والمثل العليا والصلابة في الحق
والاعتداد بالنفس ، فإلى والدتي أتقدم بالشكر
والعرفان ، فعسى أن تقر روحاهما الطاهرتان
رضاً عني ، تغمدهما الله بسابغ رحمته . إنه
سميع الدعاء .

وفي النهاية لا يفوتني أن أتوجه بخالص
الشكر والعرفان إلى رقيقة دربي التي أحاطتني
بكل أسباب الرعاية والتشجيع منذ كنت طالباً
بالبعثة . جزاها الله خير الجزاء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد السيد غلاب

عضو المجمع



ثانياً - التآبين :

★ تآبين المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام

★ تآبين المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر

★ تآبين المرحوم الأستاذ أحمد على عقبات

كلمة المجمع

فى تآيين المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام

للاستاذ الدكتور شوقى ضيف

الأمين العام للمجمع

السيد الرئيس - السادة الزملاء -

السيدات والسادة :

الدنيا ليست بدار قرار ؛ إنما هى دار كون

وفساد ، وجسر ممتد إلى طريق الموت ، فكل

حى إلى فناء ، مهما طال به البقاء ، لا مفر

منه ولا ملجأ ولا نجاة ، فالكل راحل وكل

شخص ينتظر دوره ليرتحل عن دنياه رحلة لا

أوبة منها ولا عودة . وتلك سنة الله فى خلقه ؛

إذ أمر الحياة كله يعود إليه ، وهو يصرفه كما

يشاء . وكما قدر لنا الحياة قدر لنا الموت ؛

فلكل إنسان أجل محتوم وعمر محدود لا

يعدوه ، ولا يستطيع أحد أن يرد عنه عادى

الموت وما كتب له فى ألواح القدر من انقضاء

الأجل فذلك قضاء الله ولا معقب لقضائه

ولاراد لقدره . وعجيب شأن الناس يشيع

بعضهم بعضاً إلى الدار الباقية ، و يحزنون

ويلتاعون ويعودون فيتعلقون بالدنيا ومآربها

وكأنما ينسون الموت وهو يدق الأبواب من حولهم

وأطيافه وأشباحه تحف بهم من كل جانب .

وهل الخلق إلا ودائع له يستردها وديعة بعد

وديعة ، ولا بد يوماً أن ترد الودائع ، وقد استرد

من أعضاء المجمع هذا العام سبعة من أعلامه

فى فترات من الزمن متعاقبة متقاربة ، و كان

من بينهم العالم الحجة الجليل المغفور له نائب

رئيس المجمع الدكتور محمد مهدى علام الذى

أنفق فى محراب المجمع وخدمة لغة القرآن

الكريم حقبة متميزة طوال ثلاثين عاماً بل

تزيد ، كان فيها مرموق المكانة واضح الأثر .

وكان دخوله المجمع تتويجاً لحياة علمية

خصبة قضاها فى دار العلوم وكلية الآداب

بجامعة عين شمس . وسيعرض الزميل الدكتور

كمال بشر هذا الجانب الجامعى الخصب فى

حياته وما قبله ، أما كلمتى فسأحاول أن

أعرض فيها بجهدى القاصر نشاط الدكتور

محمد مهدى علام فى المجمع .

كان يتميز ببشاشته وسماحته وبشره وأنسه ولطفه وصفاء نفسه ، مما جعلنا نشعر بغير قليل من الأسى لحرماننا من لقائه ومن علمه العميق بالعربية ، وقد أعطى المجمع كل وقت من دخله ، وكل نشاطه وكل ما وسعه من آراء صائبة فى لجانه ومجلسه ومؤتمراته ، وقد خلف فى اللجان التى عمل بها ، وهى لجان المعجم الكبير ، والطب ، والهندسة ، ثروة لغوية قيمة ، وكان مقررا للجنة الأدب ، وكان يقترح فى كل سنة الموضوع الذى يتسابق فيه شباب الأدباء للحصول على جائزة المجمع ، ونوع موضوع تلك المسابقة ، فهو تارة قصة أو مسرحية أو ديوان لشاعر شاب أو ترجمة لعلم من أعلام الأدب أو المجمع ، وظل سنوات متصلة يعقد حفلا للفائزين فى هذه المسابقة ويلقى فى الحفل بحثا تحليليا عن العمل الأدبى الذى ظفر بالجائزة ، وكم من أديب وباحث لمع اسمهما فى سماء الأدب المصرى والعربى لحصولهما على هذه الجائزة وكان مقررا للجنة التراث ، وستويا كان يعلن عن جائزة لنص من نصوص التراث مُحققٍ تحقيقا علميا سديداً ،

وكان يفوز بالجائزة النص الذى توفر له من جهد صاحبه العلمى ما كفل له عودته إلى صورته الأصلية الصحيحة السليمة ، وكثير من أعمال قيمة فى التراث أتاحت لمحققها هذه الجائزة الجمعية ، وكان لها مثل أختها الأدبية أثرٌ كبير فى النشاط اللغوى والأدبى المعاصر .

ومن أعمال المرحوم الدكتور محمد مهدى علام الجمعية القيمة مراجعته لكثير من الكتب اللغوية التى نشرها المجمع فى الأعوام الثلاثين الماضية ، ومن ذلك الجزءان الثالث والسادس من كتاب التكملة والذيل والصلة للصاغاني ، والجزءان الأول والثانى من كتاب بنفس العنوان للزبيدي والجزء الثانى من كتاب الجيم للشيبانى ، وشرح شواهد الإيضاح لأبى على الفارسي بقلم ابن برى العالم اللغوى المصرى ، وكتاب الأفعال للسرقسطى فى خمسة أجزاء ، وكتاب الشوارد للصاغاني ، وللدكتور محمد مهدى علام مقدمات قيمة لبعض هذه الكتب المحققة مثل مقدمته لكتاب الأفعال للسرقسطى ، وقد بدأها بقوله :

« الفعل فى كل لغة راقية على وجه الخصوص هو مصدر التعبير عن أفكار المتحدثين بهذه اللغة وهو اللفظ الذى يصور النشاط والحركة وكل ما تموج به حياة البشر من فكر ووجدان »

وتحدث عن الفعل فى الإنجليزية وتعدد معانيه بإضافة مكملات له ، وقال : « إن لغتنا العربية - بما لها من تطور عظيم - لها نصيبها من هذه الميزة وهى تعدد صيغ الفعل الثلاثى - بما يضاف إليه - لأداء معان متعددة » ، ويسوق أمثلة لضبط بنية الفعل ، ثم يقول :

« وقد تنبه علماء العربية لأهمية الفعل فى بنائه ومصدره ومعناه كما صنع السرقسطى فى كتابه (الأفعال) الذى عرض فيه أكبر قدر من الأفعال فى خمسة مجلدات موضحا قياس تصاريفها والصحيح والمعتل منها ، والمجرد والمزيد والمتعدى واللازم ومصادر الفعل الثلاثى ومشتقاته » .

وبذلك ناقش الدكتور محمد مهدى علام موضوع كتاب الأفعال للسرقسطى وقرن الفعل فى العربية بالفعل فى الإنجليزية - وحاول أن يحيط بجهد السرقسطى العلمى فى كتابه الأفعال .

ويكتب مقدمة لكتاب الشوارد للمصاغانى ، وهو كتاب يشتمل على شواذ العربية التى رواها عن العرب بعض أئمة اللغة ، وفى تقديمه له يقول :

« إن هذا الكتاب قد يعتبره بعض الناس متحفا للغة يضم المهجور منها ، ولو أنه كان كذلك لكان عملا عظيما جديرا بالدرس والتحقيق ، ولكنه يشتمل على كثير مما نحتاج إليه فى تعبيرنا اليوم ونحتال فى الوصول إلى ما نريد منه بتعبيرنا بالجملة وبالمرادف المقارب ، وقد استرعى نظرى وأنا أقرأ الكتاب - عدد من الألفاظ التى طالما تمنيت أن أجدها (فى العربية) لأضعها مقابلة لكلمات إنجليزية ، ويذكر طائفة من تلك الألفاظ المهجورة ومقابلها من الكلمات الإنجليزية .

وأسند المجمع إلى الفقيد مجلته فجعلها سوقا أدبية لمقالات رائعة لا لزملائه المجمعين فحسب بل أيضا لصفوة اللغويين والأدباء من الأساتذة العرب والمصريين ، وقدم لبعض الأعداد مقدمات بديعة ، وضمنها أحيانا مقالات قيمة له ، من ذلك مقالته : « المتنبي

بين نفسيته وشاعريته « حلل فيها تحليلاً
نفسياً قصيدته المشهورة :

واحر قلباه من قلبه شَبِمْ

ومن بجسمى وحالى عنده سَقَمُ

وكان قد حسد المتنبي كثيرون من حاشية

سيف الدولة لسمو منزلته منه فأخذوا يكيدون

له ، وأحس المتنبي بكيدهم وأن سيف الدولة

يستمع إليهم ، فأنشده هذه القصيدة يعاتبه

فيها عتاباً مرّاً وكان قبل ذلك يمدحه مديح

المعجب بل مديح المفتون بشجاعته لسحقه

جيوش الدولة البيزنطية مراراً ، غير أن أناساً

ظلموا يحاولون الوقعة به عند سيف الدولة وهو

يصغى إليهم فامتلاً المتنبي غضباً وأنشده تلك

القصيدة وفي دخائله كما يقول الفقيه جدل

نفسى خفى إذ يحاول أن يظهر الرضا عن سيف

الدولة وهو فى حقيقته غاضب غضباً شديداً ،

ويقول الفقيه إن المتنبي أقحم مديحه فى

القصيدة بين صرختين ، ويصب على خصومه

فى الصرخة الثانية هجاء يمزجه بزهو وفخر

وصلف ، مُضيفاً على نفسه كثيراً من المحامد ،

والموقف موقف عتاب واعتذار لا فخار ، ويعود

إلى سيف الدولة فيخاطبه بأبيات متنقلا فيها

من التلميح إلى التصريح ومن التعريض إلى

التقريع . ويقارن الفقيه بين هذا العتاب المعقّد

للمتنبي وصور أخرى من عتابه لسيف الدولة

ليس فيها غضب ولا ثورة نفسية بل فيها رقة

حس مع عزة النفس . وما يزال الفقيه

يستخلص من القصيدة الكوامن النفسية فى

دخيلة المتنبي أثناء نظمه للقصيدة مبيناً كيف

خضع لوجدانات متضاربة فى وقت واحد .

وتعد دراسة الفقيه لهذه القصيدة نموذجاً لدراسة

الشعر العربى دراسة نفسية قيمة .

أيها السادة :

لقد كان الفقيه مُحِبّاً إلى زملائه

وأصدقائه وتلاميذه لوداعته ونبل خلقه وكان

نعم الوفى لمن يستقبلهم من أعضاء المجمع إذ

يرسم حياتهم وجهودهم العلمية رسماً دقيقاً

وكان نعم الوفى للراجلين منهم فأبّن غير زميل

مؤدّباً فيه الأمانة والشهادة الحقة وإذا كان قد

خلف فراغاً فى ميدان العربية وفى المجمع فقد

خلف فراغاً أكبر فى قلوب زملائه وعارفى

فضله . ألهمنا الله - وألهم أسرته الكريمة

العزاء فيه ، وتغمده برحمته ورضوانه ، وجزاه

جزاء العاملين المخلصين .

شوقى ضيف

الأمين العام للمجمع

كلمة أخرى للمجمع
فى تأييد الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام
للأستاذ الدكتور كمال محمد بشر

السيد الأستاذ الدكتور رئيس المجمع السادة الكرامُ زملاءَ الفقيد وأبناءه السادة المواسون المواسون ما كنتُ أتوقع أن قدرى يدفع بى إلى الوقوف هذا الموقفَ الشديدَ الصعب على النفس . ولكنه أمر الله وقضاؤه الذى لا رادَ له . إن فقيدنا الراحلَ الأستاذَ الدكتور محمد مهدى علام أمةً وحده ، تجلُّ سيرته عن أن يُلْمَ بطرف منها عشراتُ الرجال ، لندرة مثاليها وعمق جوانبها واتساع مناحيها . إنه من شيوخ الأساتيد الذين يقع منهم موقع الرائد والمعلم والوالدِ والأخ والصديق . فهو واسطةُ العقد الذى لا انتظام لحبّاته بِفَقْدِها ، ولا ائتلاف لجنّياته بغيابها . ولكنى مع ذلك أقول - تأساء وتعزية - إن غاب عنا الجسد فقد بقى لنا الفكر والمبدأ والأثر .	دفنوا جسمك فى التراب ولم يستطيعوا لشذى فضلك دَفْنَا كان السابقَ المرتاد والقائدَ المحنكَ البصير ، له فى كل موقع أثر وفى كل مكان خير . تلمس ذلك كله فى مسيرة حياته العطرة ، الزاخرة بجليل الآثار والأعمال . فهو فى شبابه فتى فجيّبٌ مرجوُ الغد وفى كهولته علمٌ رفيع القدر ، وفيما بين ذلك وفى كل ذلك مثال فريد للإنسان الكامل فضلا وعِلما وثقافة وخبرة وتجارب . كان الأولَ فى كثير من الأشياء ، فى دراسته وفى معارفه وثقافته ، وفى قيادة مسؤولياته ، وفى صنْع الرجال من التلامذة والأخلاف . شرق وغرب ، وجمع بين ثقافتين متقابلتين ، قيل يوماً إنهما لا تلتقيان . ولكنهما التقتا عنده واستقرتا لديه بعد أن
---	---

عجمَ عودَهما ببصيرة نافذة وفكر مستنير ،
فكان محصولُهما غنما فريدا من المعارف
والثقافات . ذلكم النمط هو صانعه وهو
صاحبه ، جمع فيه بين الحسينيين : الشرق في
عبقريته وأصالته والغرب في جدته وطرافته .

وكان ما كان . أخذ الراحل الكريم بيد
وليده الجديد ، ورعاه ورباه ، حتى استقر له
الأمر بالجلوس على قمة الهيئات المسؤولة عن
هذه المعارف والثقافات المتقابلات نظرا ،
والمجتمعات لدية إنجازا وعملا . يتمثل ذلك
في رياسته لقسمي اللغة العربية واللغة
الإنجليزية بآداب عين شمس في وقت واحد
لفترة غير قصيرة من الزمان .

وقد قادته معارفه الواسعة إلى اتخاذ
منهج جديد في التفكير والبحث ، يسوغ لنا أن
ننعتَه بالمنهج العقلاني . ذلك هو المنهج الذي
ينظر في الأمور وحقائق العلم بالتأمل فيها
والحوار معها بتقليبها على وجوهها المختلفة ،
حتى يصل إلى نتائج الموضوعية . يظهر ذلك
في حقول من المعرفة كثيرة ، منها على ضربٍ
من التمثيل - رأيه في ترجمة القرآن الكريم .

فقد كان من أوائل المنادين باستحالة ترجمة
كتاب الله بألفاظه ومعانيه ، وإنما الجائز ترجمة
تفسيره . ومنها كذلك موازناته بين
الفلسفات ، حيث يقدم لنا نظرية الوسط في
الفضيلة بين فلاسفة اليونان وفلاسفة المسلمين ،
ويقرر فيما يقرر أن فلاسفة المسلمين قد تأثروا
بآراء أرسطو في ذلك ، ولكن جملة ما أتى به
القبيلان في هذا الشأن لها أصول مقررة في
القرآن الكريم والحديث الشريف .

إن أستاذنا رحمه الله كان المعلمَ وكان
القائد إلى آفاق من العلم والثقافة واسعة . وهو
صانع الرجال ليكونوا خير خلف لخير سلف .
وفي إيجاز موجز نقول : كلما نظرت في سيرته
وقلّبت وجوهها وجدتَ جديدا يستوقفك
ويدعوك إلى إعمال الفكر والنظر .

إننا بفقدِهِ كمن ضل طريقَه ، وأعوزه النورُ
الذي يستضيء به ويهتدى بهديه .

كنا كأنجم ليل بينها قمرٌ .

يجلو الدجى ، فهوى من بينها القمر

فليس لنا برحيله من حيلة أو ملاذ إلا أن

نقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

أيها السادة : من حق الفقيد العظيم على
مجمعنا الموقر وعلى زملائه وأصدقائه وتلاميذه
أن يتدارسوا سيرته ففيها العبرة والخبرة ، وأن
يقلّبوا أوراق تاريخه ففيها أصالة الرأي
وعبقرية الفكر . وليس بمقدورنا في هذا المقام
أن نفى الرجل بحقه أو بشيء منه يسير .
ونحن إن حاولنا ذلك ، فما يعدو ما نقوله أن
يكون لمحات أو إشارات ، هي بمثابة حبات
الضوء الكاشفة لجنبات عالم واسع عريض ،
يرشّح نفسه لجهود جمهرة من الدارسين
والباحثين .

ولد الأستاذ الدكتور محمد مهدي علّام في
الثالث من أكتوبر عام ألف وتسعمئة ، بمدينة
القاهرة ، وتربى في أسرة كريمة صالحة ،
يشتغل سيدها بالتجارة ، يوم أن كانت التجارة
خدمة وطنية وفناً شريفا يرتكز جوهره على
الصدق والإخلاص في التعامل مع الناس .
ومن ثمّ شبّ الفقيد في جوّ من النقاء والطهر ،
مسّت نسماؤه قلبه واستقرت في نفسه ،
وتعمّقت في كيانه طوال حياته ، حتى غدا
مهدي علّام مثلاً أعلى في كرم الطويّة وصفاء

السريّة وامتنياز التعامل مع الحياة وحسن
العشرة مع مخالطيه أينما كانوا .
تلقى دراسته الابتدائية بمدرسة « جواهر
الآله » والدراسة الثانوية بمدرسة عثمان باشا
ماهر . ثم تقدّم لامتحان المسابقة للقبول بدار
العلوم سنة ست عشرة وتسعمئة وألف وكان
أول الناجحين ، وتخرج في عام اثنين وعشرين
وتسعمئة وألف .

ثم أرسل بعد في بعثة إلى إنجلترا ،
فاستكمل دراسته العليا في جامعات إكستر
ولندن ومانشستر . وقد شملت دراسته العليا :
الادب الإنجليزي واللغة العبرية واللغة الفارسية
واللغة الألمانية وعلم النفس والتربية . وحصل
في هذه الدراسات على دبلومات عالية وعلى
درجة الدكتوراه .

ولما عاد متوجاً بدرجاته العلمية قام
بالتدريس في دار العلوم وفي قسم التخصص
بالأزهر ، كما تولّى مسؤولية التفتيش بوزارة
المعارف . وكان ذلك في الفترة من سنة ثمان
وعشرين وتسعمئة وألف إلى ست وثلاثين
وتسعمئة وألف . وفي هذه الأثناء طلب إليه

أن ينظر فى مناهج الدراسة وخططها بالمرحلة الثانية ، حيث كان الأمر هناك يشوبه شىء من الاضطراب وعدم التوازن بين المواد كمًا وكيفًا . فنظر الرجل وقدر وعدل ، وبخاصة فيما يتعلق باللغات ودروسها . وكان من جملة جهوده المشكورة فى هذا الشأن أن أخذت اللغة العربية حقها المسلوب ، بوضعها فى مكانها المناسب اهتمامًا ومواقيت ، بعد أن كانت تابعة للغة الإنجليزية فى ذلك .

وصاحبه اهتمامه وحبّه للغة العربية عندما اختير للعمل أستاذًا للغة العربية وآدابها فى جامعة مانشستر . وفى السنوات الاثنتى عشرة التى قضاها هناك ، لقيت هذه اللغة على يديه خير عناية ورعاية ، إذ بذل جهدًا خارقًا فى تطوير مناهج دراستها ، وتيسير قواعدها وأصولها ، وتقديم أديها فى صورة تكشف عن نواحي عمق هذا الأدب وأصالته ، وأفرع كل ذلك - بحكمة وبراعة - فى عقول نخبة من شباب الإنجليز ، الذين حفزهم الشيخ العظيم إلى طلب المزيد من المعرفة والتعمق فى هذا التراث الفذ وما ينتظمه من أسرار وخبرة وثقافة

وعند عودته من هناك عُيّن عميداً لمفتشى اللغة العربية بوزارة المعارف ، من عام ثمانية وأربعين وتسعمئة وألف إلى عام خمسين وتسعمئة وألف . ثم انصرف الفقيه الكريم بعد إلى مهمته الكبرى ومسئوليته الخطيرة ذات الأثر البالغ فى الحياة العلمية الجامعية فى مصر والعالم العربى على إطلاقه . بدأ مشواره المبارك فى هذا الحقل بالإسهام فى إنشاء كلية الآداب بجامعة عين شمس سنة ١٩٥٠ . ولم يفتّه - وهو المحب للغة العربية وراعيها - أن ينشئ قسمًا مستقلًا لهذه اللغة وآدابها . وقد توجّ عمله فى ذلك بتوليّه رئاسة هذا القسم ، ثم انضمت إليه رئاسة قسم اللغة الإنجليزية بعد رحيل رئيسه الإنجليزي ، فأصبح ذا الرياستين لثقافتين متقابلتين لا يقدر على الجمع بينهما والنهوض بأعبائهما إلا عباقرة الرجال . وجاءت رئاسة الرياسات المتمثلة فى تعيينه عميداً للكلية سنة أربع وخمسين وتسعمئة وألف لمدة سبع سنوات .

وفى هذا الحقل الخصب استطاع الرجل بحنكته واتساع معارفه وخبراته - أن يُثبت

زروعه ويرعى أعوادها حتى تؤتى ثمارها ، كما قدرتها آماله المرجوة . عقد صداقة قوية بين القسمين والدارسين فيهما ووفق بين العمل في الميدانين فكانت البحوث مشتركة في مواد الدراسات العليا ورسائل الماجستير والدكتوراه ، فشكّل بذلك مدرسة فكرية جديدة تأخذ من مواد القسمين كليهما بنصيب . اجتذبت هذه المدرسة الجديدة - بعمق مبادئها وغزارة مواردها وجدة منهجها - جمعا حاشدا من نبهاء التلاميذ وشباب الباحثين صنعتهم هذه المدرسة أو صنعتهم صاحبها ، وصاروا من بعد أعلاما يقودون المسيرة « المهدية » في الجامعات والهيئات المصرية والعربية على سواء .

استمر على هذا المتوال والإشراف عليه سنوات طويلا ، حتى أوجد صلة وثيقة بين الأدبين العربى ، والإنجليزى ، فأزال جفوة بينهما مزعومة ، وضيق من شقة الخلف بين رجال الحقلين . وأكد هذا المنهج باشتراكه بنفسه فى التدريس فى القسمين معا ، متبعا فى ذلك طريقا لم يسبق إليه . ويبدو أن همه

الأكبر كان منصرفا إلى إعداد الرجال ، كما هى عادة الرواد الكبار ، لقد كان منهجه فى التدريس أن يُشرك طلابه فى الأخذ بنصيب فى إعداد المادة وتدريسها ، حتى يمرنوا على الاستقلال وتحمل المسؤولية فى النظر والبحث ، استعدادا لمستقبل ينتظرهم فى مواقعهم المأمولة . ولم يقتصر هذا المنهج « المهدى » على آداب عين شمس ، بل امتد أثره إلى آفاق جامعية أخرى ، عند توليه رئاسة قسم اللغة الإنجليزية بمدرسة الألسن عند إعادة افتتاحها من عام واحد وخمسين إلى عام ثلاثة وستين وتسعمئة وألف ، وعند قيامه بالتدريس بالدراسات العليا لشعبة اللغة الإنجليزية بكلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر (١٩٦٢ - ١٩٨٣)

فإذا ما درجنا إلى إنتاجه وآثاره العلمية الأكاديمية ، حار المرء فى عدّها وتسجيلها والإفصاح عن مواضيعها . ويكفى أن نشير هنا إلى أهم آثاره الأكاديمية غير المجمعة (فتلک قد تكفل بها أستاذنا الدكتور شوقى ضيف) . من بينها :

محمود حسن إسماعيل - شاعر الريف .

فلسفة العقوبة .

فلسفة الكذب .

فلسفة المتنبي .

العفو في القرآن (نظرية جديدة بالعربية

والإنجليزية) .

نظرية في نشأة فن المقصورة في الأدب

العربي .

تربية الشباب في الإسلام (بالعربية

والإنجليزية) .

الصدقة في الإسلام (نظرية جديدة في

غير الزكاة ، بالعربية والإنجليزية) .

نظرية الوسط في الفضيلة بين فلاسفة

اليونان وفلاسفة المسلمين .

جوزيف لندن سميث - الرجل والفنان

(بالعربية والإنجليزية)

الروح الثورية لبرناردشو (بالإنجليزية) .

ولنعد إلى عمل أوائنين من هذه الأعمال،

لإبراز مناحي التفكير عند الفقيه وعبقريته في

البحث والتأصيل والتوثيق والابتكار ، وإنما

كان ذلك منا لاعلى سبيل الاختيار ، بل

قصدنا به إلى التمثيل لما يتمتع به الراحل

الكريم من شخصية نادرة المثال وثقافة واسعة

تضرب بعيدا ، شرقا وغربا .

ففي بحثه (محمود حسن إسماعيل -

شاعر الريف) ، " قدم من خلاله شاعرا واعدا

من شعراء الطبيعة في مصر ، أو فلنقل من

شعراء الرومانسية الذين رادوا بقصائدهم في

وصف طبيعة الريف المصري ، طريق الشعر إلى

التعبير الرومانسي في صورته الصحيحة " .

وقد وُفق الرجل إلى بيان أن هذا الاتجاه عند

الشاعر يدل على وعى فطري بطبيعة الفن

الرومانسي ، وأنه تعبير عن مكنون نفسه ،

وليس منقولا عن الرومانسية الغربية أو متأثرا

بها ، بدليل أن الشاعر لم يطلع على نتاج

الشعراء الغربيين الذين كان هذا النغم

الرومانسي يسيل في قصائدهم سيلا . ولا حظ

فقدنا كيف كان الشاعر ينتزع لفنه ومعانيه

وموضوعاته انتزاعا من بيئته الريفية ،

الأمر الذي جعل منه بحق (شاعر الريف) كما

سماه الدكتور مهدي علام .

وإذا كان هذا الذى قلنا ينتمى إلى حقل الدراسات الأدبية والنقدية ، فإننا نجد ما يعدله فكرا ورؤية صادقة فى حقل الدراسات الإسلامية . ففى بحثه (العفو فى القرآن) ، « نلمس نموذجا فذا لهذا النوع من البحث الموضوعى القائم على جمع العناصر المتفرقة من الموضوع الواحد فى بناء متكامل ، يؤلف نظرية محددة ، تستوعب جزئيات هذا الموضوع فى صيغة تتصالح فيها عناصره وتتواصل » .

وقد سار الباحث الكريم فى موضوعه هذا على منهج الإحصاء فى رصد الظواهر والأفكار المتفرقة ، الأمر الذى يدل على وعى بأهمية الإحصاء فى تفسير القرآن الكريم تفسيراً موضوعياً ، وتنظيراً بصفة خاصة . وقد انتهى إلى أن « العفو ليس أصلاً فى المعاملة بين الناس ، لأنه قَدْرُ زائد على العدالة وأنه ظلم يوقعه المرء على نفسه بالتجاوز عن حقه . ومن أجل ذلك ، لم يفرضه الله تعالى ، بل رَغِبَ فيه وندب إليه بوسائل شتى ، وجمع بينه وبين مشروعية العقوبة فى كثير من الآيات . يريد بذلك إلقاء الطمأنينة فى قلوب

العباد على أن مصالحهم مرعية وأن عفوهم إذ ذاك سماحة خالصة لاطاعة مزيفة .

ومن أهم ملاحظه الأستاذ العظيم من عناصر نظريته هذه فى العفو ، أن الدعوة إلى إثارة العفو على العقوبة لا تقتصر على معاملة المسلمين بعضهم مع بعض ، بل تمتد إلى معاملاتهم مع غير المسلمين من أصحاب الديانات الأخرى ، وهى ميزة للإسلام فى تعاليمه وفى تاريخه » .

أيها السادة : إن الكلام فى هذا المجال يطول ويأخذ منا أياماً وليالى فى البحث والدرس والتحليل ، وبخاصة إذا ما انتقلنا إلى آثاره العلمية الأخرى ذات السمة الثقافية العامة والخاصة . فله من المقالات والبحوث المنشورة فى المجلات والدوريات ما يربو على المئة ، وله مئات من الأحاديث واللقاءات الإذاعية بالعربية والإنجليزية ، بالإضافة إلى شعره وإلى ترجماته الشعرية من الإنجليزية إلى العربية وبالعكس .

ولم تقف جهود الرجل العلمية والثقافية عند هذا الحد . فقد كان الفقيد علماً يقتدى

به ، ترفرف نسماته على الأجواء العربية
والعالمية فى صورة مؤتمرات ولقاءات علمية ،
بالإضافة إلى عضويته فى جمع غفير من
الهيئات العلمية والثقافية فى مصر وخارجها .
وعصيّ علينا حصّر جوانب تلك الجهود فى
وقتنا هذا القصير ، وهذه أمثلة منها للكشف
عن موقع الرجل فى دنيا العلم والثقافة والخبرة
والمعرفة فى أرجاء المعمورة على اتساعها .

فقد كان رحمه الله :

رئيسا لمجلس إدارة المؤسسة المصرية
العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

عضوا بالمجلس الأعلى لدار الكتب لأكثر
من عشرين عاماً .

عضوا مؤسساً لمجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر .

عضوا مؤسساً للمجلس الأعلى لرعاية
الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

عضوا بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية
عضواً بالمجلس القومى المتخصص للثقافة
والآداب والإعلام .

عضوا بالمجمع العلمى المصرى .

كما كان رئيساً لوفود مصر فى عدة
مؤتمرات ولقاءات علمية وسياسية . من بينها :
المؤتمرات التى عُقدت لحركة التضامن الإفريقى
الأسىوى وحركة عدم الانحياز فى مختلف
أنحاء العالم ، ورئيساً لوفد مصر فى مؤتمر
حقوق التأليف المنعقد فى تونس سنة ١٩٧٦م ،
ومؤتمر الأدباء العرب فى الكويت والعراق ،
والندوة الإسلامية العالمية التى عقدت فى
« لاهور » سنة ١٩٥٨ ، حيث كان المتحدث
الرسمى باسم مصر .

وفى سنة ١٩٤٥ مثل الحكومة السعودية ،
منتدباً من الحكومة المصرية ، فى أول اجتماع
للأمم المتحدة فى لندن لتأليف هيئة اليونسكو .
سيداتى سادتى : ما سجلناه هنا أشبه

بحسوة طائر من بحر عميق ، تلمس جوانب
مضيئة من حياة حافلة بجليل الأعمال وعظيم
المسؤوليات . بدأ رحلتها شاباً وطنياً ، شجاعاً
فى الحق لا يخشى فيه لومة لائم ، حيث كان
ممثلاً لطلبة دار العلوم فى لجنة المدارس العليا

إبان ثورة ١٩ ، واشترك فى تحرير المنشورات السريّة وتوزيعها ، وواصل السير فى رحلته من بعد مدرسة فكرية متنقلة تلقى بضوئها وشعاعها النافذ على كل أرجاء الوطن العربى شرقه وغربه .

أما موقعه فى مجتمعنا المؤقر وفى المجتمع العربية فى عمومها ، فذلك أمر له شأن آخر ، رواه لنا شيخ من زملائه الكرام ، هو أستاذنا الدكتور شوقى ضيف .

ولم يكن بدعاً ولا مجاملة أن تفى الدولة بشىء من حقه فى التكريم والتقدير . فقد حاز وسام الجمهورية من الطبقة الثالثة سنة ١٩٥٦ ، ونال الجائزة التقديرية فى الآداب سنة ١٩٧٦ ، كما حاز وسام الجمهورية من الطبقة الثانية سنة ١٩٧٧ ، وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى سنة ١٩٩٣ .

أما بعد ، فقد مضى شيخنا ورحل عكمنّا ، ولكن بقيت سيرته وآثاره خالدة على مرّ الزمان . لقد كان « مهدى علام » العالم الكبير القلب ، الطاهر النفس ، والمثل الأعلى للرجال الصادقين المخلصين لمسؤولياتهم ووطنهم ، والناصح الأمين لتلامذته وأخلاقه .

وإنى باسم المجمع المؤقر وباسمى ، أقدم خالص العزاء إلى أسرة الفقيد الراحل ولزملائه وأصدقائه ، وإلى كل من يعرف للعلماء أقدارهم ، وجميع من يرون لصاحب الخلق الرفيع وزناً لا يعلوه ميزان ، ومكاناً ما فوقه من مكان . وإنا لله وإنا إليه راجعون . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كمال بشر

عضو المجمع



النجم الذى هوى

فى وداع الفقيـد

مرثية للأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن

وكنـت مُعلـماً فذاً قديراً	إلى روح الأستاذ الكبير والمجمعى العريق
وكم حققت خيراً للبلاد	المغفور له الدكتور محمد مهدى علام .
رئيس المعهدين كفاك فخراً	هوى نجم الفصاحة والصُّحاح
* بأن قد حُزتَ ذلك بانفرادٍ	فخلّى الأفق مُنظمسَ النواحي
* * *	نعوا شيخَ الشيوخ غداة يومٍ
أمهدى ، كنت للإسلام دُخْراً	حزينِ الفجر مكتئب الصباح
وقمتَ على مبادئه أمينا	تججرت الدموع بجفن عيني
وكم لك فى مسائله بحوثٌ	وما يجدى بكائى أو نواحي ؟
شرحتَ أصولها دُنيا ودينـا	دعوت الشعر يسعفنى بمعنى
وما ألفت فيه من تُراثٍ	يليق بصاحب الدررِ الفِصاح
	* * *
سيبقى منهلاً للدارسينا	أمهدى ، كنت فى الرواد نجماً
وفضلك فيه مرموق بذكرٍ	وقد كنت الزعيم بكل نادٍ
سيعلو دائماً أبد السنينـا	ففى الثوار كنت فتى شجاعاً
* * *	وكم أنكرتَ ذاتك فى الجهادِ

وكان الفقيـد رئيساً لقسمى اللغة العربية واللغة الإنجليزية بجامعة عين شمس فى وقت واحد .

أمهدى ، فى الفصيحة كنت بحرأ

أمهدى ، عشت ممتشقأ يراعا

وكان عطاك فيها لا يُبارى

ذبيتَ به عن القِيمِ الرُّعاعا

محيطأ بالتراث وبالطريف

عقدتَ له مع القرطاس حلفأ

وكنت لكل مدرسة منارا

فقام به التزاما واضطلاعا

وكم لك من فتاوى حاسماتٍ

فكم صاغ الروائع مشرقاتٍ

هديتَ بها تلامذة حيارى

فأتحفنا وأمتعننا متاعا

وهم صاروا أساتذة كبارا

وفى الأدب المترجم كم تحدى

ومن روضاتكم جَنُوا الشمارا

فبِزُّ به مؤلَّفهُ الصُّناعا

* * *

* * *

أمهدى ، كنت فى نقدٍ عتيداً

أمهدى ، كنت طوداً مجمعيأ

وقالوا : كان معتسقا شديدا

غزير العلم فذا عبقرىأ

حميتَ الضَّادَ من عطبٍ ووهنٍ

بجمعنا أمينا أو وكيلأ

دعمت لعزها الصُّرح الوطيدا

نشاطك كان جمأ أريحىأ

وفى فن القريض نظمت دُرأ

لك الصُّولاتُ والجَوَلاتُ فيه

وإن أقلتَ ؛ كنتَ به مُجيدا

ثلاثة أعقدٍ نجمأ سَنيا

ولولا ضيق وقتك من نضالٍ

كفى التاريخ للخسینَ عامأ

وأشغالٍ لصرت به لبيدا

صعدتَ به إلى أوجِ الثريا

* * *

* * *

عهدتك دائماً ذا كبرياءٍ

وقد حضر احتفالكِ رغم عُمرٍ

ومُعْتَدًا بنفسك دون تيهٍ

عَدَا التسعينَ ، يالِإلتزام !

وملتزمًا بجدٍّ وانضباطٍ

فبادره الرئيس إليه يسعى

وأسلوبُ الحُنا لا ترتضيه

وحلّى الصدر منهُ بالوسام *
* * *

وحتى إن مزحتَ ففي وقارٍ

أيا مهدى ، فراقك فتّ منا

بمضمونِ رَواحِ القلبِ فيه

قلوبًا قد تفانت فيك حُبًا

وتعبيرٍ عفيفٍ اللفظِ راقٍ

سَقَى غادى الغمام ثراكَ غيثًا

ومعنى رائقٍ عذبٍ نزيه

وأنبت فوقه نورًا وعُشبا

* * *

ويا مهدى ، إلى جنّاتِ خُلدٍ

أيا شيخَ الدراعمة الكرام

كُسيّتَ بها من الرّضوان ثوبا

ويا رمزًا عظيمًا للعِظام

وفزت بها مع الأبرار دارًا

ويا دار العلوم فتاكِ جَلَى

فقد أرضيتَ قبل الخلق ربًّا

وحلّ بعلمه أعلى مقام

محمد يوسف حسن

عضو المجمع

★ ★ ★

* في العيد المتوى لكلية دار العلوم .

مرثية أخرى في تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام

للاستاذ الدكتور حسن على إبراهيم

يا عين جودى فإن المجمع انهمرت
شهاب علام قد طالت إنارته
عيناه دمعاً وإن القلب مضطرب
يعطى من النور ما لم تعطنا الشهب
قد مات علام فالفصحى توثته
وهو المقيم بقلبي ليس يبرحه
والعلم يبكيه والأخلاق والأدب
فالحب يجمعنا والشعر لا النسب
فى الشرق يُنعى وفى غرب البلاد بُكا
كان الحقيقى بشخصي بين مجمعكم
ولا غرابة إننا كلنا عرب
أرسى الفخار لنا علماً ومعرفةً
فما شعرتُ بأننى فيه مُعْتَرِبُ
كما تُشدُّ لنا الأوتاد والطنبُ
أضحى بعيداً وإن كنا نُلازمُهُ
رأيته والردى لاحت نواجذه
فما تغيبُ له ذكرى وتحتجبُ
وقد تدهور منه الساق والعصب
قد جاء يُحمَل كى يوفى بواجبه
قد فُلسفَ الكذبة النكراء مُقْتَدِراً
والبهر يرهقه والسُنُّ والوصبُ
قولُ أمينٍ فلا مین ولا كذب
كان الشهاب لأهل الضاد كُلَّهُم
ونصف قرنٍ من اهل المجمع انتظموا
فى سفره الخلد مهما مرَّت الحقب
والشهب تلمع حيناً ثم تحتجب

قد حُللَ المتنُّ جدُّ مقتدر

لاكى الإله سلماً قلبه : فلقد

والعلم رائده فاتحلت الأرب

أدى لمصر وللأعراب ما يجب

قد حُطَّ خمسين عاماً من تجاربه

عليه رحمة ربي سوف تكلّوه

فيها الطرافة والتاريخ يتسرب

فيها المثوبة والفردوس والخب

قد جاءه هادم اللغات يطلبه

حسن على إبراهيم

والكلُّ ذاتُه للموت مرتقب

عضو المجمع

★ ★ ★

كلمة الأسرة للاستاذة الدكتورة ثريا محمد مهدى علام كريمة الفقيـد

سيدى الرئيس الدكتور إبراهيم مذكور ،
سادتى أعضاء المجمع الموقر ، سيداتى ،
سادتى : يَنْتَابُنِي خَلِيطٌ من الشاعر وأنا مائل
أمامكم اليوم ، فى المكان الذى أمضى فيه
والدى المرحوم الدكتور مهدى علام ، اثنين
وثلاثين عاما من عمره ، ما بين عُضْوٍ وَأَمِينٍ
عام ونائب لرئيس المجمع ، وأنا لا أقصد
بالمكان ، هذا المبنى فقط ، فمجمع اللغة
العربية أينما وُجِدَ مصدرُ إشعاعٍ للغة القرآن
الكريم . والمشاعرُ التى أشعر بها مشاعرُ
الأسى والحزن العميق على فراق والدنا الحبيب
مَمْرُوجَةٍ بمشاعر الفخر والاعتزاز لانتمائنا لأبٍ
عملاق فى العلم والأخلاق ، وإنى أكادُ أشعر
برُوحِهِ تُرْفِرِفُ علينا اليوم .

كان المرحوم مهدى علام شخصيةً مُتَفَرِّدَةً
فى علمه وأخلاقه . وكان الإخلاص من أهم
صفاته ، الإخلاص فى أداء أى عملٍ يقومُ به ،
والإخلاصُ للوطن ، والإخلاصُ لأصدقائه ،
والإخلاصُ لأساتذته وتلاميذه . وكان أباً مثالياً

وزوجاً مثالياً ، فكان يعاملنا منذ صغرنا
بحنانٍ واحترام ، ويناقدنا فى كل أمورنا ، كان
والداً ومعلماً ، ومُربِّياً ، وصديقاً كان مثلكنا
الأعلى ، غَرَسَ فىنا منذ الصغر القيمَ الدينية ،
والحب للوطن .

أما علاقتهُ بشريكة حياتهِ ورفيقةِ عمرهِ ،
فكانت علاقةً نادرةً وساميةً ، ليس لها نظير .
فلم أَرَحَباً واحتراماً وتقديراً ووفاءً متبادلاً بين
زوجين مثلما كان بينهما ، وقد أثر رحيلُ
والدتنا الحبيبة عليه تأثيراً قوياً ، ولكنه استمرَّ
فى أداء أعماله بإيمان وصبر ، محاولاً إخفاءَ
حُزْنِهِ حتى لا يزيد من أحزاننا .

ورغم أن والدنا المرحوم مهدى علام كان
يلتزم بالأخلاق السامية ، فإنه كان يلتبس
الأعداء للذين يُخطئون ، فكان متفهماً لظروف
الآخرين ، وكان إلى جانب علمه الغزير وثقافته
الواسعة ، ذا شخصيةٍ جذابة لا تفارقه روحُ
الفكاهة التى تَسُرُّ ولا تُجرح وتُنقِّد ولكن
لا تَسُخر . فقد كان حريصاً على مشاعر الآخرين

وقد كان لمعرفته الواسعة للغة الإنجليزية وآدابها أثره في أن يقدم للغة العربية وآدابها خدمات عظيمة ، أكاديمية وأدبية : فقد كان رئيساً لقسمي اللغة الإنجليزية والعربية في كلية الآداب بجامعة عين شمس ، وترجم إلى اللغة الإنجليزية كثيراً من روائع الأدب العربي والفكر الإسلامي كما نقل إلى اللغة العربية كثيراً من روائع الأدب الإنجليزي . وجهوده في الإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه في اللغتين العربية والإنجليزية معروفة للمتخصصين ، وقد قام في عام ١٩٥٧ بالترجمة الفورية من العربية إلى الإنجليزية ، ومن الإنجليزية إلى العربية للأبحاث التي قُدمت في المؤتمر الإسلامي بـلاهور في باكستان .

وكان رحمه الله يحب تلاميذه ، ويقول لنا إن من نعيم الله عليه ، كثرة تلاميذه ، ووفائهم له . وكان يبتهج كلما اتصل به واحد منهم ليحييه ويسأل عن صحته . ويقول : هذه نعمة من نعم الله أن يكون لي كل هؤلاء تلاميذ .

وسوف أستشهد هنا بأقوال بعض تلاميذه ومريديه عنه وهي أقوال تشهد بالحب المتبادل بين الأستاذ والتلميذ :

١ - قال عنه تلميذه الدكتور إبراهيم عبد الرحمن « إن سلوكه العلمي قد امتزج بسلوكه الإنساني ليصبحا شيئاً واحداً . وهو باختصار سلوك إنسان متحضر ومثقف ، يتسع عقله للتفكير المتجدد ، وقلبه للحب الذي لا ينضب ماؤه ، ولا تجف عواطفه ، فلم أره يوماً إلا ساعياً في الخير ، ومنشغلاً بالعلم . لغته هي الأخرى صورة لهذا المتحضر الذي يحكم سلوكه العلمي والإنساني ؛ فلم أسمع يوماً ينطق كلمة غير كريمة ، ولم أره يوماً يغضب لغير حق أو يسعى في غير العلم والخير » .

٢ - وقال عنه صديقه الأستاذ إبراهيم أحمد : « لقد لمست فيه خلقاً كريماً وأدباً جماً وأحبتته لتواضعه فلا يترك زائراً حتى يودعه عند باب مكتبه أو باب منزله ، أحبتته لوفائه لشريكة عمره ، أحبتته لشموخه واحترامه لنفسه » .

٣ - وقال عنه صديقُه الأستاذ أحمد عوض حماد . « دُمْتَ أيها السيد المهدي للأدب جميعه ، الأدب اللغوي والأدب الخلقى القرآني ، بل دُمْتَ للأدب جميعها ففبك التقت الحضارات وتأخت الفلسفات » .

٤ - وقال عنه صديقُه المرحوم الدكتور مجدى وهبة . « أستاذى راعٍ وشيخٌ يقود طلابه دائما نحو يقين العلم ونور المعرفة . وكان بالثقافتين العربية والإنجليزية بمثابة قاضٍ ومحامٍ فى آن واحد . » .

٥ - قال عنه تلميذُه الدكتور محمود الجريدلى « إنه كان يبذلُ لزكاة العلم . وإن أبوته السَّمتحة كانت تمنحُ بلا حدودٍ وبلا مقابل ، وإن الأبوة لا تَنصبُ قط على عطائه العلمى . بل كانت تتجلى فى تعاملاته اليومية وإلى جانب هذه الصِّفة تجد عِفَّةَ اللسان والنبل وتواضعَ العلماء » .

٦ - وقالت عنه الدكتورة جيهان إبراهيم تلميذته الوفية : « إن من صفاته الكريمة عِلْمٌ

الأستاذ ، وتواضعَ العالم ، وسعةَ صدر الأب ، وحكمةَ المربي ، فضلا عن عطاءٍ بدون حدودٍ وإيمانٍ يحيط بكل ذلك ، وبملا قلبه بالخير لكل من حوله . » .

لقد ترك رحيلُ والدنا الحبيب فراغا كبيرا ولكنه يعيشُ فى قلوبنا ووجداننا كما يعيشُ فى قلوب ووجدان كل الذين أحبه واحترموه . وأعماله من العلم النافع سوف تعيشُ أبد الدهر تُعلِّمُ وتُثَقِّفُ وتنيرُ طريقَ الخير والبر .

أشكرُكم جميعا باسم الأسرة على حضوركم هذا الحفل : الأستاذ الدكتور إبراهيم مذكور رئيس المجمع والأستاذ الدكتور شوقي ضيف ، والأستاذ الدكتور كمال بشر ، كما أشكر الدكتور حسن إبراهيم والدكتور محمد يوسف حسن وأدعو الله أن يتغمَّد فقيدنا المرحوم الدكتور مهدي علام برحمته ، فقيدَ العلم والمجمع والجامعة والإنسانية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



ثريا محمد مهدي علام

كلمة المجمع
فى تأيىن الأستاذ الدكتور عبد الحلىم منتصر
للأستاذ الدكتور محمود حافظ

نبراسا مضيئنا يهديننا سواء السبيل ويذكرى فى
نفوسنا جذوة العلم والعرفان .

ونحن اليوم نكرم ذكرى عالم كبير هو
المغفور له الأستاذ الدكتور عبد الحليم بدر
منتصر عضو المجمع وحل عنا وكان بالأمس
القريب بيننا فى هذا المحراب عقلا راجحا
وفكرا ثاقبا ولكن هذه سنة الحياة .

سيدى الرئيس ، سيداتى وساداتى :
لست فى حاجة إلى القول أن مصر فقدت
برحيل هذا العالم الجليل قمة من قممنا
الشامخة وواحدا من جيل العمالقة فى مجال
العلم والفكر والثقافة قل أن يكون له ضريب
بين العلميين المعاصرين وقد أسهم فى بناء
النهضة العلمية فى مصر وإرساء قواعدها ودفع
حركتها خطوات فسيحة إلى الأمام على مدى
أكثر من نصف قرن وستظل بحوثه ودراساته
وأعماله ومقالاته التى جاوزت الأربعمئة فى

العالم الأجل رئيس مجمع اللغة العربية
وشيوخ المجعيين

العلماء الأجلاء سيداتى وساداتى :
درج مجمع اللغة العربية منذ نشأته على
أن يكرم ذكرى أعضائه الذين مضوا إلى رحاب
المخالدين وأن ينشر صفحات ناصعة وضاعة من
تاريخهم المجيد وإنجازاتهم الرائدة وأن يبرز
جهودهم فى بناء النهضة العلمية والأدبية
واللغوية لتستوحى منها الحكمة ونستشف من
خلالها العلم والمعرفة ونرى فيها على مر الزمن
المثل الرفيع والقذوة الصالحة .

وإذا كان المجمع قد جرى على هذا السنن
الحميد فإنه بذلك يضرب أروع الأمثال فى
الوفاء فى زمن عز فيه الوفاء - وهم وإن مضوا
إلى جوار ربهم فإن أعمالهم وحياتهم ستبقى
شاخصة بين ظهرانينا بارزة فى أفئدتنا نستلهم
منها الرأى السديد والبصيرة النافذة وستظل

مجال العلم والثقافة واللغة شاهدا على عمق فكره وسعة أفقه كتبها بلغة يملك ناصيتها ودبجها يراعه فى مكنة واقتدار ولعله فى ذلك أيضا كان نسيج وحده بين العلميين .

وغير خاف أن الفقيد العزيز بذل الكثير من نور عينيه ليضىء لوطنه وبنيه مصابيح الحياة وأخذ بيد الطلائع من شباب علمائنا فى رحاب الجامعة وعنى بتنشئة أجيال منهم تزهر بهم مصر اليوم وتعلو وقد مضى يحقق هذا الهدف وما كان ليميل عنه أصعبا إلا ليميل إليه ميلا .

عرفت الفقيد العزيز منذ عام ألف وتسعمئة واثنين وعشرين أى منذ سبعين سنة حين جمعتنا مدرسة فارسكور الابتدائية وامتدت صلاتنا العلمية والأخوية فى رحاب الجامعة والجمعيات العلمية والثقافية وفى هذا المحراب حتى قبيل رحيله .

ولد الراحل الكريم فى ٢ سبتمبر عام ١٩٠٨ فى قرية الغوابيين بالقرب من فارسكور بمحافظة دمياط من عائلة لها مركز الصدارة فى هذه القرية ولها أرضها وزراعتها ونشأ فى بيت من بيوت العلم والأدب والعرفان

وقضى بهذه القرية طفولته بين مروجها الخضراء وظلالها الوارفة وعطرها وأريجها - وكانت لهذه الطبيعة الخلابة انعكاساتها عليه فأحبها وظلت هذه الأحاسيس تنمو معه فى صباه وشبابه وما أن أتم دراسته الثانوية فى مدرسة المنصورة الثانوية ومدرسة الجيزة الثانوية حتى التحق بكلية العلوم بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) ليتخرج فيها عام ١٩٣١ متخصصا فى علم النبات متتلما على عالم النبات الشهير أوليفر وكان الفقيد بدراسته لهذا العلم وشغفه به قد استجاب تلقائيا لما كان قد احتشد فى خلفيته الأولى واختزنه فى وجدانه من حب لتلك البيئة النباتية التى نشأ فيها وعاش بين ظلالها ومروجها - وبعد ذلك تابع الدكتور منتصر دراسته العالية فى علم النبات ليحصل على درجة الماجستير فى عام ١٩٣٣ ثم أوفد فى بعثة إلى إنجلترا وسويسرا ليستزيد من العلم فى مجال تخصصه لدى بعض العلماء البارزين فى علم النبات ومنهم العالم سالزورى - ثم يعود ليحصل على درجة دكتوراه الفلسفة فى علم النبات عام ١٩٣٥ - وكان أول من حصل على هذه الدرجة من الجامعة المصرية - عُيِّن بعدها مدرسا

بكلية العلوم بجامعة القاهرة ثم أستاذا مساعدا
ثم تلقفته جامعة إبراهيم (عين شمس حاليا)
أستاذا لعلم النبات بكلية العلوم بها عند
إنشائها عام ١٩٥٠ ثم عميدا لهذه الكلية عام
١٩٥٤ .

وإبان حياته العلمية واصل الدكتور
منتصر بحوثه فى مجال علم النبات وأنشأ
مدرسة علمية رائدة فى البيئة النباتية تخرج
فيها العشرات من الحاصلين تحت إشرافه على
درجتى الماجستير والدكتوراه والمئات من حملة
البكالوريوس فى علم النبات - وقد تناولت
بحوثه دراسات حول البيئة النباتية فى مصر
وبخاصة البيئة الصحراوية وعلاقة النبات
بالتربة والعلاقة بين الكائنات الدقيقة
والنباتات الراقية - ومن بين بحوثه المبتكرة
بيئة بحيرة المنزلة ، التربة والنبات فى مريوط ،
العلاقة بين عوامل التربة ونمو الجذور ،
أثر الكائنات المجهرية فى التربة على نمو
النبات ، تغذية النبات فى أرض غير
مستصلحة ، المقاومة الأحيائية لبعض الأمراض
النباتية . كما نشر مع أحد زملائه مؤلفا ضخما
عن نباتات مصر ، ومن مؤلفاته أيضا : حياة
النبات ، الوراثة والجنس - أصول علم النبات ،

صحارى مصر . ومن ترجماته فى مجال
تخصصه : تشريح النبات ، بيئة النبات .

ويعتبر الدكتور منتصر بحق رائد علم
البيئة النباتية فى مصر ومن طلبته فى هذا
المجال علماء بارزون وأساتذة كبار فى
الجامعات المصرية والعربية طالما اختلفوا إلى
مجلسه وأخذوا عنه ونهلوا من نبعه كؤوسا
مترعة من العلم والمعرفة .

وهو أيضا رائد من رواد النهضة العلمية
فى مصر وأحد قادة نشر الثقافة العلمية باللغة
العربية . قاد دعوة موفقة لتعريب العلم
وتدريس العلوم فى الجامعات باللغة العربية
وظل ينشر هذه الدعوة فى دأب وإصرار على
مدى أكثر من أربعين عاما وكان قد أنشأ فى
مطلع الثلاثينيات جمعية أنصار اللغة العربية
بكلية العلوم وقد نجحت هذه الدعوة وصاحب
ذلك إنشاء مجلة (رسالة العلم) التى
سرعان ما اجتذبت إليها الكثيرين المشتغلين
بالعلم ينشرون فيها بحوثهم ونتائج أعمالهم
العلمية باللغة العربية مع ترجمة المصطلحات
العلمية وقد رأس الفقيه تحرير هذه المجلة
الرائدة عدة عقود وكان يكتب مقالها الافتتاحي
كل ثلاثة شهور على مدى هذه السنوات الطوال

وقد تناولت هذه المقالات موضوعات على جانب كبير من الأهمية جادت بها قريحته الوقادة .
منها على سبيل المثال : ثورة العلم ، تنظيم البحث العلمى فى مصر ، العلم فى خدمة الاقتصاد القومى ، البحث العلمى ومشروعات الإصلاح ، التخطيط العلمى للوطن العربى ، الجامعات بين البحث العلمى والتعليم ، السباق الدولى فى البحث العلمى ، الموارد العلمية فى البلاد العربية ، تطور الفكر العلمى ومسايرة اللغة العربية ، التعبئة العلمية ، بعض اتجاهات البحث العلمى .

ويجدر بى أن أشير إلى مقتطفات من كلمة الفقيه التى صدر بها أول عدد من رسالة العلم عام ١٩٣٤ إذ قال « ثم بدأت الطلائع الأولى تتخرج فى كلية العلوم حاملة علم الجهاد فى ميادين العلم والعرفان مؤدية واجبها نحو الوطن ونحو العلم ، وكان لها أن تفكر فى إخراج صحيفة عامية تكون أداة اتصال بين الخريجين وترجمانا صادقا لبحوثهم ومختلف ميادين نشاطهم العلمى وأن تكون أداة لنشر العلوم بلغتنا القومية فإن لغة الدراسة بالكلية أجنبية ونحن نرجو مخلصين أن تنهيا الظروف للغة العربية لتكون لغة العلم فى هذا البلد ،

ولعلى إذ أردد هذه الأمنية الصادقة من أعماق قلبى إنما أضرب على قيثارة شجية تترنم بها أفئدتنا جميعا فمن ذا الذى لا تردد مشاعره هذا الذى أرتجيه والذى آمل أن يحققه الزمن فى المستقبل القريب . فاللغة العربية إنما هى أمانة فى أعناقنا وواجبنا إنماء ثروتها العلمية . تلك كانت كلمة الفقيه منذ نحو ستين عاماً تتم - كما قال عنه المغفور له الأستاذ مصطفى نظيف - عن غيرة صادقة تحتشد فى صدره على العلم وعلى اللغة العربية وعلى الجامعة . صارت فيه طبيعة تشهد عليها تصانيفه وتآليفه باللغة العربية وسعيه المتواصل فى أن تكون هذه اللغة لغة العلم والتعليم فى الجامعة .

وفى سبيل نشر الثقافة العلمية باللغة العربية اضطلع الدكتور منتصر بالإشراف على عدد كبير من الكتب السنوية ومجموعات المحاضرات والدراسات التى تنشرها الجمعيات والهيئات العلمية والاتحاد العلمى المصرى والعربى بما يقدر بأكثر من ثلاثين مجلدا ضخما كما قام بنشر عدد من الكتب العلمية المبسطة والمقالات العديدة فى الصحف والمجلات لا فى مصر وحدها بل فى كثير من

البلاد العربية وقد نشرت له دراسات عديدة فى سلسلة اقرأ وتراث الإنسانية والثقافة والرسالة و العلوم والكتاب والعربى والقافلة ورسالة العلم وغيرها مما يجاوز بضع مئات وما لو عنى بجمعه لملأ مجلدات ضخمة كتبها منذ فجر شبابه وحتى قبيل رحيله بأسلوب يتسم بالعمق والرصانة ويعكس ثقافة واسعة وقريحة وقادة .

ومن بين الكتب التى تزيد على الثلاثين كتابا التى ألفها أو ترجمها أو راجعها كتب : العلم فى حياتنا اليومية (جزآن) ، قادة العلم فى العصر الحديث (جزآن) ، تاريخ العلم عند العرب ، فجر الحياة ، العلم الإغريقى ، العلم وأصل الكائنات ، الكشف والفتح ، العلم والإنسان الحديث ، الحياة على مر العصور ، أصل الأنواع (جزآن) ، العلم المصنوع من حولنا ، الجنس البشرى يتطور .

وللفقيد دور كبير فى نشر الاهتمام بتاريخ العلوم والإسهام مع الأستاذ الكبير المغفور له الأستاذ مصطفى نظيف فى إنشاء الجمعية المصرية لتاريخ العلوم وإصدار مجلة لها حوت العديد من المقالات والدراسات عن علماء العرب الأعلام والتراث العلمى العربى وقد بدأت هذه الجمعية تعاود نشاطها فى السنوات

الأخيرة وتنشر المحاضرات التى تلقى بها - وقد ألف الدكتور منتصر أول كتاب يعتدُّ به لتدريس تاريخ العلم بالجامعات وقد حمل على كتفيه فى تفان منقطع النظير الدعوة للاهتمام بهذا العلم وقام بتدريسه عدة سنوات من منطلق واعي مستنير يرى فى دراسة تاريخ أسلافنا من العلماء العرب وأمجادهم فى العصور الذهبية للنهضة العلمية الإسلامية ما يحفز على بناء حاضر مجيد ومستقبل زاهر يعيد للأمة العربية سابق مجدها وعظمتها - وفى سبيل دعوته للتعريف بالعلماء العرب ونشر أعمالهم كتب وحاضر وأذاع العديد من الأحاديث والمقالات والمحاضرات فى المجلات والصحف المختلفة والإذاعة وقد تُرجم عددٌ كبيرٌ من أحاديثه تلك وأذيع ضمن الإذاعات الموجهة لتعريف الأجانب بالعلماء العرب وتجلية أعمالهم كما شارك فى وضع دليل بيليوغرافى لأعمال هؤلاء العلماء .

أما نشاط الفقيد فى مجمع اللغة العربية والذى امتد سنين طويلة منذ انتخابه عضوا به عام ١٩٥٨ فتشهد عليه جهوده البارزة فى ترجمة المصطلحات العلمية وقد أشرف وشارك فى ترجمة ألوف منها إبان عضويته فى لجان العلوم الطبيعية بالمجمع من فيزيقا ورياضيات

وكيمياء وجيولوجيا وأحياء وطب فضلا عن عضويته في لجنة ألفاظ الحضارة ولجنة المعجم الكبير ولجنة تيسير الكتابة ولجنة إحياء التراث العربى - كما اشترك فى ترجمة خمسة عشر ألف مصطلح علمى إبان عمله أميناً عاماً للاتحاد العلمى المصرى والعربى وشارك أيضا فى وضع قاموس يضم نحو خمسة وثلاثين ألف مصطلح أصدرته هيئة التدريب الفنى للقوات المسلحة .

كما كان للفقيه إسهاماته فى أعمال مجلس المجمع ومؤتمراته . ومن إنجازاته تحقيق كتاب الشفاء لابن سينا ، ومن الكلمات والدراسات التى ألقاها بالمجمع أو نشرها بمجلته : مشكلة المصطلحات العلمية والطريقة العلمية لحلها ، التفكير العلمى الإسلامى ، العلم وغزو الفضاء ، حاجتنا إلى معجم علمى عربى ، تطوير الفكر العلمى ومسايرة اللغة العربية له وذلك بالإضافة إلى كلماته فى استقبال عدد من الأعضاء الجدد وكلماته فى تأبين من مضى إلى رحاب الخالدين .

وإذا كان الدكتور منتصر قد أبلى أحسن البلاء فى هذا المحراب وعلى الصعيد الوطنى فقد امتد نشاطه إلى الساحة العربية ، فقد

اختارته الكويت فى أوائل الستينيات مديراً لجامعتها المنشأة فوضع لبنيتها الأولى وأرسى قواعدها وعاد لبلوطن عام ١٩٦٤ . ثم أرادت المملكة العربية السعودية أن تستفيد بخبرته الجامعية الواسعة فأعير إليها مستشاراً لشؤون الجامعات بها عام ١٩٧٥ ومضى بها بضع سنوات ليعود إلى المجمع ليواصل رسالته العلمية واللغوية . وإلى جامعة عين شمس ليعمل أستاذاً متفرغاً بكلية العلوم بها إلى أن ودع الحياة .

وعلى الساحة الدولية أيضاً كان للفقيه نشاط كبير فهو عضو جمعية البيئة النباتية البريطانية وجمعية علم البيئة النباتية الأمريكية وجمعية تقدم العلوم الأمريكية وعضو الجمعية الدولية لعلم البيئة الصحراوية بالهند ومثل مصر فى العديد من المؤتمرات العلمية - كما امتد نشاطه على الصعيد القومى فهو عضو بالمجمع العلمى المصرى ورئيس سابق وعضو بالأكاديمية المصرية للعلوم والجمعية النباتية المصرية كما كان نقيباً للمهن العلمية لعدة سنين ورئيساً لجمعية خريجي كليات العلوم وأميناً عاماً للاتحاد العلمى المصرى والعربى وللمؤتمرات والدورات العلمية

التي ينظمها الاتحاد كما شغل منصب
الأستاذية بمعهد الدراسات الإسلامية ومعهد
الدراسات العربية . وقد نال الدكتور منتصر
جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٧ وكان قد
سبق أن نال جائزة التفوق العلمى عن كتابه
«حياة النبات» عام ١٩٣٨ .

هذه صفحات ناصعة وضاعة من حياة
فقيه المجمع المغفور له الأستاذ الدكتور
عبد الحليم منتصر الذى كان رحمه الله أحد
علمائنا الأعلام أسهم فى بناء النهضة العلمية
والثقافية فى مصر على مدى نصف قرن
كما كان فارسا من فرسان اللغة العربية
وحماها طالما شهدنا بعمق فكره وأصاله علمه
وطلاقة لسانه ورواء بيانه .

لقد مضيت أيها الفقيه العزيز هادئا إلى رحاب
الخالدين ولا أحسبك ودعت الحياة إلا راضيا
بعد أن قدمت لوطنك أجل الأعمال ونشأت
أجيالا من أبنائك وأتباعك وحواريك يترسمون
خطاك ويسرون على نهجك ويواصلون رسالتك
الخالدة .

لعمري لئن خطفتك الملائيا

ووارتك تحت ظلام الحفر
فما زلت فى كل نفس تعيش
عبيرا زكا وضياء غمر
رحمك الله رحمة واسعة وأنزلك منازل
الأطهار والأبرار فقد كنت فى الحياة نورا يهدى
الناس سواء السبيل ^{بهدى} وستظل فى الممات ذكرى
تنفع المؤمنين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

دكتور محمود حافظ

عضو مجمع اللغة العربية



عاشق المجهر

قصيدة للأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن

في تآيين المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر

إلى روح العلامة المغفور له الأستاذ
الدكتور عبد الحليم بدر منتصر رائد علم النبات
في الجامعات المصرية وعضو مجمع اللغة
العربية .
أرض العلوم أصابها زلزالٌ
فتصدّعت منها ربيّ وجبالٌ
من هول نازلةٍ بفقد معلمٍ
أستاذ جيلٍ ، ماله أمثال
أسطورةٍ في علمه وبحوثه
في الضاد خبرٌ مفلقٌ مقوال
لهفى على « بدر » أنار عقولنا
ستظل تبكى فقدّه الأجيال
عبد الحليم ترحمًا ووداعا
قد كنتَ في أفق العلوم شعاعا
نبكيك حرّ الرأي أم ذا حكمةٍ
أم فيك نبكى العلم والإبداعا

عبد الحليم رحلت نجمًا لامعًا
وحَيَّيتَ تعشق مجهرًا وبراعا
في جنة الرحمن فانعم بالرضا
وتلقَ أجرًا طيبًا ومتاعا
* * *
أى مجمع الفصحى عزاءٌ خالصًا
في فقد عَلَامِ النبات عزاءٌ
في راهب العلم الأصيل ورائد التـ
سـعريب مُوفٍ حقّه إيفاءً
مُخَيّ تراث العرب في حقل العلو
م ، مُحَقِّقٍ جَلَى خفاءُ جلاء
دنيا العلوم عليه تنزف دمعها
وتنوحه أُمّا تضجُّ بكاء
(تُكَلُّ الرجال من البنين ، وإنما
تُكَلُّ الممالك فقدّها العلماء)
محمد يوسف حسن
عضو المجمع

كلمة الافتتاح للأستاذ الدكتور شوقي ضيف

نائب رئيس المجمع

فى تأييد المرحوم الأستاذ أحمد على عقبات

عضو المجمع من اليمن

يعز على اليوم أن نجتمع لتأبين زميل
كريم من زملائنا العرب الذين نشرف دائماً
بعضويتهم فى مجمع القاهرة هو المغفور له
الأستاذ أحمد على عقبات عضو المجمع من
اليمن ، ولقد كان للزميل الراحل إسهام واضح
فى مؤتمرات المجمع فلم يخل مؤتمر من هذه
المؤتمرات من بحث له قيم ، أو تعليق جيد ،
واليوم إذ نخصص هذه الجلسة لتعداد مآثره
الكثيرة على اللغة العربية نسأل الله تعالى أن
يتغمده بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته
وجزاه خير الجزاء عما قدم لأمته ولغته من
جليل الخدمات .

★ ★ ★

كلمة المجمع فى تأبين المرحوم الأستاذ أحمد على عقبات للاستاذ الدكتور إبراهيم السامرائى

صنعاء بعدد مقامى فى الأردن فى منتصف
العام فى سنة ١٩٨٧ سألت عن صاحبه القديم
فقليل لى إنه مريض غادر صنعاء إلى بليدة
صغيرة بعيدا عن دنيا الناس ، وما كان فى
طوقى أن أصل إليه . ولما طلب منى السيد
الأمين العام للمجمع أن أعد كلمة فى تأبينه
فى الحفلة التى تقام اليوم ، رحت أسأل أهل
المعرفة عما لديهم من أخباره وسيرته ، فلم أفرز
منهم بطائل إلا بذرة يسير لا يفى بحاجتى فى
كلمة أبسط فيها شيئا عن سيرته وأعرض
لفضله وأدبه .

وقد عرفت أخيرا أن له ولدين عليا وهو
الكبير ومحمدا وهو دون أخيه فى السن بقليل
وعرفت رقمى الهاتف لهما فاتصلت بعلى
وقلت له إنى مسافر الجمعة أى بعد يومين من
التحدث بالهاتف إلى القاهرة لحضور مؤتمر
المجمع وسيقام فيه حفل تأبين للوالد - رحمه
الله - فهل لك شىء تزودنيه عن الوالد ،

كان بينى وبين السيد عقبات صلة مراسلة
فقد سألتنى مرة عن صديق يمنى هو السيد
محيى الدين العنسى الذى قضى فى بغداد
سنوات بين ١٩٣٦ و ١٩٤١ مشرفا على
الطلاب اليمنيين فى بغداد .

وكان السيد العنسى من أصحابه .
واستمرت هذه الصلة ثم انقطعت طوال الحرب
العالمية الثانية . وعلمت بعد ذلك أنه اختير
عضوا فى مجمع اللغة العربية ، وكان له فى
المجمع نشاط أشاد به أستاذنا الجليل إبراهيم
مذكور .

لقد شارك فى المناقشات وقدم مباحث
دلت على أنه من رجال المعرفة وسأعرض لها .
أقول :

لم أعرف عن سيرته العلمية غير اليسير
مما سمعته فى صنعاء . ولم أراه بعد صلتى
القديمة به طوال سنين ، حتى إذا تحولت إلى

فأحسن الردّ وتأمّلت خيرا . قال لى : سيأتيك
غدا أخى محمد ومعه ورقة تفيد وتجد فيها
بغيتك . وكان الغد وهو يوم الخميس الذى
يسبق يوم سفرى إلى القاهرة وانتظرت محمدا
ولم يأت فى الموعد وبقيت انتظر ، ثم اتصلت
ثانية بعلّى فقبل لى : إنه سافر خارج
صنعا ، وكذلك أخوه محمد ، وهما يعلمان
موعد سفرى .

عجبت والله كيف يكون هذا من ولد
يتنكر للمروءة فلا يأبه بكثير من أمور الجدّ ،
أقلّ بعد هذا أن أتلو قوله تعالى :
« إنّ من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم
فاحذروهم » .

ولم يكن لى إلا أن أفزع إلى ما ورد من
أخبار السيد عقبات فى كتاب المجمع « مع
المجمعين » الذى وجدت فيه أنه :

ولد سنة ١٣٤١ هـ - ١٩٢١ م فى حى
بر العربى بصنعا . ولما بلغ السابعة من عمره
التحق بالمدرسة الابتدائية التى هى «
مدرسة الإصلاح » وأحرز فيها الشهادة الأولى
. ثم التحق بالمدرسة العلمية « دار العلوم »

فدرس فيها النحو والصرف والفقه والأدب
والتاريخ كما درس بعض أعمال الإدارة
العسكرية والشؤون المالية . وتخرج فى هذه
سنة ١٣٦١ فالتحق بإمارة القصر (وزارة
التموين) وشغل فى هذه الوزارة منصب
الوكيل لمديرية القصر والسكرتارية .

وقد عين سنة ١٣٦٥ فى الهيئة
العسكرية للتفتيش العسكرى ، وفى السنة
التالية ١٣٦٦ عين رئيسا للشعبة الثانية من
شعب الإدارات العسكرية .

وللسيد عقبات مباحث نشرها فى صحف
اليمن هى : إرشاد النظام وأدب الجيش ، وزاد
الجندي .

وقد قدّم فى المجمع بحوثا هى : اللغة
العربية وأثرها فى قوة الأمة وضعفها ،
وتراث اليمن العلمى ،

وحياة الناس فى أمثالهم ،

والقاضى محمد أحمد الحجرى ،

وكان يبدى رأيا فى كل ما يتصل باليمن
وجغرافيته مما عرض فى (المعجم الكبير)
للمجمع .

وله كتاب وسمه بـ « واجبات الجندی » .

وقد أثنى عليه وأشاد بمنزلته أستاذنا
الكبير الدكتور مذكور لدى استقباله عضوا في
المجمع .

أقول : وقد أفدت من القاضي إسماعيل
الأكوع في صنعاء أنه كان مرافقا للإمام علي
سيف الإسلام ابن الإمام يحيى إمام اليمن الذي
انتهى عهده في الثورة اليمنية .

وقال لي ولده عليّ ، وهو يتحدث في
الهاتف حين اتصلت به : إن والده قضى ٤٢
سنة في الخدمة المدنية والعسكرية ، وشغل
منصب مدير مكتب وزير الحربية . وله صحبة

بالشاعر محمد محمود الزبيري شاعر اليمن
الكبير .

وقال أيضاً : إنه شغل منصب الأمين
العام للجنة النشر التابعة لرئاسة الجمهورية في
حكم الجمهورية الأولى التي أعلنها قادة الثورة

وتوفي في ٢٠ / ١١ / ١٩٩٤ وصلى
عليه في مسجد قبة المتوكل ، ودفن في مقبرة
خزيمة في صنعاء . وقد ترك وصيته وفيها
أبيات شعرية .

رحم الله السيد أحمد عقبات وأحسن
عقباه وجعل الجنة مثواه .

إبراهيم السامرائي

عضو المجمع من العراق



شارك في مراجعة هذا الجزء من المجلة

خالد محمد مصطفى

المحرر بالإدارة العامة للتحرير والشؤون الثقافية

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الإدارة

محاسب / أحمد محمد صالح

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٨/٦٣٢

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٩٩٣٧ - ١٩٩٧ - ٢٠١٤

